جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام

عنوان البحث

الرقة في العصر العباسي 132-232هـ/750-847م

دراسة تاريخية-اقتصادية-اجتماعية-فكرية

إشراف الدكتورة: نهى فضل الله حميد
إعداد الطالب: علي عبد المحمد

دمشق1431هـ/2010م

((الإهداء))

"أهدي هذه الرسالة إلى روح والدتي الطاهرة تغمدها الله برحمته، وأسكنها فسيح جنانه".

.... علي ....

شكر وتقدير:

إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة: نهى فضل الله حميد أوجه فائق شكري وتقديري واحترامي لجهودها التي بذلتها معي لإنجاز هذا البحث، فقد كانت نعم الأستاذ، ونعم المعين، ونعم الصديق، فشكراً لصبرها، وشكراً لجهدها، وشكراً لهدوئها الذي علمني الصبر والتأني، وشكراً لها على كل توجيهاتها التي أنارت لي طريق العلم والمعرفة، حفظها الله لأسرتها وأهلها، وأمدها بوافر الصحة والعافية، وزادها من معين علمه، وأشكر جميع أساتذتي الأفاضل الذين لقنوني دروس العلم والمعرفة، أدامهم الله نخراً للوطن.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

حياة المدن كحياة الأفراد من بني الإنسان، تتقاذفها صروف الدهر بين رفعٍ وخفض، ويسارٍ أو بوار، ولكن مع فارق وحيد، هو أنّ بعض المدن قد تنبعث من مرقدها في مراحل مختلفة من عمر الزمن، لتمارس أدوارها الغابرة من جديد، والرقة تنسب إلى هذا النمط من المدن، مع العلم أنّ حاضرها لا يزال أقل بريقاً من ماضيها بكثير، حيث يبرز تاريخها في العصر العباسي من خلال ازدهار عمرانها، وتقدم الحضارة والثقافة فيها، وهي مرحلة طويلة نسبياً غنية وحافلة بالأحداث الجسام على الرغم من الغموض الذي مازال يلف حقائق كثيرة من تاريخها، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى ما أصابها من كوارث وفتن، وتخريب المغول لها، وفقدان العديد من المصادر التي تضيء تاريخها.

فيما يخص حقبة البحث البداية كانت مع تدفق الجيوش العباسية إلى الرقة مطاردةً فلول الجيش الأموي متعقبةً مروان بن محمد آخر خليفة أموي، حيث اتخذها عبدالله بن علي قاعدةً لعملياته العسكرية ومركزاً لقمع الثورات المناوئة للحكم العباسي، وقد تنبه الخليفة أبو جعفر المنصور لأهمية موقعها الجغرافي والعسكري، ودورها الاقتصادي المؤثر على عاصمة الخلافة العباسية بغداد، فأمر ببناء الرافقة (رفيقة الرقة) سنة 155هـ/771م، واستغل الخليفة المهدي موقعها فجعلها مركزاً لانطلاق غزواته ضد الروم البيزنطيين، وقاعدةً لإمداد الجيوش، وقد بلغت عصرها الذهبي مع الخليفة هارون الرشيد الذي رفع من شأنها، لدرجة أنّه هجر العاصمة بغداد، ونقل مركز ملكه وحكمه إليها، فجعلها عاصمةً للدولة العباسية، وزاد في عمارتها، وأمر ببناء قصورها، ووسع أسواقها، وأحدث أسواقاً جديدة فيها، فتدفق رجال العلم والحكم والسياسة والشعراء إليها، حتى باتت تسمى بغداد الصغرى، ولاشكّ أنّ مثل هذا الإجراء يطرح تساؤلات عديدة، إلا أنّ دورها الحضاري والسياسي بدأ يتراجع بعد عهد الرشيد على الرغم من أنّها كانت تظهر وتعود إلى الواجهة السياسية والحضارية من جديد في مواقف متعددة، ولكن يبقى عصرها الذهبي مقترناً بالخليفة هارون الرشيد.

لاشكّ أنّ عوامل عديدة كانت سبباً لاختيار موضوع الرقة في هذه الحقبة من العصر العباسي 132-232هـ/750-846م الجدير بالبحث، فمن ذلك:

- الدور الذي شغلته الرقة في عدة أحداث ترافقت مع تأسيس الدولة العباسية، وزوال الدولة الأموية.
- بيان أوضاع الجزيرة الفراتية، وبلاد الشام قبل دخول العباسيين الجزيرة وبعده.
- ايضاح موقف أهل الرقة من العباسيين.

-تحديد أهداف بناء أبي جعفر المنصور لمدينة الرافقة سنة 155هـ/771م.
- الكشف عن الدوافع الرئيسة لاهتمام الرشيد بها، والذي بلغ حد اتخاذها داراً لملكه، وحاضرةً لخلافته على الرغم من أنّ العباسيين أهملوا بلاد الشام واستبدلوها بالعراق.
- إلقاء الضوء على الإرث الحضاري الذي احتضنته هذه المدينة، مما جعلها تسهم في النهضة العلمية والفكرية التي شهدتها الدولة العباسية في عصر ازدهارها.
- تزويد المكتبة العربية بمرجع علمي عن الرقة في الحقبة مجال البحث يشمل النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والتاريخية.

ومن البديهي أنّ موضوعاً شاملاً لجميع نواحي تاريخ الرقة يحتاج لجهد كبير، ومحاولة الصياغة التاريخية الموضوعية،عملية معقدة للغاية، خصوصاً أنّ الروايات التي ذكرها كبار المؤرخين كالطبري والبلاذري وابن الأثير، وغيرهم لم تحمل في طياتها أي تأييدٍ أو رفضٍ، بل تركت للقارئ الحكم عليها، وتعد ندرة المعلومات عن الرقة أبرز صعوبات البحث مما استدعى اللجوء إلى دراسة الآثار الباقية، وإلى المقارنة لتلافي نقص المعلومات قدر الإمكان وفق منهج علمي يعتمد على أساس البحث السليم، وقد قسم البحث إلى مقدمة وأربعة فصول:

1- **مقدمة:** تعرف بطبيعة البحث.

2-الفصل الأول: فصل تمهيدي يتضمن التعريف بأهم المصادر والمراجع التي تّم الاعتماد عليها، ويبحث في جغرافية الرقة، وسبب تسميتها، وأبرز مظاهرها الطبيعية، ومناخها، وتربتها، ومصادر مياهها، وسكانها، والأوضاع العامة للخلافة الأموية، وأسباب سقوطها، وظهور الدعوة العباسية، وأهم حروبها حتى إعلان الخلافة العباسية، ثّم يبحث باختصار في أوضاع الرقة منذ الفتح الإسلامي لها على يد عياض بن غنم حتى نهاية العصر الأموي، كما يدرس الجانب الحضاري لها في هذه الحقبة من تاريخها، بحيث يبين أبرز الشخصيات التي نزلتها أو أقامت فيها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن التابعين والفقهاء والمحدثين، وكذلك أهم الشعراء والكتاب الذين عاشوا فيها، وبيان مساهمتهم في تطور الأدب العربي الإسلامي.

3-الفصل الثاني: يبحث في دخول الرقة تحت السيطرة العباسية، وإدارتها في عهد أبي العباس السفاح، وموقف سكانها من الحكم العباسي، والثورات التي شاركوا فيها ضد الدولة العباسية، ويبحث في إدارتها في عهد أبي جعفر المنصور، وأهم التغيرات التي طرأت عليها كتأييد سكانها لثورة عبدالله بن علي ضد الخليفة المنصور، حيث وجدوا في ثورته فرصةً ليعبروا عن رفضهم للحكم العباسي، خاصةً بعد اعتماد العباسيين على العنصر الفارسي، وكذلك يبحث في الأسباب التي جعلت أبا جعفر

المنصور يبني مدينة الرافقة سنة 155هـ/771م، ويبحث في نظامها الإداري في عهد المهدي، ودورها في العمليات العسكرية ضد الروم البيزنطيين، حيث شكلت قاعدةً لتزويد الجيوش بالمؤن والإمدادات، منذ قيام ابنه هارون الرشيد بأول غزوة لبلاد الروم سنة 163هـ/ 779م وبناء المهدي لصالحية الرقة، ثّم إدارتها في عهد الهادي، والتطور الذي طرأ عليها في عهد الرشيد من ناحية النظام الإداري، والمركز السياسي، حيث شكلت قاعدة للقرارات السياسية التي شملت معظم أرجاء الخلافة العباسية، ودورها في أعمال الرشيد العسكرية ضد الروم البيزنطيين، خاصةً فتح هرقلة، وأعمال الرشيد العمرانية فيها من بناء مدينة جديدة حملت اسمه(الرشيد)، وبناء القصور التي ضاهت قصور بغداد كقصر السلام والخشب والأبيض، إلى بناء المرافق العامة، كالخانات وقنوات المياه، كما يبحث في أوضاع الرقة في عهد خلفاء الرشيد: الأمين الذي حافظ على نظامها الإداري، ووقف سكانها إلى جانبه في خلافه مع أخيه ا لمأمون، ثّم المأمون الذي أبدل ولاتها، فاستنكر سكانها ذلك منه وأيدوا الثورات التي نشبت ضده في الجزيرة الفراتية، ويختتم الفصل باستعراض التطور الإداري والسياسي الذي طرأ عليها في عهد كل من المعتصم والواثق.

4- الفصل الثالث: وهو يتناول الجانب الاقتصادي والاجتماعي، فيبحث في مكانة الرقة الزراعية، واهتمام الخلفاء العباسيين بها خاصةً الرشيد، وأنواع الزراعات فيها، ومصادر المياه التي تسقي أراضيها وطرق إروائها، وأنواع الحيوانات التي وجدت فيها، واهتمام الخلفاء بتربيتها، وأهم المواد والخامات الصناعية التي وجدت فيها أو جلبت إليها من باقي المناطق، وأهم الحرف والصناعات المحلية التي ازدهرت فيها، والأسواق التي وجدت فيها منذ العصر الأموي، واستمرت في العصر العباسي، والأسواق التي استحدثت في العصر العباسي، والسلع المتبادلة سواء كانت منتجة فيها أو مجلوبة إليها أو مارة من خلالها، والنقود التي تّم التعامل بها، والتي سكت في الرقة بمناسبات عديدة، خاصةً عندما اتخذها الرشيد داراً للملك والحكم، وعاصمةً للدولة العباسية بدلاً من بغداد، ويبحث في الأقوام والقبائل التي استقرت بها سواء كانوا من السريان أو من القبائل العربية التّي هاجرت إليها منذ ماقبل الإسلام حتى العصر العباسي، ويبحث في لغة السكان فيها، وشرائحهم الاجتماعية المصنفة على أساس ديني أو على أساس الثروة والمال، والعادات والتقاليد السائدة فيها سواء أكانت في قصور الخلافة أم بين الأثرياء من الناس، أو ضمن عامة الناس، وعند العرب المسلمين والسريان، والأزياء والملابس التي لبستها مختلف الفئات الاجتماعية من الرجال والنساء، وكذلك لباس الخلفاء والوجهاء، انتهاءً بلباس العامة والبدو الذين عاشوا في وادي الفرات حول الرقة.

5-الفصل الرابع: ويبحث في الأوضاع العلمية والفكرية في الرقة من خلال توضيح دورالأديرة في الترجمة عند السريان والنشاط الذي مارسه روادها، ودور المدارس في الحركة العلمية سواء أكانت مدارس سريانية وجدت حول أديرتها، أو مدارس إسلامية نشأت وترعرعت في مساجدها وقدمت الكثير من العلماء الذين كان لهم أثر متميز في جميع مجالات العلم والمعرفة، ويدرس أهم العلوم التي ازدهرت فيها، حيث يعد الطب من أهم هذه العلوم، فيبين الأطباء الذين وفدوا إليها مع الرشيد، أوالذين امتهنوا مهنة الطب من أبنائها، ودورها في علم الرياضيات، وأبرزالشخصيات التي عاشت فيها وساهمت في تطور هذا العلم، ودورها في علم الفلك والتنجيم، والفلسفة، والفلاسفة المتميزين الذين عاشوا فيها كثابت بن قرة الحراني، ومساهمتها في تطورعلم الجغرافية، وأهم الإنجازات التي تحققت فيها بدءاً من الجغرافية الفلكية، مروراً بقياس المسافات بين المدن، انتهاءً برسم الخرائط والمصورات، وتصحيح الأخطاء التي وردت في خرائط الجغرافيين السابقين، ونشاطها في علم التاريخ من خلال المدرستين التاريخيتين اللتين نشأتا فيها: المدرسة الأولى:وهي المدرسة السريانية التي نشأت وترعرعت فيها منذ ما قبل الإسلام، ويمثلها ماردينيسيوس التلمحري، والمدرسة الثانية: المدرسة الإسلامية التي تشكل امتداداً لمدرسة التاريخ الإسلامي التي يعد الواقدي ت. 207هـ/822م، والطبري ت. 310هـ/922م من أشهر روادها، ويمثلها في الرقة محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري الحراني المتوفى سنة 334هـ/945م، ويبحث في دورها في الموسيقى والغناء، وأهم الموسيقيين الذين وفدوا إليها، وفي مقدمتهم إبراهيم الموصلي وغيره، والشعراء والأدباء المتميزين الذين قدموا إليها، وأشهر القصائد التي ألقوها في قصور الرقة في المناسبات المختلفة، كأشجع السلمي ومنصورالنمري، والشعراء المعروفين الذين ينتسبون إليها كربيعة الرقي، الذي كان من ندماء الرشيد.

6- **الخاتمة:** التي أجملت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وقد تّم تزويد البحث بعدد من الملاحق كالخرائط الجغرافية، التي رسمها الجغرافيون العرب، وحددوا فيها موقع الرقة والجزيرة الفراتية، وحدودها، ومجموعة من الصور والرسومات التي توضح مخطط الرافقة، وأسوارها وأبراجها، وبعض النقود التي سكت فيها ... الخ.

وبعد هذا أتشرف بوضع هذه الرسالة بين يدي أعضاء لجنة التحكيم الكريمة راجياً منهم تقييمها، فهي ثمرة دراسة مضنية وشاقة استغرقت ليالي طويلة بالبحث والتمحيص والمقارنة، ومع ذلك لايمكن القول: أّنها بحثاً كاملاً لا يخلو من الأخطاء والنواقص، فهي الخطوة الأولى في مسيرتي في البحث العلمي، راجياً منهم أن يسبلوا علّي ذيل السماح في ما يجدونه من أخطاء ومن نواقص.

مع فائق تقديري لجهودهم الكبيرة.

الفصل الأول

تمهيد عن الأوضاع الجغرافية والتاريخية والسياسية في الرقة:

أولاً– التعريف بأهم المصادروالمراجع:

ثانياً- دراسة جغرافية تاريخية للرقة:

1- الموقع الجغرافي

2- التسمية

3- المظاهر الطبيعية

4- المناخ

5- التربة

6- المياه

7- السكان

ثالثاً- الأوضاع السياسية العامة قبيل قيام الخلافة العباسية :

1- الأوضاع العامة للخلافة الإسلامية والعالم المحيط بها

2- الدعوة العباسية وحروبها

رابعاً- الرقة منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي :

1- الفتح الإسلامي للرقة:

2-أوضاع الرقة زمن الأمويين

3- ثورات الخوارج في الجزيرة الفراتية في نهايةالعصرالأموي

أ- ثورة سعيد بن بحدل الشيباني

ب- ثورة الضحاك بن قيس الشيباني

4- تسمية من نزل أو أقام في الرقة من الصحابة

5- تسمية من نزل الرّقة من التابعيين والفقهاء والمحدّثين

6- تسمية من نزل الرقة من الشعراء والكتاب.

أولاً: التعريف بأهم المصادروالمراجع:

- المصادر:

تّم الاعتماد في هذا البحث على العديد من المصادر والمراجع، منها ما كان شديد الصلة بالموضوع وغطى الفصول الأربعة، ومنها ما كان يعالج جانباً معيناً غطى فصلاً أو فقرة، وسيتم عرض أهمها وفقاً للتسلسل المعجمي لأسماء مؤلفيها، وحسب اللغة والموضوعات التي بحثت فيها:

1- المصادر التاريخية العربية:

أ- ابن الأثير ت. 630هـ/1223م:

علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أبو الحسن عز الدين بن الأثير، المؤرخ الإمام من علماء النسب والأدب، ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل، وتجول في البلدان وعاد إليها وتوفي فيها[(1)]، حيث تمت الاستفادة من مؤلفه "الكامل في التاريخ" لاسيما في الفصلين الثاني والثالث، فقد أرخ للولاة الذين تمت توليتهم على الجزيرة الفراتية والرقة في الحقبة مجال البحث.

ب- البلاذري ت. 279هـ/892م:

أحمد بن يحيى بن داود البلاذري، مؤرخ، وجغرافي ونسابة وشاعر، من أهل بغداد جالس المتوكل العباسي، وتوفي في عهد المعتمد، وله في المأمون مدائح كثيرة، وكان يجيد الفارسية، أصيب في آخر عمره بذهول شبه بالجنون، فأقام في البيمارستان إلى أن توفي[(2)]، تمت الاستفادة من كتابه "فتوح البلدان" في الفصل الأول، حيث أرخ لفتح الرقة من قبل المسلمين، والصلح الذي عقد بين عياض بن غنم قائد الجيش الإسلامي وأهل الرقة.

ج – الأصفهاني ت. 356هـ/967م:

علي بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبدالله بن مروان بن الحكم، ولد أبو الفرج في أصفهان في خلافة المعتضد بالله سنة 284هـ/897م، ونشأ في بغداد واستوطن فيها، ثّم انصرف إلى طلب العلم والتحصيل على يد مجموعة من العلماء، وأقطاب الأدب واللغة والرواية، كان للأصفهاني انتقادات أدبية وآراء علمية تدل على ثاقب فكره، وواسع علمه[(3)]، وتمت

---

(1) ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكربن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، مج3، ص348، سيشار إليه لاحقاً: ابن خلكان: وفيات . الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، ط12، بيروت، 1418هـ/1997م، مج4، ص331، سيشار إليه لاحقاً: الزركلي: الأعلام.

(2) الزركلي: الأعلام، مج1، ص267،

(3) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، شرحه: علي مهنا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت،1413هـ/1992م،

الإستفادة من كتابه "الأغاني" في الفصل الثاني، خاصةً في أخبار هارون الرشيد في الرقة، وفي الفصل الثالث كانت الفائدة كبيرة لاسيما عند الحديث عن العادات الاجتماعية، وأخبار المغنين، وفي الفصل الرابع كان أساسياً أثناء البحث عن الشعراء الذين وفدوا إلى الرقة وألقوا قصائدهم في قصورها في مناسبات عديدة.

د-ابن طباطبا ت. 709 هـ/1309م:

محمد بن علي بن محمد بن طباطبا العلوي، أبو جعفر المعروف بابن الطقطقي، مؤرخ، وناقد من أهل الموصل، خلف أباه سنة 672هـ/1273م في نقابة العلويين بالحلة والنجف وكربلاء، وتزوج بفارسية من خراسان، وفي الموصل ألف كتاب "الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية" قدمه إلى واليها فخر الدين عيسى بن إبراهيم وتوفي فيها[1]، وقد تمت الاستفادة من مؤلفه في الفصل الثاني في البحث عن أسباب زوال دولة بني أمية، وحروب الدعوة العباسية، و كذلك أعمال الخلفاء العباسيين وتحديد صفاتهم.

هـ- الطبري ت. 310هـ/923م:

محمد بن جرير الطبري، أبو جعفر المؤرخ والمفسر، ولد في آمل في طبرستان، واستوطن بغداد، وتوفي فيها، وعرض عليه القضاء فامتنع، قال عنه ابن كثير: أنّه أوثق من نقل التاريخ، فهو بذلك يعد شيخ المؤرخين، فهو لايقلد أحداً، بل قلده معظم المؤرخين الذين أتوا بعده[2]، وهو يعرض الأحداث سنة سنة، منذ بدء الخليقة، وهو أول من استخدم هذا الأسلوب لذلك قلده من جاء بعده[3]، وتمت الاستفادة من كتابه "تاريخ الرسل والملوك" في جميع فصول الرسالة، إذ إنّ الطبري أرخ لجميع الأحداث السياسية التي حدثت في الحقبة مجال البحث، مع العلم أنّ الفائدة منه كانت كبيرة في الفصلين الأول والثاني، حيث تحدث عن أوضاع الرقة السياسية في بداية الحكم العباسي.

و- ابن عبدوس الجهشياري ت. 331هـ/943م:

ج18، سيشار إليه لاحقاً: الأصفهاني: الأغاني. ابن خلكان: وفيات، مج3، ص307.

(1) ابن خلكان: وفيات، مج1، ص129.الزركلي: الأعلام، مج4، ص283-284.

(2) ابن خلكان: وفيات، مج4، ص191، الزركلي: الأعلام، مج6، ص69. زكار، سهيل: مائة أوائل من تراثنا، دار الملاح، دمشق، 1400هـ/1980م،ص183، سيشار إليه لاحقاً: زكار: مائة أوائل.

(3) زكار: مائة أوائل، ص184-185. الصباغ: ليلى، دراسة في منهجية البحث التاريخي، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1417هـ/1997م، ص53 سيشار إليه لاحقاً: الصباغ: دراسة.

محمد بن عبدوس بن عبدالله الكوفي الجهشياري، أبو عبدالله، مؤرخ، وهو من الكتاب المترسلين، أصله من الكوفة، نشأ مع أبيه في بغداد، وكان أبوه صاحباً للوزير علي بن عيسى، فخلفه في الحجابة له ، ثّم للوزير حامد بن العباس في خلافة المقتدر بالله، وولي إمارة الحج العراقي سنة 317هـ/929م، وتوفي في بغداد، ويعد مؤلفه "الوزراء والكتاب" أهم كتبه[1]، تمت الاستفادة منه في الفصل الأول في تتبع أخبار مروان بن محمد، والوزير الكاتب عبد الحميد، وفي الفصل الثاني في عدة مواضع عن أخبار وزراء بني العباس، ولاسيما جعفر البرمكي.

ز- ابن العديم ت. 660هـ/1262م:

هو الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة، ولد في حلب في ذي الحجة سنة 588هـ/1192م، وعندما بلغ الشباب وجد السبيل مفتوحاً لمستقبل لامع، فكان لمواهبه وأسرته الفضل الأكبر في تحقيق نجاحاته، فشارك في الحياة السياسية والعلمية لمدينة حلب، وسافرإلى بغداد ومصر، وألف كتاب "بغية الطلب في تاريخ حلب" الذي يضعه كأعظم مؤرخ أنجبته بلاد الشام بلا منازع[2] ،وقد تمت الاستفادة من كتابه في الفصل الأول والثاني والرابع في التراجم لمعظم الأعلام الذين اتصلوا في الرقة أو عاشوا فيها، ومن "زبدة الحلب" تمت الاستفادة في الفصل الثاني في الحديث عن ثورة عبدالله بن علي.

ح- القشيري ت. 334هـ/945م:

أبو علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري الحراني، أخذ علمه عن مجموعة من العلماء أهمهم الفقيه أبو الحسن عبد الملك بن عبد الحميد من أحفاد ميمون بن مهران[3]، تمت الاستفادة من كتابه "تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والفقهاء والمحدثين" في معظم فصول الرسالة، ففي الفصل الأول أفاد في تحديد موقع الرقة بين ديار الجزيرة، وفتحها على يد عياض بن غنم، والتعريف بمن نزلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين، وفي الفصل الثاني في تحديد ولاة الرقة، والفصل الرابع في الحديث عن الحركة العلمية، وتحديد أبرز التابعين الذين نزلوها أو أقاموا فيها.

---

(1) الجهيشاري، ابن عبدوس: الوزراء والكتاب، قدم له: حسن الزين، دار الفكر الحديث، بيروت، 1401هـ/ 1980م، سيشار إليه لاحقاً: الجهشياري: الوزراء. الزركلي: الأعلام، مج6، ص256.

(2) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد: بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دمشق، 1409هـ/ 1988م، مج1،ص8-13. سيشار إليه لاحقاً: ابن العديم: بغية.

(3) القشيري، محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري الحراني: تاريخ الرقة، تح: علي الشعيبي، د.م، د.ت، ص44- 45 سيشار إليه لاحقاً : القشيري: تاريخ.

ط- ابن الكلبي ت. 204هـ/819م:

هشام بن أبي النضر محمد بن السائب بن المنذر بن الكلبي، أبو المنذر، مؤرخ، وعالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها، كثير التصانيف من أهل الكوفة، وتوفي فيها، له أكثر من مئة وخمسين كتاباً أشهرها "جمهرة النسب"[1]، حيث تمت الاستفادة منه في الفصل الأول في تحديد نسب مضر[2] في الرقة، ونسب بعض الصحابة الذين نزلوها، وفي تحديد نسب الأقوام والقبائل التي استقرت فيها.

ي- المسعودي ت. 346هـ/957م:

علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، من ذرية الصحابي عبدالله بن مسعود، مؤرخ ورحالة من أهل بغداد، أقام في مصر وتوفي فيها[3]، وتمت الاستفادة من كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" في الفصل الثاني حيث غطى الجانب السياسي لأخبار خلفاء بني العباس، وكذلك في الفصل الثالث، في الحياة الاجتماعية، والعادات والتقاليد والنشاطات التي مورست في الرقة، وتمت الاستفادة من كتابه "التنبيه والإشراف" في الفصل الأول حيث ذكر حروب مروان بن محمد.

ك- المقريزي ت. 845هـ/1441م:

تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، مؤرخ من أهل مصر له صدارة بين معاصريه من المؤرخين، وأهّله لهذه الصدارة إنتاجه الضخم والخصب[4]، حيث زادت مؤلفاته الكبرى والصغرى عن مائة كتاب[5]، وتمت الاستفادة من كتابه "المقفى" في الفصل الأول في الحديث عن الدعوة العباسية، وإعلان الخلافة ، وفي الفصل الثاني في ترجمة بعض الخلفاء العباسيين، وولاة الجزيرة في عهد أبي جعفر المنصور.

ل- الواقدي ت. 207هـ/822م:

---

(1) ابن خلكان: وفيات، مج6، ص82. الزركلي: الأعلام، مج8، ص87-88.

(2) مضر: قبيلة عظيمة تنتسب إلى مضر بن نزار من العدنانية كانت ديارهم بالقرب من الحرم وفي نجد، وتفرعت إلى عدة فروع ، منها قيس التي امتدت مساكنها من شرق الفرات نحو حران وسميساط والرقة وسروج وتل موزن، كحالة، عمررضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، ط5، بيروت، 1405هـ/1985م، ج3، ص1107، سيشار إليه لاحقاً: كحالة: معجم.

(3) الزركلي: الأعلام، مج4، ص277.

(4) المقريزي، أحمد بن علي: المنتقى من المقفى في أخبار خلفاء بني العباس، انتقاء وتقديم وتحقيق: تميمة محمد عيد الرواف، د.م، د.ت، ص5-6. سيشار إليه لاحقاً : المقريزي: المنتقى من المقفى.

(5) المقريزي: المنتقى من المقفى، ص17.

محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني، أبو عبدالله الواقدي، من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، وهو من حفاظ الحديث، ولد في المدينة، وكان تاجر حنطة فيها، وضاعت ثروته، ثّم انتقل إلى العراق سنة 180هـ/796م في عهد الرشيد، حيث اتصل بيحيى بن خالد البرمكي، فأفاض عليه عطاياه، وقربه من الخليفة، فولي القضاء في بغداد، واستمر فيه إلى أن توفي سنة 207هـ/823م[1]، ويعد كتابه "فتوح الشام" من أهم الكتب في التاريخ، حيث تمت الاستفادة منه في الفصل الأول في ذكر فتح الرقة، وصلح عياض بن غنم مع أهلها، وفي الفصل الثالث، في ذكر القبائل التي نزلتها.

2- كتب الجغرافيين والرحالة العرب والمسلمين:

تّمت الاستفادة من كتب الجغرافيين والرحالة العرب أو بالأحرى شكلت مورداً أساسياً للبحث لاحتوائهاعلى معلومات جغرافية متنوعة كتحديد الطرق التجارية، إلى جانب المعلومات الاقتصادية التي وردت عند البعض منهم كالمقدسي مثلاً، وقد تضمن بعضها معلومات تاريخية مهمة لا تذكرها المصادر التاريخية المتوفرة ومن أهمها:

أ- الإدريسي ت. 560هـ/1164م:

محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الإدريسي الحسني، أبو عبدالله مؤرخ من كبار العلماء في الجغرافية، ولد في سبتة، ونشأ وتعلم في قرطبة، ثّم انتهى إلى صقلية، وألف كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" سنة 548هـ/1153[2]، وتمت الاستفادة منه في تحديد جغرافية الرقة والجزيرة الفراتية في الفصل الأول.

ب- الإصطخري ت. 346هـ/957م:

أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي، جغرافي تمت الاستفادة من كتابه "المسالك والممالك" خاصةً في الفصل الأول في الحديث عن موقع الرقة في الجزيرة الفراتية.

ج- ابن حوقل النصيبي ت. 367هـ/977م:

وتمت الاستفادة من كتابه "صورة الأرض" في تحديد موقع الرقة الجغرافي ضمن الجزيرة الفراتية في الفصل الأول.

د- ابن خرداذبه ت. 300هـ/912م:

---

(1) ابن خلكان: وفيات، مج4، ص348-350. الزركلي: الأعلام، مج6، ص310-311.

(2) الزركلي: الأعلام، مج7، ص24.

هوعبيدالله بن عبدالله بن خرداذبه الخراساني، أبو القاسم، مؤرخ وجغرافي فارسي الأصل من أهل بغداد، كان جده خردانبة مجوسياً أسلم على يد البرامكة، وتكاد تكون سيرته شبه مجهولة، حيث أصبح مقرباً من حاشية المعتمد 256-279هـ/869-892م في سامراء، ومن ندمائه، وأصحاب الكلمة النافذة في عهده، ويبدو أنّ منصب صاحب البريد والخبر الذي شغله هيأ له البيئة المناسبة لتأليف كتاب "المسالك والممالك"[1]، وتمت الاستفادة منه في الفصل الأول في تحديد موقع الرقة، وفي الفصل الثاني في تبيان أهميتها الاقتصادية من خلال تحديد الطرق التجارية التي تمر فيها، وفي الفصل الثالث من خلال تفصيل هذه الطرق التجارية.

هـ- ابن رسته ت. 300هـ/912م:

أحمد بن عمر، عالم جغرافي، فارسي الأصل من أهل أصفهان رحل إلى بلاد العرب حاجاً سنة 290هـ/902م، وصنف كتابه "الأعلاق النفيسة"[2]، وتمت الاستفادة منه في تحديد موقع الرقة وسبب التسمية.

و- الشابشتي ت. 388هـ/998م:

أبو الحسن علي بن محمد، جغرافي واسع الاطلاع[3]، تمت الاستفادة من كتابه "الديارات" في الفصل الثاني، والفصل الثالث في البحث عن العادات الاجتماعية، وكذلك في الفصل الرابع في البحث عن أديرة الرقة، وبشكل خاص دير زكى.

ز- ابن شداد ت. 684هـ/1285م:

محمد بن علي بن إبراهيم، أبو عبدالله، عز الدين بن شداد الأنصاري الحلبي، مؤرخ من رؤساء الكتاب، ولد في حلب في سنة 613هـ/1217م، وقام برحلة إلى حران ومصر، وكان معظماً عند الأمراء استوطن الديار المصرية بعد استيلاء التتار على حلب، فعمل في خدمة الظاهر بيبرس إلى أن توفي في القاهرة، ودفن بسفح جبل المقطم، له كتاب "الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة"، جزء عن حلب، وآخر عن دمشق، والجزء الثالث عن الجزيرة[4]، وتمت الاستفادة من الجزء

---

(1) ابن خرداذبه، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله : المسالك والممالك، تقديم: خير الدين محمود قبلاوي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1420هـ/ 1999 م، ص133، سيشار إليه لاحقاً: ابن خرداذبه: المسالك والممالك.

(2) الزركلي: الأعلام، مج1، ص185.

(3) ابن خلكان: وفيات، مج3، ص319.

(4) ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح: يحيى عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1412هـ/1991م، ج 3، ق1،ص13،سيشار إليه لاحقاً :

الثالث في الفصل الأول في تحديد موقع الرقة، وتسميتها، وجغرافيتها، ومياهها، وفي الفصل الثاني في تحديد ولاتها في بداية الحكم العباسي، والفصل الثالث التعريف بزراعاتها، والمواد الأولية والصناعات فيها، وتجاراتها، وأهم السلع المتبادلة من خلالها وأهم طرقها التجارية.

ح- ابن الفقيه الهمذاني ت. 340هـ/951م:

أحمد بن محمد بن إسحق بن إبراهيم الهمذاني، أبو بكر ابن الفقيه، جغرافي وأديب له كتاب "البلدان"، و"مختصر كتاب البلدان" صنفه بعد وفاة الخليفة المعتضد[1] ، تمت الاستفادة منه في ذكر موقع الرقة في الفصل الأول، وفي ذكر بعض المعلومات التاريخية في الفصل الثاني.

ط - المقدسي ت. 380هـ/990م:

محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي البشاري، شمس الدين أبو عبدالله، رحالة جغرافي، ولد في القدس وعمل في التجارة، فقام بأسفارٍ هيأت له المعرفة بغوامض أحوال البلاد ، ثّم انقطع إلى تتبع ذلك فطاف أكثر بلاد الإسلام، وصنف كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، وقد قال عنه المستشرق غلد ميستر: امتاز المقدسي عن سائر علماء البلدان بكثرة ملاحظاته، وسعة نظره، وقال عنه سبرنغر: لم يتجول سائح في البلاد كما تجول المقدسي، ولم يحسن أحد ترتيب ما علمه كما عمل المقدسي[2]، وتمت الاستفادة منه في الفصل الأول، في تحديد موقع الرقة، وأقسام الجزيرة الفراتية، وفي الفصل الثاني، في توضيح أثر العامل الاقتصادي في بناء المنصور للرافقة، وفي اتخاذ الرشيد الرقة عاصمةً للدولة العباسية، وفي الفصل الثالث في تبيان عن أنواع الزراعات في الرقة، وأهم السلع التي صدرت إليها، وأنواع السلع التجارية المارة من خلالها، وأنواع الصناعات فيها، وأهم أسواقها.

ي- ياقوت الحموي ت. 626هـ/ 1229م:

ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، أبو عبدالله، شهاب الدين، مؤرخ ثقة من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب، أصله من الروم، أسر من بلده، وهو طفل صغير، واشتراه تاجر من بغداد اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي، فرباه وعلمه، ونسب إليه ، وعمل عنده بالأسفار، ثّم أعتقه سنة 596هـ/1199م، فعاش على نسخ الكتب بالأجرة، وهذا ما أكسبه معرفة واسعة إلى جانب قيامه بعدة رحلات تجارية أكسبته معرفة جغرافية واسعة أهلته لكتابة "معجم البلدان"، و"معجم

ابن شداد: الأعلاق. الزركلي: الأعلام، مج6، ص283.

(1) الزركلي: الأعلام، مج1، ص208.

(2) ابن خلكان: وفيات، مج6، ص127-129.الزركلي: الأعلام، مج5، ص312.

الأدباء"، وتوفي في حلب سنة 626هـ/1229م، [1]، وتمت الاستفادة من كتابه "معجم البلدان"-الذي يعد معجماً جغرافياً كبيراً، وتضمن إلى جانب ذلك معلومات تاريخية وأدبية- في الفصل الأول في تحديد موقع الرقة، وتسمياتها، ومياهها، وأنهارها، وفي الفصل الثاني في بناء الرافقة على يد أبي جعفر المنصور، والصالحية في عهد المهدي، وفي الفصل الثالث في تحديد تجارتها، وأفاد "معجم الأدباء" في الفصل الرابع، حيث أرخ لأبرز الشعراء والأدباء الذين عاشوا فيها أو وفدوا إليها، حيث أطلقت حناجرهم قصائد في قصورها في مناسبات متعددة.

3- كتب التراجم والطبقات:

تّمت الاستفادة منها في الحديث عن تراجم بعض الشخصيات التي وفدت أو عاشت في الرقة، خاصةً في الفصل الأول، وأهمها:

أ- **ابن خياط، أبو عمر الليثي العصفري** ت. 240هـ/854م، ولد وعاش في البصرة، وكان حافظاً للتاريخ، وملماً في علم الحديث، وتّمت الاستفادة من كتابه "الطبقات".

ب- **الذهبي، شمس الدين** ت. 748هـ/1346م، وتمت الإستفادة من كتابه"العبرفي خبرمن غبر".

ج- **ابن سعد، محمد بن منيع الزهري** ت. 230هـ/844م، مؤرخ ثقة من حفاظ الحديث، سكن بغداد، ورافق الواقدي، قال عنه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: إّنه من أهل العدالة والثقة، وتّمت الاستفادة من كتابه "الطبقات".

د- **العسقلاني، ابن حجر** ت. 852هـ/1447م ، وتمت الاستفادة من كتابه "الإصابة في تمييز الصحابة".

4 – المصادر السريانية:

ويأتي في مقدمتها:

أ- **المؤرخ الرهاوي المجهول** في كتابه "تاريخ الرها"، وتمت الاستفادة منه في الفصل الثاني في الحديث عن أعمال الخلفاء العباسيين في الرقة، وفي مقدمتهم هارون الرشيد.

ب- **الزوقنيني،** في كتابه "تاريخ الزوقنيني، المنحول لديونيسيوس التلمحري"، فقد كانت الاستفادة منه عظيمة في معظم فصول الرسالة[2]، ففي الفصل الأول تمت الاستفادة منه في تحديد طريقة فتح

---

[1] الحموي ، شهاب الدين بن عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي البغدادي: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1399 هـ / 1979م، ج1، ص6، سيشار إليه لاحقاً: الحموي: معجم البلدان. الزركلي: الأعلام، مج8، ص131.

[2] لقد عاش المؤلف الزوقنيني في دير زوقنين، وهو من أديرة الجزيرة الفراتية فكان واسع الاطلاع على

المسلمين للرقة، و أهم سكانها، وثورات الخوارج فيها، وفي الفصل الثاني، في تبيان أوضاع الرقة الإدارية في الحقبة مجال البحث، وفي الفصل الثالث في الحديث عن الزراعة، وأنواع المزروعات فيها، وتصنيفه للشرائح الاجتماعية.

ج- **ابن العبري، غريغوريوس الملطي** ت. 684هـ/1285م: "تاريخ مختصر الدول"، وتمت الاستفادة منه في الفصل الثاني في أخبار الخلفاء العباسيين، وبناء الرافقة، وفي الفصل الثالث في الحديث عن الفئات غير المسلمة في الرقة، وفي الفصل الثالث في الحديث عن الأديرة.

د- **ميخائيل الكبير**(1): "تاريخ ميخائيل"، وتمت الاستفادة منه في الفصل الثاني في الحديث عن أعمال الخلفاء العباسيين.

- **المراجع** :

أ- **حباب، محمد صالح:** تاريخ الرقة ابتداء من فتحها حتى دمارها.

ب- **الحسون، مصطفى:** دار الرشيد وعاصمته الثانية، وقائع الندوة الدولية حول الرقة وآثارها الرقة،1401هـ/1980م.

ج- **شتورم، ويتز:** أهمية مدينة الرقة منذ الفتح العربي وحتى الآن، وقائع الندوة الدولية حول الرقة وآثارها،1401هـ/1980م.

د- **عياش، عبد القادر:** حضارة وادي الفرات مدن فراتية القسم السوري.

هـ- **فّرا، صونيا:** الرقة وأبعادها الاجتماعية.

و- **لسترنج، كي:** بلدان الخلافة الشرقية.

أوضاع المنطقة في الحقبة مجال البحث لذلك احتوى كتابه على معلومات قيمة.الزوقنيني:تاريخ الزوقنيني المنحول لديونيسيوس التلمحري، ترجمه من السريانية: الشماس بطرس قاشا، قدم له وعلق على حواشيه: سهيل بطرس قاشا، المكتبة البوليسية، بيروت، 1427هـ/2006م، ص21، سيشار إليه لاحقاً: الزوقنيني: تاريخ.

(1) ولد ميخائيل الكبير في مدينة ملطية الواقعة على نهر الفرات في سنة520هـ/1126م من عائلة يسميها ابن العبري آل قنداسي، وأصبح رئيساً لدير مار برصوم لمدة عشر سنوات، ثّم أصبح بطريكاً لأنطاكية حتى عزله المطران يوحنا القالونيقي في سنة 570هـ/1174م ، وقد عاش في جو سياسي استثنائي، فقد كانت الدولة العباسية تحتضر، والصليبيون يرسلون الحملات التي نشرت الدمار وسفكت الدماء أينما وصلت، فدون ميخائيل الكبير هذه الأحداث المؤلمة، وقدّملها بخلفية تاريخية تبين أوضاع المنطقة. مار، ميخائيل الكبير: تاريخ ميخائيل الكبير، ترجمة: مارغريغوريوس صليبا شمعون، تقديم: مارغريغوريوس يوحنا ابراهيم، دار ماردين، ط1، حلب، 1417هـ/1996م، ج3، ص13-14، سيشار إليه لاحقاً: ميخائيل الكبير: تاريخ.

ز- **مجموعة من المؤلفين:** الرقة درة الفرات.

وتمت الاستفادة من العديد من الرسائل الجامعية ، لكونها دراسات موثقة تعتمد المنهج العلمي القائم على التحليل والنقد والاستنتاج والمقارنة ، فهي بذلك مراجع قيمة، وهي:

أ- **خماش، نجدت:** الشام في عهد الإسلام، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة دمشق، د.ت .

ب- **سرماني، حنيفة:** إقليم الجزيرة منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر السفياني، إشراف: سهيل زكار، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة دمشق،1427هـ/2006م.

ج- **سرماني، حنيفة:** إقليم الجزيرة خلال العصر المرواني(الأموي) 64-132هـ/684-750م، إشراف: سهيل زكار، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، 1431هـ/ 2009م.

د- **سينو، أحمد:** الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في الجزيرة الفراتية 132- 232هـ/ 750- 850م، إشراف: أمينة بيطار، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق،1407هـ/ 1986م .

ثانياً: دراسة جغرافية تاريخية للرقة:

1-الموقع الجغرافي:

لقد تباين الجغرافيون العرب في نظرتهم إلى حدود الجزيرة الفراتية، ولكن هذا التباين لم يكن كبيراً في معظم الأحيان، ويكاد يجمع هؤلاء على أنّ الجزيرة الفراتية تشكل الأرض الواقعة بين نهري

دجلة والفرات[1]، حيث تبدأ حدودها من الشمال من مخرج ماء الفرات من داخل بلاد الروم عند ملطية إلى سميساط متجهة نحو الجنوب ومسايرة لنهر الفرات إلى منبج وبالس[2]، ثّم تنحرف حدودها شرقاً لتبدأ الحدود الجنوبية متجهة نحو الشرق مروراً بالرقة وقرقيسياء[3] والرحبة وصولاً إلى الأنبار في أقصى الشرق، ثم تعود وتنحرف باتجاه الشمال إلى تكريت[4] على دجلة، ثّم تصعد إلى جزيرة ابن عمر شمالاً وتتجاوزها إلى آمد[5] التي تفصلها عن أرمينية شمالاً[6]، وبذلك يمكن ضبط حدود الجزيرة الفراتية كالتالي حيث يحدها من الشمال بلاد أرمينية وبيزنطة، ومن الغرب بلاد بيزنطة وإقليم الشام، ومن الجنوب بلاد الشام والبادية، ومن الشرق نهر دجلة القادم من الشمال والمار بعدد من المدن مثل آمد وجزيرة ابن عمر والموصل وتكريت والذي يفصلها عن باقي العراق.[7]

سكنت الجزيرة الفراتية منذ حقبة ما قبل الإسلام ثلاث قبائل عربية يعود نسبها إلى عامر بن صعصعة[8] قدمت من شبه الجزيرة العربية، وتوزعت بطونها فيها فعرفت مناطقها بأسماء بطون هذه القبائل، حيث استقرت ربيعة في حوض دجلة في الجزء الشمالي الشرقي من الجزيرة الفراتية وسميت

---

(1) الادريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الحموي الحسني: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، بيروت، 1409 هـ / 1989م، مج 2، ص655، سيشار إليه لاحقاً: الإدريسي : نزهة .

(2) بالس: تقع إلى الغرب من الرقة على طريق حلب، على الضفة الغربية لنهر الفرات. الحموي: معجم البلدان، ج2، ص328.

(3) قرقيسياء: بلدة على الخابور، تقع عند التقاء الخابور بالفرات. الحموي: معجم البلدان، ج4، ص328.

(4) تكريت: هي بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي أقرب إلى بغداد. الحموي: معجم البلدان،ج2، ص38.

(5) آمد: وهي من أعظم مدن ديار بكر، على نهر دجلة لها سوريحيط بها كالهلال مبني من الحجر الأسود. الحموي: معجم البلدان، ج1، ص56.

(6) ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1400 هـ / 1979 م، ص189، سيشار إليه لاحقاً: ابن حوقل : صورة .

(7) أبو الفدا، إسماعيل: تقويم البلدان، نقحه وطبعه رينود: البارون ماك كوتين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1256هـ/1840م، ص 373، سيشار إليه لاحقاً: أبو الفدا: تقويم .

(8) ابن الكلبي، هشام أبو المنذر بن محمد بن السائب الكلبي: جمهرة النسب، تح: محمود فردوس العظم، = = مراجعة: محمود فاخوري، دار اليقضة العربية، دمشق، د.ت، ج2، ص55–64، سيشار إليه لاحقاً: ابن الكلبي: جمهرة النسب.

بديار ربيعة، واستوطنت بكر في الجزء الشمالي من الجزيرة وسميت ديار بكر، واستقرت مضر في الجزء الغربي في حوض البليخ والفرات وسميت ديار مضر .[1]

وفي الجزيرة الفراتية عدد من التجمعات السكنية المتنوعة من حيث الأهمية السياسية والاقتصادية، وأهمها الموصل قصبة[2] ديار ربيعة ومن مدنها حديثة، معلثاي، الحسينية، تلعفر[3]، سنجار[4]، الجبال، بلد[5]، أذرمة، برقعيد، نصيبين، دارا، كفرتوثا، رأس العين، ثمانين، وجزيرة ابن عمر، ومدنها نيشابور، باعيناث، المغيثة، الزوزان، وأهم المدن في ديار بكر آمد قصبة ديار بكر ومن مدنها ميافارقين، تل فافان، حصن كيفا، الفار، حاذية، وغيرهن، وأهم المدن في ديار مضر الرقة قصبة ديار مضر ومن مدنها المحترقة الرافقة، خانوقة، الحريش، تل محرى[6]، باجروان، حصن مسلمة، ترعوز، حران، الرها، وسروج، كفرزاب، كفر سيرين.[7]

وديار مضر تحاذي الفرات، وأهم مدنها الرقة التي تتوضع عند مصب نهر البليخ المنحدرمن الشمال إلى الفرات، وشيدت في موضع المدينة القديمة(كالينكوسcallinicus) وهي

---

(1) لسترنج، كي: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية وأضاف إليه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، ط1، بغداد ، 1373 هـ / 1954م ، ص114، سيشار إليه لاحقاً : لسترنج: بلدان .
مجموعة من المؤلفين: الرقة درة الفرات، مراجعة: سهيل زكار، منشورات وزارة الثقافة، ط1، دمشق 1413 هـ/ 1992 م، ص19، سيشار إليه لاحقاً: مجموعة من المؤلفين: الرقة .

(2) القصبة: أشهر مكان في منطقة ما عاصمة أو مركز، الحموي: معجم البلدان، ج4، ص366. أبو حرب، محمد خير: المعجم المدرسي، منشورات وزارة التربية، ط1، دمشق، 1406هـ/1985م، ص793، سيشار إليه لاحقاً: أبو حرب: المعجم. دوزي، وينهارت: تكملة المعاجم العربية، نقله من الفرنسية وعلّق عليه: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، ط1، د.م، 1418هـ/1997م، ج8، ص286، سيشار إليه لاحقاً: دوزي: تكملة.

(3) رسمها ياقوت الحموي في معجم البلدان: تل أعفر، وهي قلعة بين سنجار والموصل، في وسط وادي فيه نهر جاري، ج2، ص39.

(4) سنجار: هي مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة تقع إلى الغرب من الموصل. الحموي: معجم البلدان،ج3، ص262.

(5) بلد: هي مدينة قديمة على نهر دجلة فوق الموصل. الحموي معجم البلدان،ج2،ص481.

(6) تل محرى: بلدة تقع على نهر الخابور إلى الشمال من الرقة، فيها سوق وحوانيت. الحموي: معجم البلدان، ج2، ص43.

(7) المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله المعروف بالبشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي،= = ط3، القاهرة، 1411هـ/1991م، ص137 سيشار إليه لاحقاً: المقدسي: أحسن التقاسيم .

نقفوريوم(Nicphorium) [1]، ومضر من قبائل عرب الشمال العدنانيين الذين نزحوا إلى الجزيرة الفراتية قبل الإسلام بعدة قرون واستقروا فيها، فالرقة من صميم الجزيرة وهي قلبها النابض منذ أقدم العصور إلى اليوم، وصلة القبائل العربية المضرية وسواها بالمنطقة قديمة تعود إلى قرون ما قبل الإسلام، ومن المحتمل أنّه منذ القرن السادس للميلاد قطن فيها الكثيرون من قبيلة طيء العربية كالشاعر الأموي أبي زبيد الطائي الذي عاصر الخليفة الراشدي عثمان بن عفان وحضر مجالسه[2]، وحدد المقدسي مكانها حيث يذكر: "الرقة قصبة ديار مضر على الفرات بحصن عريض يسير على متنه فارسان غير كبيرة، ولها بابان وهي طيبة نزهة قديمة الخطة حسنة الأسواق كثيرة القرى والبساتين والخيرات"[3]، وهي تمتد في وادي الفرات الذي يتراوح عرضه بين 7- 12 كم [4] على الضفة اليسرى لنهر الفرات قبل التقائه بنهر البليخ بنحو10 كم ...، وتبعد عن مدينة حلب الواقعة في غربها190 كم وعن دير الزور التي تقع إلى الشرق منها قرابة 140كم[5]، وعلى درجة العرض 36 وخط الطول 39، وتدين بأهميتها إلى موقعها المتوسط الذي جعلها موضع التقاء للطرق التجارية المتجهة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب مما جعلها محطة تجارية مهمة بين الجزيرة الفراتية والشام والعراق وأرمينيا وآسيا الصغرى والبحرالمتوسط، وتدين بأهميتها أيضاً لامتداد أراضيها الخصبة وسهولة إروائها، ووفرة مياهها، واتساع مراعيها[6]، هذا الموقع الجغرافي المتميز جعلها تحتل مكانة تجارية وزراعية وحضارية كبيرة عبر التاريخ[7]، حيث أصبحت من أهم المدن في العصر العباسي. [8]

---

(1) لسترنج: بلدان، ص132.

(2) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص19.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 141 .

(4) مجموعة من المؤلفين: سورية التاريخ والحضارة (منطقة الجزيرة محافظات الرقة – دير الزور – الحسكة)، منشورات وزارة السياحة، ط1، دمشق، 1422هـ/ 2001 م، ص53 ، سيشار إليه لاحقاً: مجموعة من المؤلفين: سورية التاريخ .

(5) طلاس، مصطفى: المعجم الجغرافي السوري، مركز الدراسات العسكرية، ط1،دمشق، 1413هـ/1992م، مج3، ص50، سيشار إليه لاحقاً : طلاس: المعجم. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص21.

(6) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص20 .

(7) طلاس: المعجم، مج3، ص50 .

(8) صليبي، نسيب: ثلاثة قصور من الرقة القديمة، وقائع الندوة الدولية حول الرقة وآثارها، الرقة، 1402هـ/ 1981م، ص44 ، سيشار إليه لاحقاً: صليبي: ثلاثة قصور .

2 – التسمية:

الرقّة بفتح الراء والقاف مع تشديدها وفقاً لضبط الحموي لها وأصلها كل أرض إلى جنب وادٍ ينبسط عليها الماء، وجمعها رقاق وقال غيره: الرقاق الأرض اللينة التراب، وقال الأصمعي: الرقاق الأرض اللينة من غير رمل وأنشد: كأنها بين الرقاق والخمر إذا تبارين شآبيب مطر [1]

وفي الأعلاق الخطيرة عن هشام بن الكلبي قال: إنّما سميت الرقة لأنّها على شاطئ الفرات، وكل أرض على الشط ملساء مستوية فهي رقة، وهي مشهورة على الجانب الشرقي من الفرات، ويقال لها: الرقة البيضاء[2] ، وهذا الاسم من المؤكد أنّه أطلق عليها منذ الفتح الإسلامي لها، وجاء وارداً على لسان سهل بن عدي أحد القادة المشتركين في فتحها بقوله:

وصادفنَا الفراتُ غداةَ سِرْنا إلى أهلِ الجزيرةِ بالعَوالي

أخذنا الرقةَ البيضاَء لماّ رأْينا الشهَر لّوَح بالهلالِ [3]

ولعلّ تسمية الرقة البيضاء بهذا الاسم نسبةً إلى جدران بيوتها الخارجية التي كانت تطلى بالكلس الأبيض حيث استخدمت هذه المادة على مر العصور المتلاحقة في الجزيرة حيث يكثر الكلس، أو لاستعمال المرمر في بناء بعض المباني فيها[4]، وورد في العصر الأموي اسم " الرقة الحمراء"[5]، وهي موضع أو قرية تقع إلى الشرق من الرقة البيضاء [6]، وبين الحمراء هذه والرقة البيضاء تقع الرقة السوداء على شاطئ البليخ حيث يحدد موقعها الحموي أسفل الرقة بحوالي الفرسخ[7]، وهي قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة، وشربها من البليخ والجميع متصل [1]، ويذكرها المقدسي بقوله:

---

(1) الحموي: معجم البلدان، ج3، ص58– 59. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص59.

(2) ابن شداد: الأعلاق، ج3،ق1،ص69. أبو الفدا: تقويم، ص185. الحموي: معجم البلدان، ج 3، ص58 .

(3) الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي: فتوح الشام، دار صادر، بيروت، 1425هـ/ 2004م، ج1، ص348، سيشارإليه لاحقاً: الواقدي: فتوح. الحموي: معجم البلدان، ج 3 ، ص59. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص61. الشعيبي، علي: ربيعة الّرقي شاعر الرقة العباسي، مطابع الجمهورية، ط2، دمشق، د.ت، ص41، سيشار إليه لاحقاً: الشعيبي: ربيعة الرقي.

(6) شتورم، ويتر: أهمية مدينة الرقة منذ الفتح العربي وحتى الآن، وقائع الندوة الدولية حول الرقة وآثارها، الرقة،1401هـ/1980م ،ص139، سيشار إليه لاحقاً: شتورم: أهمية الرقة.

(5) الجهيشاري: الوزراء، ص12. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص61.

(6) مازال لسم القرية قائماً حتى الوقت الحاضر حيث تقع شرق الرقة تعرف باسم " رقة سمرة حالياً " الباحث.

(7) الفرسخ: مقياس قديم يقدر بثلاثة أميال، والميل: هو مقياس طول بري وبحري، والبري يقدر ب 1609م، والبحري1854م، مصطفى، إبراهيم الزيات، أحمد، حسن: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، اسطنبول،

والمحترقة قريبة من الرقة[2]، ويوضح لسترنج أنّ الرقة سميت بالسوداء تميزاً لها عن كثيرمن المدن التي حملت الاسم، وربما تكون التسمية مأخوذة من الأرض الزراعية(السواد). [3]

ولم يجد الباحث في الموارد التي تّم الاطلاع عليها موضعاً أو بلداً من هذه البلدان والمواضع حمل اسم الرّقتين، من باب التغليب كقول " الغوطتتين " أو النيربين " سوى مدينة الرقة الجزرية، موضوع البحث، ويغلب على الظن أنّ هذه الصيغة أطلقها العرب على مدينتين متجاورتين قبل الإسلام، وحتى في أيام الفرس والروم يورد المؤرخون اسم الرقتين وهما " قالوقية " التي هي قالونيقوس، أو كالينكوس، و " قبدوقية. [4]

ومع بداية الفتح الإسلامي لها شاع استخدام الرقتين وجاء على لسان عبد الله بن قيس الرقيات المتوفى سنة 85هـ/704م في قصيدة وجهها إلى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب مادحاً له في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان من أبياتها:

ذكرتكَ إنْ فاضَ الفراتُ بأرضِنا   وجاشَ بأعلى الرقتينِ بحارُها
وعِنْدي مِمّا خوّلَ الله ُهجمةٌ   عطاؤكَ منها شولُها[5] وعشارُها[6]

وفي بداية العصر العباسي ذكرها ربيعة الرقي بقوله:

لا تلْمّني بالرقْتينِ ودعْنـي   إنَّ قلبِي بالرقْتينِ رهينُ
ياندِيمِي أَما تحنُّ إلى القصفِ   فهذا أوانُ يبدو الحنينُ

ووصفها الصنوبري في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بعد بناء الرافقة بقوله:

واهٍ لرافقةِ الجنوبِ محلةً   حسُنَتْ لها أنهارُها وجنانُ ها
يابلدةً مازالَ يعظُم قهرُها   في كلّ ناحيةٍ ويعظُمُ شأنُ ها [1]

د.ت، ج1، ص737، ج2، ص894، سيشار إليه لاحقاً: مصطفى: المعجم الوسيط.

(1) الحموي: معجم البلدان، ج 3، ص 60 .

(2) ابن العديم: بغية، مج1، ص509. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص141 .

(3) لسترنج: بلدان، ص 132. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص61.

(4) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص 60.

(5) شولها: النوق التي خف لبنها، وارتفع ضرعها، ومضى على نتاجها سبعة أشهر، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1410هـ/1990م، مج11، ص374–375، سيشار إليه لاحقاً : ابن منظور: لسان العرب

(6) عشارها: مفردها عشراء وهي الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر، ابن منظور: لسان العرب، مج4، ص572. الحموي: معجم البلدان، ج 3، ص 59 – 60.

وثناها ياقوت الحموي وذهب إلى أنهما الرقة والرافقة ، وربّما كان ما ذهب إليه ياقوت الحموي صحيحاً، خلال المرحلة التي تلت بناء الرافقة في العصر العباسي وازدهارها كمدينة حديثة، فقد جاء في قول ياقوت : " أظنّهم ثنّوا الرقة والرافقة كما قالوا : العراقان للبصرة والكوفة.[2]

ومن ذلك يمكن القول: إنّ لفظ الرقتين قديم قد ورد مع بداية الفتح الإسلامي لها، وربما قبل ذلك أي قبل بناء الرافقة التي بناها المنصور في سنة 155هـ/771م بشكل أكدته معظم الروايات.[3]

3-المظاهر الطبيعية:

تتألف تضاريس الرقة من وادي الفرات الذي يشكل وادياً بعرض 7 – 12 كم، وتمتد باتجاه الشمال منه في سهول الجزيرة [4]، وتعود أرضها إلى الزمن الجيولوجي الثالث وتتكون من رسوبات بحرية وبحيرية، برزت مع انحسار مياه الخليج العربي نحو الشرق، وهي تحتوي على نسبة عالية من الأملاح إضافة إلى الجبس والكلس والمارن والغضار، تغطيها أرض تعود للزمن الجيولوجي الرابع، وبخاصةً في الجزء الأوسط من المنطقة، وعلى أطراف الأودية النهرية، وقد تأثرت بعدد من الصدوع التي تساير وادي الفرات من الغرب إلى الشرق، وأهم هذه الأودية البليخ والأحمر وقرموح، وتتألف أرض هذه المنطقة من سهول واسعة في الجزيرة العليا والسفلى ووادي الفرات مع بعض التلال القليلة الارتفاع كطوال العبا الذي يرتفع 483 م، وتلال الشامية المطلة على وادي الفرات من الجنوب، وتلال المنخر الغربي البركاني الذي يرتفع 404م، والمنخر الشرقي الذي يرتفع 357 م، وتبعد 30 كم شرق الرقة.

بالإضافة إلى الجزء الغربي من جبل البشري الذي يرتفع 825 م في جبل ثاليثوات، ويلاحظ انتشار القشرة الصحراوية فيها على نطاق واسع لاسيما في الجهة الجنوبية من وادي الفرات.[5]

والجزيرة عموماً غنية بعيونها التي تتفجر بعد هطل الأمطار وذوبان الثلوج وأحياناً تجف في السنين القاحلة القليلة الأمطار ومن أشهر هذه العيون عين الأحتات وعين باكلا [6]، وعين التوتة، وعين حوزة، وعين الحربيات، ونبع العروس، وعين عيسى، والشركراك وغيرها. [1]

---

(1) الشابشتي، أبي الحسن علي بن محمد: الديارات، تح: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، ط3، بيروت، 1406هـ/1986م، ص220– 222، سيشار إليه لاحقاً: الشابشتي: الديارات.

(2) الحموي: معجم البلدان، ج3، ص59–60. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص60.

(3) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص61.

(4) مجموعة من المؤلفين: سورية التاريخ ، ص 53.

(5) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص21. طلاس: المعجم،ص503.

(6) ابن شداد: الأعلاق، ج3، ق1، ص156–258. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص24.

ّمما تقدم يمكن القول: إنّ غنى الجزيرة بمياهها الجوفية ساعد على الاستقرار وازدهار الحياة الاقتصادية والزراعية ولذلك أدرك الأمويون ومن بعدهم العباسيون أهميتها وضرورة السيطرة عليها.

4- المناخ:

تتمتع الجزيرة الفراتية بمناخ متنوع وذلك بتأثير الجهة والارتفاع أو القرب من الجبال ومن البادية والصحاري في المنطقة، فالمنطقة الشمالية باردة لأنّها مرتفعة قريبة من الجبال، أمّا المنطقة الشرقية فمناخها معتدل بل يميل إلى البرودة أحياناً لقربها من الجبال أيضاً، ولذلك قصدها السكان للتنزه والاصطياف وكثيراً ما تغنى الشعراء بطبيعة الهواء والمناخ في مختلف نواحيها مثل باقردي، وبازبدي، وجزيرة ابن عمر، والمنطقة الغربية تميل إلى الاعتدال والدفء مع وجود مناطق حارة، أمّا المنطقة الجنوبية من الجزيرة الفراتية فهي معتدلة ترتفع فيها درجات الحرارة باتجاه الجنوب وذلك لقربها من البادية.[2]

وأياً كان فإنّ مناخ الجزيرة الفراتية قريب للشام في بعض المواضع ومشابه للعراق في مواضع أخرى، وقد وصفه المقدسي بقوله: " أما الهواء والرسوم فمتقاربة للشام، ومشابهة للعراق فيه مواضع حارة، وتوجد أشجار النخيل في سنجار ومدن الفرات، وآمد باردة لقربها من الجبال".[3]

5- التربة:

الجزيرة الفراتية ذات تربة جيدة، عالية الخصوبة، لاسيما في قسمها الشرقي، ووسطها، ومعظم جهاتها، وتقل خصوبتها باتجاه الجنوب لاقترابها من البادية [4] ، وهذه التربة تشكل سهول واسعة في الجزيرة السفلى ووادي الفرات والبليخ وسهول حوضي الرصافة ومسكنة [5]، وقد وصفها ابن شداد: بأنّها ولاية غنية خصبة بالنسبة لغيرها من الولايات العربية والإسلامية تمدها أنهارها وعيونها وأبارها بالماء، وقد كان المثلث المحصور بين جبلي عبد العزيز وسنجار منطقة مزروعة

---

(1) ابن شداد: الأعلاق، ج3، ق2، ص500-543.

(2) سينو، أحمد: الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في الجزيرة الفراتية 132-232هـ/750-847م، إشراف: أمينة بيطار، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، دمشق، 1407هـ/1986م ص 23، سيشارإليه لاحقاً: سينو: الحياة السياسية.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 143.

(4) سينو: الحياة السياسية: ص 26 .

(5) طلاس: المعجم، ص 503 .

مترامية الأطراف، وكذلك توجد مناطق زراعية واسعة على طول نهري البليخ والخابور[1]، وعليه فإنّ معظم أراضي الجزيرة ذات تربة خصبة ومناخها متنوع وأنهارها ومياهها وفيرة، وهذا ما ساعد الجزيرة عموماً والرقة خصوصاً على تنوع الغلات الزراعية، واحتلال مكانة اقتصادية متميزة في العالم الإسلامي في العصر العباسي ، لأنّ العوامل المذكورة ساهمت في استقرار السكان وبدورهم ساهموا في مختلف النشاطات الاقتصادية والحضارية، وبالتالي السياسية.

6- المياه :

تقع الجزيرة الفراتية بين نهرين كبيرين هما الفرات ودجلة [2]، ويرفدهما عدد من الأنهار والأودية (الملحق6) ومن الملاحظ أنّهما يستقبلان روافدهما من جهة اليسار (الشرق) وهما قادمان من الشمال، وهذا ما يؤكده لسترنج بقوله: إنّ دجلة والفرات في بلاد ما بين النهرين العليا يستقبلان روافدهما من يسارهما، فقد كانت هذه الروافد تتحدر من شمالها الشرقي أو من الشمال[3]، ومن الروافد التي تصب في نهر الفرات نهر البليخ الذي ينبع من عين تسمى عين العروس في شمال حران، حيث يتجه هذا النهر باتجاه الجنوب حتى يصب في نهر الفرات جنوب مدينة الرقة[4]، وطوله 105 كم يفيض في الشتاء والربيع وعادةً تنقطع مياهه في الصيف والخريف ليس من قلة وانخفاض في مياه البليخ بل من جراء استغلال مياهه للري والزراعة[5]، وتتفجر في منطقة رأس العين العديد من العيون بلغ عددها ثلاثمائة وستين عيناً تجري مياهها باتجاه الجنوب لتصل إلى الرقة، حيث دلت الدراسات الجيولوجية على غنى الجزيرة الفراتية بالمياه الجوفية وتستفيد منها الرقة بشكل مباشر أو غير مباشر بحيث يستخدم قسم كبير منها للري وتقدر كميتها بـ365 مليون م^3 سنوياً إلى جانب استعمال جزء من

---

(1) ابن شداد: الأعلاق، ج 3، ص44.

(2) الهمذاني، ابن الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد: مختصر كتاب البلدان، ط ليدن ، 1302 هـ /1884م، ص128، سيشار إليه لاحقاً : الهمذاني: مختصر.

(3) لسترنج: بلدان، ص 114 .

(4) لسترنج: بلدان، ص 134. ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر: الأعلاق النفيسة، ط ليدن، 1309هـ/ 1891م، مج7، ص90،سيشار إليه لاحقاً : ابن رسته: الأعلاق.

(5) داود، اسكندر: الجزيرة السورية بين الماضي والحاضر، تقديم: سامي الدهان، دمشق، 1379هـ/ 1959، ص99،سيشار إليه لاحقاً : داود: الجزيرة. مارديني، أحمد شريف: الحسكة ، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق ،1407هـ/ 1986، ص 40 – 43، سيشار إليه لاحقاً مارديني: الحسكة. عبد السلام، عادل: جغرافية سورية، مطبعة الروضة، دمشق 1401هـ /1980م ، ص181–182، سيشار إليه لاحقاً: عبد السلام: جغرافية.

هذه المياه لأغراض الشرب، والاستعمالات المنزلية وتشتمل على أحواض فرعية وهي حوض رأس العين: ويشتمل على غشاء مائي ارتوازي، وهو غني بالمياه تنبع على السطح كينابيع رأس العين 40 م^3/ثا وعين العروس 6 م^3/ثا، وحوض الحزام الأوسط، وهو الحزام المحيط بجبل سنجار، وعبد العزيز، وطوال العبا، حيث يوجد الماء في طبقات الجص غير بعيد عن سطح الأرض.[1]

7- السكان:

توفرت في الرقة أسباب مناسبة للاستقرار، فكانت مركزاً للتجمع البشري منذ أقدم العصور وقبل الحديث عن الأقوام والقبائل التي استقرت في الرقة يجب التأكيد على أنّ هذه القبائل لم تهاجر دفعة واحدة، ولم تستوطن في مكان محدد بل دائماً كانت في حالة من التنقل والتمازج والاختلاط على الرغم من أنّ بعض المناطق سميت بأسماء القبائل التي استوطنتها، فقد شكلّ وادي الفرات خلال جميع العصور ممراً للقبائل بين الشام والعراق تبعته القبائل وحتى الجيوش[2]، كما أنّ ظروف معينة كانت تقع فتسبب هجرات فردية أو جماعية، وعلى الأرجح أنّ هذه القبائل الوافدة إلى الجزيرة الفراتية كانت من عرب الشمال العدنانيين هاجرت من نجد إلى العراق وتسربت إلى الجزيرة الفراتية عبر وادي الفرات، وهي قبائل مضر[3]، وربيعة، وإياد، وأنمار[4]، بالإضافة إلى هذه القبائل وفدت قيبلتي شيبان وبكر اللتان جذبتهما عوامل الخصب، حيث بدأتا الاستقرار في أماكن محددة، فعرفت كل منطقة باسم القبيلة التي تستوطنها، كديار ربيعة من جهة العراق، وديار مضر في الغرب، وديار بكر في الشمال، ويرجح أنّ هذه الهجرات تمت حوالي عام 380م.[5]

أمّا نصيب الرقة الواقعة جنوب غرب الجزيرة الفراتية فكان القبائل المضرية بفرعيها بني إلياس

---

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص140-144. عبد السلام: جغرافية، ص 169 – 170 .

(2) مجموعة من الباحثين: المفصل في تاريخ الرقة، إشراف: علي الشعيبي، دمشق، 1424 هـ/2003م، مج4، ص4، سيشار إليه لاحقاً: مجموعة من الباحثين: المفصل.

(3) كحالة: معجم، ج3، ص1107.

(4) القطب، سميرعبد الرزاق: أنساب العرب، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص197، سيشار إليه=

= لاحقاً: القطب: أنساب. دسوقي، محمد عرب: القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصرالأموي، الهيئة المصرية للكتاب، المنوفية، 1419هـ/ 1998م، ص126، سيشار إليه لاحقاً: دسوقي: القبائل.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص137. سينو: الحياة السياسية، ص222.

ابن مضر، وبني قيس عيلان بن مضر، وخندف[1]، وكان لإلياس من الولد: مدركة، وطابخة، وقمعه.[2]

ومع بداية الفتح الإسلامي للرقة على يد عياض بن غنم بدأ مشروع التوطين العربي المنظم للقبائل العربية[3]، الذي استمر في العصر الأموي والعباسي، فتدفقت القبائل المضرية على دفعات، ومع مرور الزمن تحول قسم كبير منهم للاستقرار. [4]

أّما في العصر العباسي فلم يتغير التركيب السكاني في الرقة كثيراً، فقد ورد في شعر ربيعة الّرقي ت. 198هـ/813م إشارة إلى وجود قبائل من قريش وأسد فيها بقولـه:

---

(1) خندف: اسم امرأة إلياس بن مضر عرف بنوها باسمها ابن الكلبي: جمهرة النسب، ج2، ص1.

(2) الزوقنيني: تاريخ، ص71. القطب: أنساب، ص197. ابن الكلبي: جمهرة النسب، ج2، ص1. كحالة: معجم، ج3، ص1107.

(3) خلال مسيرة الفتح الإسلامي دعيت قبيلة تغلب إلى الإسلام أوالجزية، فأبت الإسلام تمسكاً بدينها، وامتنعت عن الجزية لأنهم عرب ولا يجب أن يعاملوا كالأعاجم، وطالبوا أن تضاعف عليهم الصدقة بدلاً من الجزية، وهددوا بالرحيل إلى بلاد الروم إن لم يجابوا إلى طلبهم، فقال النعمان بن زرعة لعمر بن الخطاب: أنشدك الله في بني تغلب فإّنهم قوم من العرب آنفون من الجزية، وهم قوم شديدة نكايتهم فلا يعن عدوك عليك بهم، فأرسل عمر في طلبهم، وردهم، وضاعف عليهم الصدقة حرصاً منه على أن تبقى هذه القبيلة في الجزيرة الفراتية. البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، تح: طه عبد الرءوف سعد –عمر أحمد عطوه، مطبعة ابن خلدون، الإسكندرية، د.ت، ص205، سيشار إليه لاحقاً البلاذري: فتوح. الواقدي: فتوح، ج1، ص348. الحموي: معجم البلدان، ج2، ص135. الزوقنيني: تاريخ، ص71. دسوقي: القبائل، ص127-195. عياش، عبد القادر: حضارة وادي الفرات مدن فراتية القسم السوري، إعداد: وليد مشوح، مطبعة دار الآهالي، ط1، دمشق، 1410هـ/ 1989م،ص249، سيشار إليه لاحقاً: عياش: حضارة

(4) أقطع معاوية ريف الجزيرة الفراتية لقبيلة قيس ومن المهاجرين قبيلة قيس عيلان التي جعل الله لها من الكثرة أمراً عظيماً، ولكثرة بطونها غلب اسمها على سائر البطون العدنانية، فجعل اسمها مقابل عرب اليمن قاطبةً، فقيل: قيس مقابل يمن، وعند مقتل عثمان بن عفان سنة 35هـ/655م=

= هرب أنصار عثمان إلى معاوية ، فخشي من اختلاطهم بأهل الشام فقرر توطينهم في الجزيرة لتصبح امتداداً للشام في ولائها للأمويين. ابن العديم: بغية، مج8، ص3798-3801. الزوقنيني: تاريخ، ص71. دسوقي: القبائل، ص232. خماش: الشام في عهد الإسلام، رسالة دكتوراه غيرمنشورة، جامعة دمشق، د.ت، ص41، سيشار إليه لاحقاً: خماش: الشام في عهد الإسلام. حباب: تاريخ، ص29. حباب، محمد صالح: تاريخ الرقة ابتداء من فتحها وحتى دمارها، مؤسسة الرسالة، ومنشورات العصرالحديث، د.ت، ص29، سيشار إليه لاحقاً : حباب: تاريخ. عياش: حضارة، ص256.

حبـّذا الرقةُ داراً أو بلْد　　بلداً ساكنه ُ ممنْ تودْ

إلى أن يقول: لْم تضمَّنْ بلدةٌ ماضمنتْ　　منْ جمالٍ في قريشٍ وأسدْ

كما استقبلت جماعات من العرب والعجم، فهناك بنو سليم وقريش، وعاش فيها عدد من الأمراء العباسيين القرشيين مثل عبد بن صالح بن علي الهاشمي، والعباس بن محمد الذي اتخذ الرقة مقراً له، وطلاب العلم والتجار والشعراء الراغبون في عطاء الخليفة هارون الرشيد والأمراء [1]، كما وجد في الرقة مجموعة كبيرة من المسيحيين السريان[2]، ومعظمهم من اليعاقبة القائلين أنّ للمسيح طبيعة واحدة[3]، كما لم تذكر المصادر التي تّم الاطلاع عليها تعداداً عاماَ لسكانها في الحقبة مجال البحث.

ثالثاً– الأوضاع السياسية العامة قبيل قيام الخلافة العباسية :

1– الأوضاع العامة للخلافة الإسلامية والعالم المحيط بها:

حكمت الأسرة العباسية في مطلع عصرها العالم الإسلامي، بحدوده التي ورثتها عن الأسرة الأموية عدا أقصى المغرب العربي والأندلس، فضمت بذلك:

– في قارة أسيا المنطقة التي يحدها شمالاً حوض نهر سيحون[4]، والسواحل الجنوبية لبحر الخزر (قزوين)، ومرتفعات القفقاس وأرمينية، وجبال طوروس، وشرقاً حوض نهر السند، ومن الجنوب الشرقي الخليج العربي ومن الجنوب بحر العرب، ومن الغرب البحر المتوسط والبحر الأحمر .

– وفي إفريقيا المنطقة الشمالية المطلة على البحر المتوسط شمالاً والبحر الأحمر شرقاً، وشمالي السودان حتى الشلال الثالث للنيل والصحراء الإفريقية الكبرى جنوباً، والمحيط الأطلسي غرباً.

---

(1) العاني، زكي ذاكر العاني: شعر ربيعة الّرقي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،1401 هـ/1980م، ص14، سيشار إليه لاحقاً : العاني: شعر. مجموعة من المؤلفين: الرقة.

(2) السريان: طرح العلماء والمؤرخون أراء متعددة حول السريان منهم من يقول: أّنها مشتقة من قورش وآخرون: يرون أّنهم آراميون نسبة إلى جدهم، وقد دخل اسم السريانية إلى الآرامية بعد المسيح على يد الرسل. ميخائيل الكبير: تاريخ، ج3، ص382. الزوقنيني: تاريخ، ص73. ساكا، إسحق: السريان إيمان وحضارة، مطرانية السريان الأرثوذكس، حلب، 1414هـ/ 1993م، ص65، سيشار إليه لاحقاً: ساكا: السريان .

(3) أصحاب الطبيعة الواحدة، وينسبون إلى يعقوب البرادعي المتوفى قرب نصيبين عام 578م. عياش: حضارة، ص240.

(4) نهر سيحون: نهر مشهور كبير بعد سمرقند تسمى البلاد التي تقع بعده إلى الشرق بلاد ما وراء النهر يجمد في الشتاء وعلى جمده تسير القوافل، الحموي: معجم البلدان، ج3، ص 294 .

– وفي قارة أوربا الأندلس.[1]

إنّ نظرة متفحصة لهذه الرقعة المكانية التي كان يضمها العالم العربي الإسلامي تحت جناحيه في ظل الدولة العباسية، لتدل على اتساع الدولة وحجم الإرث الذي ورثته عن الدولة الأموية في هذه الحقبة، حتى باتت على اتصال مباشر أو غير مباشر مع معظم الشعوب الموجودة في ذلك الوقت فيحدها:

– من الشرق بلاد الهند التي كانت تفتقر للوحدة السياسية، حيث كانت موزعة إلى ممالك متعددة تحكمها أسر محلية.

– وإلى الشمال الشرقي منها تمتد بلاد الصين وعلى رأس الحكم فيها أسرة تانغ 169–495هـ/618–901م، التي استشعرت الخطر العربي الإسلامي، وقوة الخلافة في المناطق الشرقية، فجمعت قوتها الكاملة، حيث واجهت جيوش العباسيين في معركة تلاس سنة 133 هـ/ 750 م بعد مدة وجيزة من قيام الدولة العباسية.

– وفي شرق بلاد ما وراء النهر(ترانس اوكسانيا) التي كانت منتجعاً للقبائل التركية التي تجوب السهوب الممتدة بين شمال البحر الأسود والخزر(قزوين) وبحر آرال، ولم تكن هذه القبائل قد نالت شيئاً من الحضارة بل كانت تعيش عيشة بدوية خالصة تتنقل طلباً للكلأ والماء، وكثيراً ما دفعتها الظروف الطبيعية، ومطالب الحياة إلى اجتياز مناطقها إلى بلاد ما وراء النهر، لتتصل بالقبائل المستقرة قبلها والمعتنقة للديانة الإسلامية وتتأثر بها.[2]

–وفي شمال الخلافة العباسية تقوم بيزنطة التي تسيطر على أسيا الصغرى والبلقان، وعلى جنوب شبه جزيرة إيطاليا، حيث كانت تعاني من مشكلات كثيرة، منها أنّها أصيبت في عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس 124–159هـ /741 – 775 م بضربة قاصمة في إيطاليا حيث تدهورت العلاقات بين بيزنطة والبابوية بسبب استمرار سياسة الإمبراطور البيزنطي في معارضة تقديس الإيقونات، وعندما سقطت مدينة رافنا البيزنطية في أيدي اللومبارديين في سنة 134هـ/ 751م، ولم يحاول الإمبراطور البيزنطي إنقاذها، شعر البابا أنّه لا داعي للتساهل مع الإمبراطور لأنّه لا حماية ترجى منه ، وخاصةً بعد فقدان بيزنطة لبلاد الشام ومصر، وشمال إفريقيا، وتبعية هذه المناطق

---

[1] بيطار، أمينة: تاريخ العصر العباسي، جامعة دمشق، ط4، دمشق،1417 هـ/1997م، ص1–2، سيشار إليه لاحقاً: بيطار: تاريخ .

[2] بيطار: تاريخ، ص2– 4 .

للخلافة الإسلامية ومشاركة العرب في السيادة على البحر المتوسط منذ معركة ذات الصواري، وقيام العرب المسلمون بغزو أراضيها، ومحاولة فتح القسطنطينية.[1]

- واقتصرت العلاقات مع إفريقيا على المبادلات التجارية التي لم تكن تجمعها دولة موحدة.[2]
- وفي فرنسا سيطرت الأسرة الكارولنجية التي أصبحت في عهد بيبيان القصير والد شارلمان 107-152هـ/725-769م أقوى قوة في غرب أوربا.[3]
- وأمّا إنكلترا فقد كانت مقسمة إلى ممالك صغيرة متحاربة فيما بينها، وقد خضعت في حقبة البحث لسيطرة مملكة مرسيا.[4]

ومن خلال هذه اللمحة السريعة والنظرة الشاملة للعالم المعروف آنذاك، يمكن القول: أنّه لم تكن هناك دولة تضاهي في حضارتها واتساعها الدولة العباسية، مع العلم أنّها قد ورثت إرثاً سياسياً وحضارياً كبيراً من الدولة الأموية وعملت على الحفاظ عليه وتطويره، والتنبه لمكائد الأعداء المحيطين بالأمة العربية الإسلامية.

2- الدعوة العباسية وحروبها:

منذ مقتل الحسين توحدت صفوف الشيعة، وزادت الدعوة لآل علي بن أبي طالب قوة واشتدّ العداء بين الأمويين والعلويين الذين قاموا بالثورات في الولايات الإسلامية، ثم كانت الحادثة المهمة في تاريخ الشيعة، وهي انتقال الإمامة[5] من بيت علي إلى بيت بني العباس على يد أبي هاشم بن

---

(1) فرح ، نعيم: تاريخ بيزنطة السياسي، منشورات جامعة دمشق ، ط1، دمشق، 1412 هـ/ 1992م، ص193، سيشار إليه لاحقاً: فرح: تاريخ بيزنطة . العدوي، إبراهيم: الأمويون والبيزنطيون، الدار القومية للطباعة والنشر، ط2، مصر، د.ت، ص100-101، سيشار إليه لاحقاً: العدوي: الأمويون. بيطار: تاريخ، ص3.

(2) الباحث

(3) فرح، نعيم: تاريخ أوربا السياسي في العصور الوسطى، جامعة دمشق، دمشق،1415هـ/1995م،ص51، سيشار إليه لاحقاً: فرح: تاريخ أوربا.

(4) فرح: تاريخ أوربا، ص151-152.

(5) تضاربت الأفكار حول انتقال الخلافة من آل علي إلى بني العباس، من خلال تنازل أبي هاشم لمحمد بن علي عن قيادة الدعوة والخلافة. ابن طباطبا، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار بيروت، بيروت، د.ت، ص143، سيشاراليه لاحقاً: ابن طباطبا: الفخري. مؤلف مجهول: العيون والحدائق، د.م، د.ت، ج1، ص179، سيشار إليه لاحقاً: مؤلف مجهول: العيون والحدائق، بيطار: تاريخ، ص19.

محمد بن الحنفية زعيم الشيعة الكيسانية في سنة 98 هـ /716 م الذي من المحتمل أنّه تنازل لمحمد بن علي العباسي.[1]

رأى الإمام محمد بن علي أنّ نقل السلطان من بيت إلى بيت آخر لابدّ أن يسبقه إعداد الأفكار وتهيئة النفوس لهذا التغيير، فطلب من الدعاة أن يدعوا الناس إلى آل البيت دون تسمية أحد خوفاً عليهم من بني أمية، ووجد أنّ كلاً من الكوفة وخراسان يصلح أن يكون مركزاً لنشر الدعوة لأنّ الكوفة مهد التشيع لآل البيت منذ زمن طويل، ولأنّ أهل خراسان يفهمون فكرة التشيع بسهولة، ويعتقدون في نظرية الحق الملكي المقدس.[2]

تخفى الدعاة بزي التجار محافظةً على الدعوة وسريتها، وعلى الرغم من ذلك فقد كانوا يقعون في أيدي أصحاب السلطة، وكانوا يدبرون أمورهم بضمان أو سواه. [3]

بدأت الجولات العسكرية بين دعاة العباسيين وولاة الأمويين منذ أن ظهرت الدعوة العلنية، فقد وضع جيش كبير تحت تصرف قحطبة بن شبيب الطائي، وكلف بضم بلاد خراسان، وتمكن أنصار العباسيين من دخول مدينة مرو مركز الإمارة، وطرد واليها نصر بن سيار ، وأخذت مدن خراسان، تسقط بيد العباسيين[4]، وسيطر العباسيون على الجناح الشرقي للخلافة الأموية، وتقدّم الجيش العباسي باتجاه العراق بقيادة قحطبة بن شبيب، حيث كان يلي العراق يزيد بن عمر بن هبيرة الذي أخذ يستعد لقتال جيوش العباسيين الزاحفة، والتقى الجيشان قرب الفلوجة، وبعد مقتل قحطبة في هذه المعركة أجمع الناس على مبايعة ابنه الحسن الذي استكمل السيطرة على مدن العراق، وفي ذلك

---

(1) ابن خلدون، عبدالرحمن: تاريخ ابن خلدون، د.م، د.ت، مج3، ص 100،سيشار إليه لاحقاً : ابن خلدون: تاريخ.. حسن، إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، ط13، بيروت، 1411هـ/1991م، ج2، ص14، سيشار إليه لاحقاً: حسن: تاريخ الإسلام. كاهن، كلود: تاريخ العرب والشعوب الاسلامية، ترجمه: بدرالدين القاسم، ط2، بيروت، دارالحقيقة للطباعة والنشر،1398هـ/ 1977م، 49، سيشارإليه لاحقاً : كاهن: تاريخ.

(2) حسن: تاريخ الإسلام، ج 2، ص 15 .

(3) ابن خلدون: تاريخ، مج 3، ص101. بيطار: تاريخ، ص 22.

(4) ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت ، ج 10، ص37، سيشار إليه لاحقاً: ابن كثير: البداية والنهاية. الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر: تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت، 1408 هـ / 1988 م، مج4، = = ص 325–336 ، سيشار إليه لاحقاً : الطبري: تاريخ. بيطار: تاريخ، ص35.

الوقت كانت الخلافة العباسية قد أعلنت[1]، وبرزت إلى النور حكومة بني العباس وعلى رأسها أبو سلمة الخلال، وقبل ذلك بوقت قصير قبض مروان بن محمد على إبراهيم الإمام الذي ترأس الدعوة بعد وفاة والده محمد بن علي حيث عرف بأّنه هو الذي يدير هذه الثورة من مقره في الحميمة، وعرف إبراهيم أّنه سيقتل، فعهد بالأمر من بعده إلى أخيه أبي العباس السفاح، وقتل إبراهيم، ووصلت الأخبار إلى أبي العباس عن دخول الحسن بن قحطبة الكوفة، فخرج إليها ومعه أعمامه داود وعيسى وصالح وعبدالله وإسماعيل وعبد الصمد، وأخوه أبو جعفر، وابن عمه عيسى بن موسى بن محمد [2]، واستقبلهم أبو سلمة الخلال، وكتم خبر قدومهم[3]، ومهما يكن من أمر فإنّ أبا العباس بويع خليفة في ربيع الأول سنة 132 هـ / أكتوبر تشرين الأول 749م، وفي نفس الوقت كان مروان بن محمد يعمل على تجميع قواته في شمال العراق، حيث جّهز جيشاً كبيراً تحت قيادته سار به من حران متجهاً نحو الشرق، حتى نزل في الزاب الأعلى، واستعد للقاء الجيوش العباسيية المتقدمة. [4]

تتضح أهمية موقعة الزاب لكونها المعركة الأخيرة الحاسمة بين الأمويين والعباسيين، وقعت أحداثها على أطراف الجزيرة الفراتية في حقبة البحث، حيث عين أبو العباس عمه عبدالله بن علي لقيادة الجيش العباسي الذي قّدر بعشرين ألف رجل [5]، ويؤكد الدينوري: أنّ عدد الجيش الأموي يقدر أيضاً بعشرين ألفاً[6]، واعتماداً على هذه الرواية ومثيلاتها[1] يمكن القول: أنّ أعداد قوات العباسيين

---

(1) الطبري: تاريخ، مج4، ص336–239. بيطار: تاريخ، ص36.

(2) المقريزي: المنتقى من المقفى، ص73.حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص21. بيطار: تاريخ، ص28.

(3) لقد كتم أبو سلمة الخلال خبر قدوم أبو العباسس وحاشيته عن جميع القواد الشيعة نحو أربعين ليلة، ولا يمكن تحديد سبب تصرفه، وذلك لعدة أسباب ذكرت في المصادر التاريخية. الجهيشاري: الوزراء، ص57–58. الطبري: تاريخ، مج4، ص345.

(4) بيطار، أمينة: الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام، 132 – 358 هـ/ 750 – 968م، ط1، وزارة الثقافة، دمشق،1401هـ/ 1980م، ص 30، سيشار إليه لاحقاً: بيطار: الحياة السياسية. حتي، فيليب: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: كمال اليازجي، مطبعة دار الثقافة، بيروت، 1379هـ/ 1959م، ج 2، ص154،سيشار إليه لاحقاً: حتي: تاريخ.

(5) عمر، فاروق: طبيعة الدعوة العباسية، بغداد، 1390هـ/ 1970، ص 210، سيشار إليه لاحقاً: عمر: = = طبيعة. عمر، فاروق: الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية(دراسة تاريخية لبوادر التسلط العسكري على الخلافة العباسية)، مكتبة المثنى، ط2، بغداد، 1398هـ/1977م، ص12، سيشار إليه لاحقاً: عمر: الخلافة العباسية .

(6) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود: الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال،

والأمويين متقاربة ، لكّنهما لم يكونا بنفس الانسجام والقوة المعنوية، فقد كانت تعوز الجيش الأموي القوة المعنوية، حيث كان جيشاً مزقته العصبية القبلية، وأنهكته الحروب الكثيرة ضد الخوارج والثوار . (2)

شرع كل قائد يحث جنوده على القتال، ثّم التحم الجيشان واستمر القتال حوالي تسعة أيام(3) ، وعلى إثرها هزم مروان بن محمد هزيمة شنيعة وقتل معظم أفراد جيشه، وجرح عدد كبير منهم، وغرق قسم آخر(4) وكان ذلك يوم السبت في الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة 132 هـ / شباط 749م.(5)

بعد معركة الزاب كلف أبو العباس عبدالله بن علي بملاحقة مروان بن محمد الذي هرب إلى الموصل (6)، ثّم إلى حران، ومنها انهزم إلى حمص، وبعدها إلى دمشق، وعلى الرغم من أّنه كان يأمل في مساعدة أهل الشام ودعمهم له، إلا أن ظنه قد خاب، فدخل الجيش العباسي دمشق، وفّر مروان إلى فلسطين، لكن عبدالله بن علي أرسل أخاه صالحاً في طلبه، وعلى هذا الشكل كان الخليفة الأموي كلما فّر إلى منطقة عجّل العباسيون في طلبه لأّنهم يعلمون أّنه يمثّل رمز الخلافة الأموية

ط1، القاهرة، 1380هـ/1960م، ص366، سيشار إليه لاحقاً : الدينوري: الأخبار. بيطار: الحياة السياسية، ص30.

(1) وردت روايات كثيرة تقدر عدد الجيش الأموي بأكثر من مئة ألف مقاتل. الذهبي، الحافظ: العبر في خبر من غبر، تح: صلاح الدين المنجد، ط الكويت، 1405هـ/1984م، ج1، ص174، سيشارإليه لاحقاً : الذهبي: العبر. الكتبي، محمد بن شاكر: فوات الوفيات والذيل عليها، دار صادر، ط1، بيروت،1374هـ/ 1954م، ص127، سيشارإليه لاحقاً: الكتبي: فوات.

(2) الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد: تاريخ الموصل، تح: علي حبيبة، لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة، 1387هـ/1967، ج 2 ، ص 125، سيشار إليه لاحقا: الأزدي: تاريخ. عمر: الخلافة العباسية، ص12. أبو حبيب، سعدي: مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، مكتبة دار لسان العرب، بيروت، 1392هـ/ 1972م، ص131، سيشار إليه لاحقا: أبو حبيب: مروان بن محمد.

(3) الطبري: تاريخ، مج 4، ص351. علي، سيد أمير: مختصر تاريخ العرب، ترجمة: عفيف البعلبكي، بيروت، 1381هـ/ 1961، ص 175، سيشار إليه لاحقا: علي: مختصر.

(4) الدينوري: الأخبار، ص366. خضري بك، الشيخ محمد: تاريخ الأمم الإسلامية ،القاهرة، 1376هـ/ 1956م، ج 1، ص 208، سيشار إليه لاحقا: خضري بك: تاريخ .

(5) المسعودي، علي بن الحسين: التنبيه والإشراف، مكتبة الخياط، بيروت، 1395هـ/ 1965، ص327، سيشار إليه لاحقاً: المسعودي: التنبيه.

(6) الطبري: تاريخ، مج 4، ص354. الأزدي: تاريخ، ج2، ص133-134.

وبالتالي لن تزول الخلافة مادام على قيد الحياة، فهرب مروان بن محمد إلى مصر والطلائع العباسية تطارده بقيادة صالح حتى تمكّوا من قتل جماعة من رجاله واستحيوا بعضاً فسألوهم عن مروان فأخبروهم بمكانه، على أن يؤمنوهم، وساروا فوجدوه نازلاً في كنيسة في بوصير[1]، فقتلوه في 27 ذي الحجة سنة 132هـ/7أب 749م.[2]

رابعاً- الرّقة منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي:

1-الفتح الإسلامي للرقة:

تباينت أقوال المؤرخيين في تحديد تاريخ فتح الرّقة، إلا أنّ أكثرهم من مال إلى أنّ الفتح تّم في سنة18هـ /639م ومنهم الواقدي صاحب كتاب فتوح الشام، والبلاذري صاحب كتاب فتوح البلدان إلا أنّ الطبري وياقوت الحموي يؤكدان أنّ الفتح تّم في سنة 17هـ/638م.[3]

ويعزو الطبري السبب المباشر لفتح الرقة إلى أنّ أهل الجزيرة من المسيحيين استثاروا الروم على أهل حمص بعد أن فتحها أبو عبيدة عامر بن الجراح فتجمع الروم لاستعادتها من المسلمين، واشتد الأمر على أبي عبيدة الذي كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب بالأمر، فكتب عمر إلى والي الكوفة سعد بن مالك يقول له: سرّح سهيل بن عدي إلى الجزيرة في الجند، وليأت الرقة وسرح عياضاً فإن كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعاً إلى عياض بن غنم، ووصل سهيل بن عدي إلى الرّقة [4]، ويذكر البلاذري في رواية عن الواقدي: وقد سار عياض إلى الجزيرة سنة 18هـ/639م،حتّى نزل باب الرها(أحد أبواب الرقة، ويقع من جهة الشمال)، وبعد خمسة أيام من الحصار أرسل بطريق المدينة إلى عياض يطلب الأمان، فصالحه عياض على أن يؤمن جميع أهلها على أنفسهم وأموالهم

---

(1) بوصير: قرية في مصر تدعى: بوصير قوريدس، وفيها قتل مروان بن محمد. الحموي: معجم البلدان، ج2، ص509.

(2) مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص205.
الطبري: تاريخ، مج 4، ص355. اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح بن جعفر بن وهب بن واضح: تاريخ اليعقوبي، تح: عبد الأميرمهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1413هـ/1993م، ج2، ص291، سيشار إليه لاحقاً : اليعقوبي: تاريخ. ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم: الإمامة والسياسة، علّق عليه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، مؤسسة الأعلمي، بيروت، د.ت، ص340-341، سيشار إليه لاحقاً : ابن قتيبة: الإمامة. الأزدي: تاريخ، ج2، ص126.

(3) الطبري: تاريخ، مج 2، ص283. الحموي: معجم البلدان، ج3، ص59. عياش: حضارة ص247.

(4) الواقدي، فتوح، ج1، ص348. الطبري: تاريخ، مج 2، ص283-284. عياش: حضارة، ص248. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص63-64.

ومدينتهم، وقال عياض:" الأرض لنا قد وطئناها"، فأقرها في أيديهم على الخراج، ووضع الجزية على رقابهم فألزم كل رجل منهم ديناراً في كل سنة، وأخرج النساء، والصبيان وفرض عليهم مع الدينار أقفزة من قمحٍ[1]، وشيئاً من الزيت والخل والعسل، وفتحوا أبواب المدينة، وأقاموا للمسلمين سوقاً على باب الرها وكتب عياض لأهل الرّقة عهداً بذلك [2]، واتخذ عياض الرّقة قاعدة لفتوحاته في الجزيرة الفراتية، ففتح الرّ قة ثّم الرها ثّم حران ثّم سميساط على صلح واحد.[3]

وهكذا أصبحت الرّقة بعد فتحها على يد الجيش الإسلامي من الحواضر الإسلامية التي ستشغل دوراً مهماً في أحداث الدولة الإسلامية.

2- أوضاع الرقة زمن الأمويين:

بدأ العصر الأموي بانتقال الخلافة إلى معاوية في العام41 هـ / 661 م، الذي تعارف المؤرخون على تسميته بعام الجماعة لاتفاق كلمة المسلمين بعد طول نزاع [4]، واستمر حتى مقتل مروان بن محمد في سنة 132 هـ / 749م في كنيسة بوصير في مصر. [5]

وترجع علاقة الأمويين بالرقة إلى أيام الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان حيث جمع لمعاوية ابن أبي سفيان ولاية الشام كلها وكان ولاة أمصارها تحت إمرته [6] ، وعندما بويع معاوية بالخلافة سنة41هـ /661م كان عامله على الجزيرة النعمان بن بشير الأنصاري [7]، وقد اهتم الأمويون بالرقة

---

(1) القفيز: مكيال كان يكال به قديماً ويختلف تقديره في البلاد، يعادل تقدير القفاز المصري 16كيلو غرام، البلاذري: فتوح، ص197.

(2) الواقدي: فتوح، ج1، ص348. الحموي: معجم البلدان، ج3، ص59.عياش: حضارة، ص247- 249. شتورم: أهمية الرقة، ص131. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص64.

(3) البلاذري: فتوح، ص198-199. ابن العديم: بغية، ج1، ص257. الزوقنيني: تاريخ، ص53.عياش: حضارة، ص249.

(4) عاقل: دراسات، ص 14 .

(5) الطبري: تاريخ، مج 4، ص355.

(6) عاقل : دراسات، ص 14 .

(7) النعمان بن بشير الأنصاري: وهو أول مولود ولد من الأنصار في المدينة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعة عشر شهراً. ابن سعد، محمد أبو عبد الله البصري الزهري: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، 1418هـ/1998م، ج6، ص53، سيشا إليه لاحقاً: ابن سعد: الطبقات. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دارصادر، بيروت، 1358هـ/ 1939م، ج 5، ص 333 – 334 ، سيشار إليه لاحقا: ابن الجوزي: المنتظم. ابن الجوزي: تلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ السير، بيروت ،1418هـ/ 1997، ص 337، سيشار إليه لاحقا: ابن الجوزي:

واتصل تاريخهم فيها طيلة عصرهم، فقد كانت محطتهم نحو أرمينية التي أولوها اهتماماً كبيراً، وكان منهم بعض ولاتها، كما كانت محطتهم لمحاربة الروم، فهي التي تزود الجيوش بالمؤن، وتشرف على القبائل العربية في الجزيرة الفراتية، وأصبحت درعاً للشام، وقاعدة الانطلاق للجيوش شمالاً وشرقاً، وفي زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز تّم إعداد جيش في الرقة بقيادة مسلمة بن عبد الملك لإرساله لمحاربة الخوارج في العراق.(1)

وقد أدرك هشام بن عبدالملك أهمية الرقة العسكرية بعد إقامته في الرصافة قرب الرقة، فأقام التحصينات في المدينة بالإضافة إلى أّنه أمر ببناء جسر من السفن على الفرات حيث سهل حركة الجيوش، واهتم من جهة أخرى بتطوير المدينة، وتحسين حياة السكان الاقتصادية، وتوسيع الأسواق(2)، حيث شّيد فيها هشام سوقها الكبير الذي سمي بسوق الّرقة، وقد أصبحت لهذا السوق في العصر العباسي أهمية كبيرة، وكان يسمى بِسوق هشام العتيق، ويعد سوق الأحد من أهم أسواقها كما أورد القشيري.(3)

وهكذا كان للرقة أهمية كبيرة في العصر الأموي، وسيكون لها صفحات تاريخية مشابهة منذ قيام الدولة العباسية سيتم البحث فيها في موضعه.

3- ثورات الخوارج في الجزيرة الفراتية في نهاية العصر الأموي:

تلقيح. العسقلاني، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج 6، ص 440، سيشار إليه لاحقاً: العسقلاني: الإصابة. ابن خياط، خليفة أبو عمرو الليثي العصفري: الطبقات، تح: أكرم ضياء العمري، دارالقلم، دمشق، 1397 هـ / 1976م، ص136، سيشار إليه لاحقاً: ابن خياط: الطبقات. البستي، محمد بن حيان بن أحمد: التميمي مشاهير علماء الأمصار، تح: فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1379هـ/ 1959م، ص51، سيشار إليه لاحقاً: البستي: مشاهير.

(1) شتورم: أهمية الرقة، ص 136 .

(2) الجاحظ ، عمرو بن بحر: كتاب الحيوان، بيروت، 1388هـ/1968م، مج2، ص256 ،سيشار إليه لاحقاً: الجاحظ: الحيوان. الجاحظ، عمرو بن بحر: البخلاء، بيروت، 1395هـ/ 1975م، ص22، سيشار إليه لاحقاً: الجاحظ: البخلاء. شتورم: أهمية الرقة، ص 136. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص81-83.

(3) كرد علي، محمد: خطط الشام ، دمشق، 1344هـ/ 1925م، مج 4 ، ص163 ، سيشار إليه لاحقاً:=

= كردعلي: خطط. عياش: حضارة، ص264. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص80.

عند الحديث عن الرقة لابدّ من التطرق لثورات الخوارج التي شملت أحداثها الجزيرة الفراتية، وخاصةً ديار مضر[1]، فظهور الخوارج ارتبط بالرقة بعد التحكيم في صفين فهم كانوا بالأمس من أنصار علي بن أبي طالب ثم خرجوا عليه بعد التحكيم، ويمثل الخوارج أو" الديمقراطيون " كما يسميهم فان فلوتن: المبادئ الديمقراطية المتطرفة ، وهم يعتقدون أن الخلافة حق لكل عربي حر على أن منهم من أدخل على هذه النظرية بعض التعديل، فوضعوا شرط الإسلام والعدل بدل العروبة والحرية[2]، وقد اعتنق المبادئ الخارجية مجموعات من العرب والبدو، وانضم إليهم بعض الموالي.[3]

انتشر مذهب الخوارج الصفرية بين معظم قبائل الجزيرة الفراتية لاسيما بين قبائل ربيعة المقيمة في شمال الجزيرة حيث دانت به من أجل الوصول إلى الخلافة التي كانت حكراً على قريش بينما لم تعتنق قيس المقيمة في القسم الجنوبي من الجزيرة هذا المذهب[4].

وفي بداية العصر العباسي انتشر المذهب الإباضي في الرقة وما حولها من البوادي، الذي يعد عبدالله بن إباض التميمي المؤسس له [5]، ومن أهم ثورات الخوارج في الجزيرة الفراتية:

أ- ثورة سعيد بن بحدل الشيباني[6] :

كانت ثورة سعيد بن بحدل الشيباني زمن الخليفة مروان بن محمد، وثورة الضحاك بن قيس الشيباني من أهم ثورات الخوارج في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي وتزعمها رجال

---

(1) الزوقنيني: تاريخ، ص43.

(2) حسن: تاريخ الإسلام ، ج2، ص8 .

(3) أمين، أحمد: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، 1400هـ/1979م، ص263، سيشار إليه لاحقاً: أمين: فجر الإسلام.

(4) بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة : نبيه أمين فارس، دارالعلم للملايين، ط7، بيروت 1398هـ/1977م، ص164، سيشار إليه لاحقاً: بروكلمان: تاريخ . ضيف، شوقي: عصر الدول والإمارات، القاهرة، 1401هـ/ 1980م، ص 44، سيشار إليه لاحقاً: ضيف: عصر. حسن: تاريخ الإسلام، ص9 . عاقل: دراسات، ص 320 .

(5) روي عن عطاء بن مسلم الخفاف ت. 190هـ/806م حين قدم إلى الرقة أنّه قال: قدمت الرقة فجلست في سوق الأحد فذكرت فضائل علي رضي الله عنه ثّم غدوت إلى جعفر بن برقان ت. 158هـ/776م، فقال: ياعطاء بلغني أّنك جلست مجلساً ذكرت فيه رجلاً من أصحاب محمد بفضيلة لم تشرك معه غيره، فقلت: يرحمك الله إنّ أخاك سفيان بن سعيد الثوري ت. 161هـ/779م قال لي: إذا قدمت الرقة اجلس في سوق الأحد، واذكر فضائل علي فإن الإباضية بها كثر. القشيري: تاريخ، ص48. أمين: فجرالإسلام، = = ص260.

(6) وهو عند الطبري سعيد بن بهدل الشيباني، مج4 ، ص283 .

أشداء من قبيلة شيبان بن ثعلبة [1] ، وقد بايع الناس سعيداً خليفة، ومن بين المبايعين الضحاك بن قيس، الذي انطلق بثورته من كفر توثا[2]، وانشغل الخليفة مروان بن محمد بانقسامات البيت الأموي، وما لبث سعيد أن أصيب بالطاعون وهو في طريقه إلى العراق، وتوفي، فخلفه الضحاك بن قيس.[3]

ب- ثورة الضحاك بن قيس :

بعد موت سعيد بن بحدل، تولى الأمر الضحاك بن قيس الشيباني من قبيلة مرة ثم انضمت إليه جماعات أخرى من خوارج أرمينية وأذربيجان، سار بهم جميعاً نحو الكوفة، وبلغ هذا الخبر الخليفة مروان بن محمد وهو يحاصر حمص فكتب إلى ابنه عبدالله أن يسير إلى الضحاك الثائر في الجزيرة فسار إليه في ثمانية ألاف فارس، وحاصره عند كفرتوثا[4]، واصطدم به في سنة 128هـ/ 746م وهزمه في موقعة حاسمة قتل فيها الضحاك، واستمر في قتال أنصاره حتى قتلهم جميعاً في سنة 129هـ/747م[5]، وإذا كان مروان بن محمد قد استطاع القضاء على الثورات الخارجية في عهده فقد استمر الخوارج في ثوراتهم في الحقبة مجال البحث، ولكّنها لم تكن بقوة الثورات الخارجية التي حدثت في الجزيرة في العصر الأموي.

4- تسمية من نزل أو أقام في الرقة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أ- عمار بن ياسر ت. 37هـ/657م:

هو عمار بن ياسر الكناني المذحجي العنسي القحطاني، صحابي من الولاة الشجعان ذوي الرأي، وهو من الأوائل الذين دخلوا الإسلام، شهد بدراً، وأحداً، والخندق، وحرب الجمل وصفين، وقد

(1) ابن الكلبي: جمهرة النسب، ج2، ص196. سينو: الحياة السياسية، ص95 .

(2) كفرتوثا: قرية كبيرة من أعمال الجزيرة، تقع بالقرب من ماردين. الحموي: معجم البلدان، ج4، ص468.

(3) الطبري: تاريخ، مج 4، ص383. خربوطلي، علي حسني: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، مصر، 1379هـ/ 1959م، ص 19، سيشار إليه لاحقاً: خربوطلي: تاريخ العراق.

(4) الطبري: تاريخ، مج 4، ص283 – 284. ابن خلدون، تاريخ، مج3، ص164. عاقل: دراسات، ص321.

(5) الطبري: تاريخ، مج 4، ص300. بروكلمان: تاريخ، ص165، ابن خلدون: تاريخ، مج3، ص165. عاقل : دراسات، ص322.

أبلى بلاًءحسناً في صفين وقتل فيها وعمره ثلاث وتسعون سنة، ونقل إلى الرقة، وصلى عليه الإمام علي رضي الله عنه، ودفن فيها.[1]

ب-عياض بن غنم ت. 20هـ/640م:

وهو عياض بن غنم بن زهير الفهري أبو سعد الفهري من المهاجرين الأولين، قائد من شجعان الصحابة، شهد بدراً، وأحداً، والخندق، وهو أول صحابي وطئ الرقة أرسله أبو عبيدة ابن الجراح لفتح الجزيرة سنة 18هـ/639م، توفي سنة 20هـ/640م عن عمرٍ جاوز الستين سنة.[2]

ج- وابصة بن معبد الأسدي ت. 60هـ/680م:

هو وابصة بن عبيد بن مالك بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن الحارث بن بشير بن كعب ابن سعد بن أد بن حزيمة أسلم سنة 9 هـ/ 630 م، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم بعض الأحاديث، سكن الكوفة ثم تحول عنها إلى الرقة إلى أن توفي حوالي سنة 60 هـ /680 م ودفن في الرقة القديمة.[3]

د- الوليد بن عقبة ت. 61هـ/680م:

هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن عثمان وغيره، وكان من فتيان قريش وشعرائها وأجوادها وشجعانها، أسلم يوم فتح مكة، عينه الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ولياً على الكوفة، ثّم عزله، فانتقل إلى الرقة، وكانت له عين الرومية[4]، وتوفي في قرية له في السبخة إلى الجنوب من الرقة، ودفن فيها.[5]

---

(1) الزركلي: الأعلام، مج5، ص36. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج 3، ص303-307

(2) القشيري: تاريخ، ص45. البلاذري: فتوح، ص197. الواقدي: فتوح، ج1، ص348.

(3) ابن سعد : الطبقات، ج7، ص 476. ابن خياط : الطبقات، ص 318. ابن قانع، عبد الباقي أبو الحسين: معجم الصحابة، تح: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، 1418 هـ /1997م ، ج3، ص 184، سيشار إليه لاحقاً: ابن قانع: معجم . سرماني، حنيفة: إقليم الجزيرة منذ الفتح العربي جتى نهاية العصر السفياني، إشراف: سهيل زكار، رسالة ماجستير،غيرمنشورة، جامعة دمشق،1427هـ/ 2006م، ص153، سيشار إليه لاحقاً: سرماني: إقليم.

(4) عين الرومية: هي عين عيسى حالياً تقع شمال الرقة، وتبعد عنها 40كم، الباحث.

(5) البلاذري: فتوح، ص204. ابن سعد: الطبقات، ج 6 – ص 24. القشيري: تاريخ، ص 45 – 46. ابن الجوزي: تلقيح، ص 55 – 56 . الذهبي، الحافظ شمس الدين أبي عبدالله : سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413 هـ/1992م ، ج 3، ص 412 – 414، سيشار إليه لاحقاً: الذهبي: سير. الزركلي: الأعلام، مج8، ص122. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص69.

5- تسمية من نزل الرقة من التابعين والفقهاء والمحدثين :

أ- أبي بن قيس النخعي ت. 36هـ/656م:

أبي بن قيس النخعي رضي الله عنه تابعي انتقل إلى الكوفة زمن الخليفة عمر بن الخطاب، فقرأ القرآن على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخذ عنه علم الفرائض والفقه، وقاتل معه في صفين وقتل في اليوم السادس من القتال، فنقل إلى الرقة وصلى عليه الإمام علي ثّم دفن في قبر إلى جانب قبر عمار بن ياسر، وأويس القرني رضوان الله عليهم جميعاً.(1)

ب- أويس القرني ت. 37هـ/657م:

وهو أويس بن عامر يعود نسبه إلى مالك القرني من بني قرن بن ردمان، وهو من كبار التابعين، أصله من اليمن، أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن بره بوالدته منعه من القدوم لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم، واختلف الناس في وقت قدومه إلى الرقة وموته، وذكر ابن عساكر أّنه استشهد بصفين، وقبره في الرقة.(2)

ج- سابق بن عبدالله البربري ت. ...هـ/...م:

سابق بن عبد الله البربري، أبو سعيد، من الزهاد، له كلام في الحكمة، وهو من موالي بني أمية، والبربري لقب له، سكن الرقة، و كان إمام مسجدها، وقاضيها، وشاعرها.(3)

د- سالم بن وابصة بن معبد الأسدي الرقي ت. 125هـ/742م :

وهو من التابعين أميراً وشاعراً، كان من أهل الحديث ، حدّث عن أبيه وابصة في الرقة، ولي إمرة الرقة ثلاثين سنة، وخطب على منبرها، كان إماماً لمسجدها، وقاضياً لأهلها، وتوفي في آخر

خلافة هشام بن عبد الملك.(4)

هـ- عمرو بن وابصة ت. ؟هـ/؟ م:

وهو تابعي قال عنه القشيري: إّنه كان يسكن الرقة، ومعظم التابعين الذين يمرون بالرقة أو ينزلون فيها كانوا يزورونه. (1)

---

(1) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج3، ص311.

(2) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج 3، ص308-310. الزركلي: الأعلام، مج2، ص32.

(3) الزركلي: الأعلام، مج3، ص69.مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص70.

(4) القشيري: تاريخ، ص85-86. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار أحياء التراث، بيروت، 1421هـ/ 2000م، ج15، ص59 - 60، سيشار إليه لاحقاً: الصفدي: الوافي. سرماني: إقليم، ص156. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص70.

و- ميمون بن مهران ت.117هـ/735م:

عالم الجزيرة وفقيهها: أبو أيوب الجزري الرقي، ولد سنة 40هـ/661م، كان من العلماء العاملين، اشتغل بالعلم، وعند وفاته سنة 117هـ/735م، أوصى أن يدفن بجانب مراقد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر وأويس القرني.(2)

ز- يزيد بن الأصم ت. 101هـ/720م:

أبو عوف الكوفي التابعي، سكن الرقة، وتوفي فيها وهو ابن أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وابن خالة ابن عباس، كان ثقة كثير الحديث.(3)

6- تسمية من نزل الرقة من الشعراء والكتاب:

أ- الشاعر أبو زبيد الطائي. ت 62هـ/681م:

هو حرملة بن المنذر بن معد كرب الطائي، معظم مقامه كان في الرقة، وهو من زوار الملوك عالماً بسيرهم ومن الذين يحتج أهل اللغة بكلامه، توفي فجأة، ودفن على نهر البليخ قرب الرقة. (4)

ب- الشاعر عبيدالله بن قيس الرقيات. ت 75هـ/694:

وهو ابن شريح بن مالك بن ربيعة من قريش، ولد في الحجاز في سنة 14هـ/635م، وهو من شعراء السياسة والغزل، وغلب عليه لقب الرقيات لأنّه كان يشبب برقية وسلمة ابنتي عبد الواحد بن أبي سعد، قدم إلى الجزيرة الفراتية، ثّم نزل الرقة.(5)

---

(1) القشيري: تاريخ، ص 46 .

(2) القشيري: تاريخ، ص88 –95. سرماني: إقليم، ص157. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص70.

(3) ابن سعد: الطبقات، ج 7، ص479 . ابن خياط: الطبقات، ص 320. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين،هبة الله، تاريخ دمشق، تح: عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، 1375هـ/ 1955م: تاريخ، ج65، ص123- 129، سيشار إليه لاحقاً: ابن عساكر: تاريخ. الذهبي: العبر، ج1، ص126.

(4) ابن العديم: مج5، ص2188-2196. عياش: حضارة، ص258. الزركلي: الأعلام، مج2، ص174. سرماني: إقليم، ص160. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص70.

(5) ابن عساكر: تاريخ ، ج3 8،ص85-96 .السخاوي، شمس الدين محمد:التحفة اللطيفة في أخبار المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ/1993، مج2، ص232. سيشار إليه لاحقاً : السخاوي: التحفة.عياش: حضارة، ص260-261. سرماني: إقليم، ص161. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص70.

ج- الكاتب عبد الحميد بن يحيى ت. 132هـ749م :

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد، مولى العلاء بن وهب العامري، من عامر بن لؤي[1]

سكن الرقة، كاتب بليغ، تتلمذ علي يد سالم بن عبد الله زوج أخت عبد الحميد مولى هشام بن عبد الملك[2]، جاء في كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري: أنّ أهل عبد الحميد وأقاربه كانوا ينزلون الرقة في موضع يعرف بالحمراء[3]، فهو بناءً على هذا شامي جزري[4]، اتصل بمروان بن محمد وهو والٍ على أرمينية، فكتب له وحظي عنده، ولعلّ اتصاله بمروان كان في الرقة، كما كتب لمروان بن محمد وهو خليفة ولازمه إلى أن انتهى مروان إلى مصر وقتل سنة 132هـ/749م على يد القائد العباسي عبد الصمد في مصر مع مروان بن محمد.[5]

الفصل الثاني: الرقة في ظل الحكم العباسي

1-الرقة في عهد أبي العباس السفاح 132-136هـ/749-753م:

أ- خضوع الرقة للسلطة العباسية

ب- موقف أهل الرقة من الحكم العباسي

2-الرقة في عهد أبي جعفر المنصور 136-158هـ/753-774م:

أ- دور الرقة في ثورة عبدالله بن علي

ب- بناء مدينة الرافقة سنة 155هـ/771م

---

(1) الجهشياري: الوزراء، ص49.

(2) عياش: حضارة، ص266.

(3) الجهشياري: الوزراء، ص49. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص71.

(4) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص71.

(5) يقول الجهشياري: إنّ عبد الحميد حمل إلى أبي العباس حياً، فسلمه إلى عبد الجبار بن عبد الرحمن، الذي كان يحمي طستاً، ويضعه في رأسه، فلم يزل يفعل ذلك حتى توفي.الجهشياري: الوزراء، ص53-54.

3-الرقة في عهد المهدي 158-169هـ/775-785م:

أ- دور الرقة في أعمال المهدي العسكرية ضد الروم البيزنطيين

4- الرقة في عهد الخليفة الهادي 169 -170هـ/785-786م:

5-الرقة في عهد هارون الرشيد 170-193هـ/786-808م:

أ- مكانة الرقة السياسية في عهد الرشيد

ب- دور الرقة في أعمال الرشيد العسكرية ضد الروم البيزنطيين

ج- أعمال الرشيد العمرانية :

1َ-بناء مدينة الرشيد

2َ-قصور الرشيد في الرقة

3َ- المرافق العامة

6- الرقة في عهد خلفاء الرشيد:

أ- الأمين 193-198هـ/808-813م:

1َ-موقفهم من خلاف الأمين مع المأمون

ب- خلافة المأمون 198هـ-218هـ/813-833م:

1َ- موقف أهل الرقة من خلافة المأمون

ج- المعتصم 218-227هـ/833-841م:

د- هارون الواثق بالله 227-232هـ/ 841- 846م:

1- الرقة في عهد أبي العباس السفاح 132-136هـ/749-753م

أ- خضوع الرقة للسلطة العباسية:

كان أول من جلس على عرش الخلافة العباسية أبا العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، في ربيع الأول سنة 132هـ /749م [(1)]، وقد حدد سياسته في أول خطبة ألقاها في الجمعة التي تلت إعلان الخلافة العباسية، وخلالها حدّد موقفه من

[(1)] الطبري: تاريخ، مج 4، ص342. المقريزي: المنتقى من المقفى، ص87-88. حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص23-24. ابن خلدون: تاريخ، مج 3، ص129.

آل البيت، وأنصاره، والأمويين [1]، ومن الذين حضروا لمبايعته خالد بن برمك، فأعجب بفصاحته حيث أقره على ما كان يملك، وحلّ عنده محل الوزير. [2]

وقد بالغ السفاح في ملاحقة الأمويين حتى الأشخاص الذين أًمنهم، ومنهم سليمان بن هشام بن عبد الملك لمواقفه من آل البيت الذي هرب منه، فلاحقه ثّم قتله.[3]

وبعد فرار مروان بن محمد باتجاه الشام بعد معركة الزاب، تقدمت الجيوش العباسية بقيادة عبدالله بن علي باتجاه الجزيرة الفراتية، تطارد فلول الجيش الأموي، فخضعت مدنها للسيطرة العباسية، ومن بينها الرقة[4]، وعلى هذا الأساس ورث العباسيون أملاك الدولة الأموية، ومنها مدينة الرقة، والمناطق المحيطة بها، حيث وصلها القائد العباسي عبدالله بن علي، وجعلها مقّر إقامته.[5]

أّما وضع الرقة الإداري في بداية العصر العباسي فلم يتغير عما كان عليه في العصر الأموي، فقد بقيت مدينة تتبع لولاية الجزيرة الفراتية التي شملت مدن الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان منذ عهد هشام بن عبدالملك المتوفى سنة 125هـ/742م، ولكّن أبا العباس فصل الجزيرة الفراتية عن أرمينية وأذربيجان، وجعل منهما ولايتين مستقلتين[6]، وبينما كانت حران مركز ولاية الجزيرة في أواخر العصر الأموي[7]، نقل أبو العباس مركزها إلى الرقة، حيث أصبحت مقراً لإقامة الولاة، ومركزاً لإدارة العمليات العسكرية ضد فلول الجيش الأموي، فعين عبدالله بن علي كأول حاكم عسكري عليها، فأقام فيها، وأرسل أخاه عبد الصمد لملاحقة مروان بن محمد[8]، ولاشكّ أّن أبا العباس كان محقاً في هذا الإجراء الإداري، فقد شكلت الرقة همزة وصل للطرق الجغرافية بين العراق، والشام، وساحل البحر

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص40.

(2) الجهشياري: الوزراء، ص59.

(3) ابن الوردي، زين الدين بن عمر: تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1417هـ/1996م، ج1، ص183 سيشار إليه لاحقاً: ابن الوردي: تاريخ.

(4) الطبري: تاريخ، مج4، ص354. الأزدي: تاريخ، ج2، ص133. ابن قتيبة: الإمامة، ص340-341. الزوقنيني: تاريخ،ص33.

(5) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص88.

(6) حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص24-28. عاقل: دراسات، ص274. سينو: الحياة السياسية، ص127.= = بيطار: تاريخ، ص327.

(7) اليعقوبي: تاريخ، ج2، ص267. الزوقنيني: تاريخ، ص33. عاقل: دراسات، ص309-310.

(8) عياش: حضارة، ص267. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص88.

المتوسط، ومنطقة الثغور[1]، فكان لزاماً عليه أن يحكم السيطرة عليها لإدارة العمليات العسكرية، وملاحقة ما تبقى من الأمويين، ومع ذلك فقد كان عبدالله بن علي يغادر الرقة أحياناً لقمع ثورة أو ملاحقة أحد أفراد البيت الأموي، وكإجراء إداري مؤقت كان يستخلف موسى بن كعب التميمي في الرقة ريثما يعود[2]، وبعد القضاء على مروان بن محمد سنة 132هـ/749م، عين أبو العباس أبي جعفر المنصور والياً على الجزيرة الفراتية وأذربيجان وأرمينية[3]، ويبدو أنّ ولاية أبي جعفر كانت ولاية عامة، فقد فوضه تفويضاً تاماً على أمور الجزيرة خاصةً بعد نقضها لبيعة العباسيين، وقيام ثورة إسحق بن مسلم[4] العقيلي[5]، وخلال ولايته كان يستعين بموسى بن كعب في كثير من الأحيان خاصةً في قمع ثورة إسحق بن مسلم العقيلي، حيث يعد أول عامل على الجزيرة بشكل فعلي[6]، وبقي والياً عليها حتى استأذن الخليفة أباالعباس لتولي إمارة الحج سنة 136هـ/753م، فأذن له في ذلك، ولكن لم يترك الجزيرة دون والٍ، فقد عين عليها مقاتل بن حكيم العكي[7]، الذي جعل هو الآخر مقّر ولايته الرقة

حتى عزل عنها بعد وفاة أبي العباس سنة 136هـ/753م.[8]

ومما تجدر الإشارة إليه هو أنّ أعمال الولاة الذين أقاموا في الرقة خلال عهد أبي العباس، اقتصرت على ملاحقة فلول جيش الأمويين، وملاحقة أفراد البيت الأموي، أو المشاركة في قمع الثورات المعارضة للوجود العباسي في الجزيرة الفراتية، ولم تذكر المصادر التي تّم الاطلاع عليها

---

(1) ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص129–135.

(2) ابن شداد: الأعلاق، ج3، ق1، ص17. سينو: الحياة السياسية، ص131.

(3) قيل: إنّ عبدالله بن علي هو الذي ولاه الجزيرة. القشيري: تاريخ، ص14. الزوقنيني: تاريخ،ص109.

(4) إسحق بن مسلم العقيلي: كان والياً على الجزيرة لمروان بن محمد، ثّم ثار في عهد أبي العباس سنة 132هـ/749م، ولكّنه لم يستطع القضاء على ثورته، فلجأ للحل السلمي معه، ويذكر المقريزي في المقفى أّنه كان عديلاً للمنصور. المقريزي: المنتقى من المقفى، ص143. الطبري: تاريخ، مج4، ص359

(5) ابن شداد: الأعلاق، ج3، ق1، ص17.

(6) اليعقوبي: تاريخ، ج2، ص289. أبو الفدا: المختصر،ج1، ص213. تاريخ. السيد، أديب: أرمينيا في التاريخ العربي، حلب، 1392هـ/1972م، ص10، سيشار إليه لاحقاً: السيد: أرمينيا. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص85.

(7) ابن شداد: الأعلاق، ج3، ق1، ص18–19.

(8) الطبري: تاريخ، مج4، ص375.

أية أعمال إدارية أو عمرانية لهم، ولعلّ السبب في ذلك أنّ الدولة العباسية كانت في هذه المرحلة في طور التأسيس والقضاء على الثورات المعارضة لوجودها، ولم تصل بعد إلى مرحلة الاستقرار.[1]

ب- موقف أهل الرقة من الحكم العباسي:

لتحديد موقف أهل الرقة من الحكم العباسي يمكن القول: إنّ العباسيين قد عزفوا على وتر العصبية القبلية بين القيسة واليمنية، فقد اعتمد العباسيون على اليمنيين اعتماداً كبيراً[2]، حتّى إنّ أبا جعفر المنصور اعترف بالدور الكبير الذي لعبته قبائل العرب اليمنية في نجاح الدعوة العباسية، فقد صرّح بأنّ الدعوة قامت على أكتافهم، وأنّ النقباء كلهم منهم، وأضاف قائلاً: بأنّه على العباسيين أن يعترفوا لهؤلاء بحق نصرهم، وقيامهم بالدعوة، ونهوضهم بالدولة.[3]

ولاشكّ أنّ هذه الوصية تحمل دلائل توضح دور العرب اليمنية في نصرة العباسيين ضد الأمويين.

ومن المعروف أنّ مضر استقرت في غرب الجزيرة الفراتية[4]، وعاصمتها الرقة[5]، وعلى هذا يمكن تحديد سبب معاداة العباسيين لهذه المدينة التي شكلت عاصمةً لديار مضر، وهي المركز المعادي للعباسيين، والذي أصبح لزاماً عليهم إخضاعه.

إنّ نظرة متفحصةً في سير الأحداث وتطورها تمكن من تحديد أسباب عداء أهل الرقة للعباسيين، والولاء المطلق لبني أمية خاصةً لمروان بن محمد:

- لقد قدم مروان بن محمد إلى الجزيرة من أرمينية خالعاً إبراهيم بن الوليد، فأقام في حران، واعتمد على سكانها وأعطاهم مكانة خاصة بين الولايات الإسلامية، وجعل مقر العاصمة وأركان حكمه في إحدى مدنهم وهي حران[6]، ومقابل ذلك قاتل المضريون إلى جانب مروان بن محمد في المعارك التي خاضها ضد العباسيين، فاستبسلوا وقدّموا التضحيات الكبيرة، ولم يتخلوا عنه، فقال بعض الشعراء :

---

(1) الباحث.

(2) قال الجاحظ: دولة بني مروان عربية، ودولة بني العباس أعجمية، ولا يمكن ترجيح رأي على آخر دون دلائل تاريخية ثابتة، ولكن وردت عدة نصوص وروايات تاريخية يمكن من خلالها إثبات دور العرب في الدعوة العباسية، بيطار: تاريخ، ص45.

(3) بيطار: الحياة السياسية، ص50-51.

(4) ابن شداد: الأعلاق ، ج3، ص40.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم، 141. ابن حوقل: صورة، ص203.

(6) اليعقوبي: تاريخ، ج2، ص267. الزوقنيني: تاريخ، ص94.

لّما رمينا مضراً بالقبْ قرضبهْم قحطبةُ القرضبْ يدعونَ مروانَ كدعوى الربْ [1]

- ولاشك أنّ اعتماد العباسيين على الأعاجم ، وتخليهم عن العرب كان أحد الأسباب المهمة، فقد بالغ الأعاجم في قتل العرب[2] تحت شعار الدعوة والثأر لآل البيت من الأمويين، حتى قيل: إنّ المجازر التّي قام بها السفاح لم تكن في الواقع إلا إرضاء منه لنزوة كانت في نفس أبي مسلم.

ولم يكد يمضي عام واحد حتى أخذ الشعب العربي يتململ غاضباً في قواعده يهز عرش السفاح ويهدده[3]، ويشارك في الثورات التي قامت في الجزيرة الفراتية ضد العباسيين ومن أهمها:

1- ثورة إسحق بن مسلم العقيلي 132هـ/749م:

كان إسحق بن مسلم والياً على الجزيرة وأرمينية من قبل مروان بن محمد، فما إن علم بهزيمة مروان، وخضوع الجزيرة للحكم العباسي حتى تركها وذهب إلى أرمينية ولكّنه عاد إليها بعد أن علم بأنّ أهل الجزيرة قد خرجوا على العباسيين، ويعد إسحق من أشراف المنطقة، فعينوه أميراً عليهم[4]، فأرسل أبو العباس جيشاً عن طريق قرقيسياء إلى الرقة[5]، وعندما أخفق هذا الجيش في القضاء على الثورة، أرسل أبوالعباس جيشاً آخر بقيادة عمه عبدالله بن علي لمساعدة أبي جعفر المنصور في إعادة الهدوء إلى الجزيرة والقضاء على هذه الثورة [6]، حيث تقدّم عبدالله ابن علي بجيشه، وحاصر مع أخيه أبي جعفر إسحق بن مسلم، سبعة شهور، وعلى الرغم من ذلك لم ينالوا منه، فأرادوا إنهاء الثورة بالطرق السلمية، فأخذوا بمراسلته، ولكّنه رفض الاستسلام محتجاً قائلا: في عنقي بيعة فلا أدعها أبداً حتى أعلم أنّ صاحبها قد مات أو قتل، فأرسل إليه أبو جعفر أنّ مروان قد قتل، فقال: حتى أتبين وأتيقن[7]، وهذا يدل على أمرين: الأمر الأول: الإخلاص المتجذر للبيت الأموي، والأمر الثاني: أنّ إسحق كان في موقع القوة يساعده أتباعه في الجزيرة الفراتية، وحين تأكد من مقتل مروان بن محمد

---

(1) الطبري: تاريخ، مج 4، ص336

(2) يقول الزوقنيني في تاريخه: إنّ الفرس أنزلوا بسكان الجزيرة الفراتية مساوئ شتى دون رحمة إذ كانوا يذبحونهم كالخراف وينهبون أموالهم. الزوقنيني: تاريخ، ص33.

(3) الزوقنيني: تاريخ، ص33. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص88.

(4) الطبري: تاريخ، مج4، ص358. مجموعة من المؤلفين: الرقة ، ص89.

(5) الطبري: تاريخ، مج4، ص358-359.

(6) الطبري: تاريخ، مج 4، ص359. بيطار: الحياة السياسية، ص62.

(7) الطبري: تاريخ، مج 4، ص359. اليعقوبي:تاريخ، ج2، ص289.

عقد الصلح، فأمنه أبو جعفر وصار معه، وكان عظيم المنزلة عنده، وقد قيل: إنّ عبد الله بن علي هو الذي أمنه.[1]

ومن دراسة هذه الثورة يمكن استخلاص عدة نقاط:

- حجم الخطر الذي شكلته هذه الثورة لدرجة أنّ أبا العباس السفاح استدعى جيشين للقضاء عليها.
- أجبرت العباسيين على التفاوض واللجوء إلى الطرق السلمية لإخمادها بعد اخفاق الحل العسكري وهذه سابقة لم تحدث من قبل منذ قيام الدولة العباسية .
- كانت بداية إخضاع الثورة من مركز ديار مضر (الرقة)، وهذا يدل على خبرة ودراية عسكرية في المنطقة وتركيبها السكاني.
- ولاء الجزيرة المطلق خاصةً مضر للأمويين، ورفضهم للحكم العباسي .

2- ثورة محمد بن مسلمة 133هـ/751م:

قامت هذه الثورة في الجزيرة الفراتية، وهي بدورها كالثورة السابقة، ضد النفوذ العباسي في المنطقة، وقادها محمد بن مسلمة بن عبدالملك في منطقة حران وحاصر عامل العباسيين موسى ابن كعب، ورمى حران بالمنجنيق[2]، واستطاع العباسيون القضاء على هذه الثورة بإرسال جيشين أحدهما أرسله المنصور الذي كان يومئذٍ والياً على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، والآخر كان بقيادة عبدالله بن علي، سار الجيش الأول من الرقة لقمع الثورة، وقد نجح في هذه المهمة، وحين وصل عبدالله بن علي وجد أنّ الأمور قد استقرت.[3]

وعلى هذا الأساس يمكن القول: إنّ العباسيين اتخذوا الرقة قاعدة لعملياتهم العسكرية في الجزيرة الفراتية لمواجهة الثورات المؤيدة للأمويين والمعارضة للحكم العباسي.

2-الرقة في عهد أبي جعفر المنصور 136-158هـ/753-774م:

ولد أبو جعفر عبدالله بن علي العباسي سنة 101هـ/719م في الحميمة[4]، وقد تربى وسط كبار الرجال الذين جلهم من بني هاشم، وصحب أباه وجده فنشأ فصيحاً ملماً بسير الملوك والأمراء، وتدرج بالمناصب منذ توليته من قبل السفاح والياً على الجزيرة وأذربيجان وأرمينية سنة 132هـ/750م

(1) الطبري: تاريخ، مج 4، ص359.

(2) اليعقوبي: تاريخ، ج2،ص289.

(3) بيطار: الحياة السياسية، ص60.

(4) الحميمة: بلد من أرض الشراة من أعمال عمَّان، الحموي: معجم البلدان،ج2، ص307.

[1] ، وحتى توليته إمارة الحج سنة 136هـ/ 753م، حيث جاءه الخبر بوفاة السفاح، ومبايعته بالخلافة[2] ، وقيل: إنّ أبامسلم الخراساني هو الذي نقل له خبر وفاة السفاح فبايعه هو، وبايعه الناس.[3]

يصفه ابن طباطبا: بأنّه من عظماء الملوك، وحزمائهم، وعقلائهم، وعلمائهم، وذوي الآراء الصائبة منهم، والتدبيرات السديدة [4]، ويشبهه السيوطي بعبدالملك بن مروان[5]، توفي في مكة أثناء أدائه لفريضة الحج في ذي الحجة سنة 158هـ/775م.[6]

تولى الجزيرة الفراتية عموماً بما فيها الرقة في عهد أبي جعفر المنصور مجموعة من الولاة أولهم مقاتل بن حكيم العكي[7]، واستمر حتى استسلم لعبد الله بن علي، الذي استولى على الرقة، وقتل من قبل جنود عبدالله بن علي[8]، وبعد هزيمة عبد الله بن علي، ولى المنصور حميد بن قحطبة، ثّم عزله، وعين أخاه العباس بن محمد بن علي سنة 142هـ/780م[9]، ومع ذلك فإنّ الطبري يرى أنّ العباس استلم الولاية بعد يزيد بن أسيد [10]، ويعود سبب عزل حميد بن قحطبة إلى سياسة العباسيين الإدارية التي تلخص بنقل الولاة، وتكليفهم بأعمال لأخرى، وبقي العباس والياً إلى أن عزله أبو جعفر المنصور[11] في سنة 155هـ/768م[1]، وسبب عزله كما أوضح الطبري يتمثل

---

(1) المقريزي: المنتقى من المقفى،ص125. حسن: تاريخ الإسلام، ج2،ص28.

(2) الطبري: تاريخ، مج 4، ص375. ميخائيل الكبير: تاريخ، ج2،ص415.

(3) ابن الوردي: تاريخ، ص184.

(4) ابن طباطبا: الفخري، ص159.

(5) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء، تح: رحاب خضرعكاوي، تقديم: أحمد محمد فارس، مؤسسة عز الدين للطباعة، ط1، بيروت، 1412هـ/1992م، ص285-286، سيشار إليه لاحقاً: السيوطي: تاريخ .

(6) الطبري : تاريخ ،مج 4،ص514-515. المقريزي: المنتقى من المقفى، ص197-198.

(7) الزوقنيني: تاريخ، ص97.

(8) المقريزي: المنتقى من المقفى،ص134. الأزدي: تاريخ، ج1، ص164. الطبري: تاريخ، مج4، ص378 ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد: زبدة الحلب في تاريخ حلب، تح: سامي الدهان، دار سعد الدين للطباعة والنشر، حلب، 1427هـ/2006م، ج1، ص56 سيشار إليه لاحقاً : ابن العديم: زبدة الحلب.

(9) ابن شداد: الأعلاق، ج3، ق1، ص19. القشيري: تاريخ، ص14.

(10) الطبري: تاريخ، مج4، ص507.

(11) يقول الزوقيني في سبب عزل العباس: إنّ العباس كان رجلاً مشهوداً له بالرحمة وحب السلام والطمأنينة، ولّما قدم المنصور لزيارة الرقة ، أمر العباس السكان بإخلاء قراهم والاختفاء عن أنظاره مخافة أن يزيد

بالشكوى التي تقدم بها والي العباسيين السابق على الجزيرة يزيد بن أسيد على العباس الذي شتم عرضه، فنقم عليه المنصور فعزله[2]، واستعمل المنصور بعده على الجزيرة موسى بن كعب [3]، ثّم ما لبث أن عزله، ولم تتضح أسباب العزل، فقد يكون إجراءً إدارياً، حيث عين مكانه الهيثم بن سعد، الذي ظلّ في ولاية الجزيرة عموماً بما فيها الرقة حتى وفاة المنصور سنة 158هـ/774م.[4]

أ- دور الرقة في ثورة عبدالله بن علي137هـ/754م:

تعد ثورة عبدالله بن علي من أهم الأحداث في بداية حكم أبي جعفر المنصور حيث ادعى عبد الله بن علي أّنه ولي عهد السفاح، خاصةً بعد إجابته لطلب السفاح في حرب مروان بن محمد، والقضاء عليه، وبعد وفاة السفاح ومبايعة أبي جعفر المنصور، أدرك أنّ الأمر فاته، فغضب لذلك، وأعلن أنّ الأمر له، وطلب من جنوده أن يبايعوه، ففعلوا وبين صفوفهم الخراسانيون وغيرهم، وبويع بالخلافة في سنة 137هـ/754م وأعلن العصيان[5]، ولم يعلن الثورة في بلاد الشام، أو حلب وإّنما عاد إلى الجزيرة الفراتية ليعلن الثورة فيها، وقد ادعى أنّ السفاح جعله ولي عهده،

وغلب على حلب، وقنسرين، وديار ربيعة، ومضر، والشام .[6]

والسؤال الذي يمكن طرحه ماهي نقاط القوة التي مكنته من الثورة؟، وماهو سبب وقوف أهل الرقة إلى جانبه؟.

قبل الإجابة على هذا السؤال يجب ذكر جملة من الأحداث، وهي على الشكل الآتي: يعد عبدالله بن علي أول حاكم عسكري عباسي على الرقة جاء إليها متعقباً مروان بن محمد بعد هزيمته في

عليهم الخراج ، إلا أنّ السكان لم يتقيدوا بالنصيحة، بل أقاموا في قراهم ، وكان الوقت بداية الحصاد، فلّما رأى أبو جعفر ماكانت عليه الجزيرة الفراتية من غنى، غضب على أخيه ، لأّنه لم يستوف من سكانها الكثير، فأمر بطرده من الولاية ، ومصادرة أملاكه. الزوقنيني: تاريخ،ص43.

(1) ابن شداد: الأعلاق، ج3، ق1، ص20. القشيري: تاريخ، ص15.

(2) الطبري: تاريخ ، مج4، ص507-508.

(3) الطبري :تاريخ، مج4، ص508. المقريزي: المنتقى من المقفى،ص134.

(4) المقريزي: المنتقى من المقفى، ص134. ابن شداد: الأعلاق، ج3، ق1، ص20. القشيري: تاريخ، ص15.

(5) المقريزي: المنتقى من المقفى، ص116. العش، يوسف: تاريخ عصر الخلافة العباسية، راجعه ونقحه: محمد أبو الفرج العش، دار الفكر المعاصر، ط2، بيروت،1419هـ/1998م، ص31، سيشار إليه لاحقاً: العش: تاريخ.

(6) ابن العديم: زبدة الحلب، ج1، ص57.

معركة الزاب[1]، فهو على هذا الأساس أول قائد عباسي يدرك تماماً رفض سكانها للسلطة العباسية، كما تكمن عناصر القوة في ثورته بعدة نقاط:

1- امتلاكه جيشاً كبيراً جيد التدريب من أهل الشام وأهل الجزيرة الفراتية حشد بالأصل لمقاتلة البيزنطيين.[2]

2- امتلاكه لخزائن بني أمية وأموالهم، التي استولى عليها في حران.[3]

3- احتواء جيشه بعض قادة العرب والفرس الكبار وفي مقدمتهم حميد بن قحطبة الذي كان معه أول الأمر[4]، وعلى الرغم من أنّه كان بحاجة إلى الخراسانيين إلا أنّه لم يكن يثق بهم، فخشي أن يرتدوا عليه[5]، لذلك تخلص منهم على حد زعم الطبري حتى إنّه قتل منهم سبعة عشر ألفاً، وأراد التخلص من زعيمهم حميد بن قحطبة حيث أرسل معه كتاباً موجهاً إلى زفر بن عاصم والي حلب بأن يضرب عنق حميد بن قحطبة، فقرأ الكتاب، وعلم ما فيه، وفرّ إلى أبي مسلم الخراساني.[6]

ولم يكن إخلاص أهل الشام له تاماً لأنّه قتل الكثير منهم بقسوة واضحة عند حصاره لدمشق[7]، وعلى هذا الأساس فقد اعتمد عبدالله بن علي على أهل الجزيرة الفراتية عموماً في ثورته بما فيهم سكان الرقة، فهم أشدّ إخلاصاً من غيرهم، وحاربوا إلى جانبه حتى النهاية، وبالمقابل فقد منحهم عبدالله بن علي مكانةً عالية في جيشه، وجعل زعمائهم قادة في جيشه فسلَم بكار بن مسلم العقيلي ميمنة جيشه، وسلّم حبيب بن سويد الأسدي الميسرة[8]، وأكثر من ذلك فقد وضع جميع الأموال والخزائن وكنوز الشام التي استولى عليها من الأمويين في الرقة وهذا يدل إن صح التعبير على رغبته في اتخاذ الرقة عاصمةً له، ومركزاً لثورته في الجزيرة الفراتية.[9]

وللإجابة عن سبب وقوف أهل الرقة إلى جانب عبد الله بن علي ؟

---

(1) عياش: حضارة، ص268.

(2) بيطار: الحياة السياسية، ص71.

(3) سينو: الحياة السياسية، ص84.

(4) سينو: الحياة السياسية، ص84.

(5) العش: تاريخ، ص31.

(6) الطبري: تاريخ، مج4، ص378-380. ابن العديم: زبدة الحلب، ج1، ص57.

(7) الطبري: تاريخ، مج4، 354-355.

(8) الطبري: تاريخ، مج4، ص379.

(9) بيطار: الحياة السياسية، ص73.

يمكن القول: إنّ أهل الجزيرة الفراتية عموماً كانوا يطمحون للحصول على بعض الامتيازات، والتخلص من الغبن الذي لحق بهم من جراء موالاتهم لبني أمية في السابق، وأنّهم سيكونون السبب الأساسي لتولية عبدالله بن علي الخلافة، وهذا سيعطيهم مكانة خاصة في الخلافة الجديدة إذا ماتمت.[1]

وقد ساند أهل الرقة عبدالله بن علي، ووقف واليها عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة إلى جانبه[2]، حتى بعد هزيمة عبدالله بن علي في نصيبين أمام أبي مسلم الخراساني، فقد أخرج عثمان أولاد العكي والي المنصور الذي رفض إعطاء البيعة لعبدالله بن علي، وضرب أعناقهم [3]، وقد تبع أبو مسلم الخراساني عبد الله بن علي إلى الرقة، واستولى على الخزائن والأموال، وكنوز الشام التي كانت بحوزته، وفرّ ملتجئاً إلى البصرة،وبقي فيها حتى قُبض عليه و سجن، ثّم وضعه الخليفة المنصور في بيت في البصرة أساسه من الملح، فسقط البيت عليه، وقتله في سنة 149هـ/ 766م.[4]

ب- بناء مدينة الرافقة في سنة 155هـ/771م:

نالت الرقة اهتماماً كبيراً من قبل المنصور، فقد مرّ بها أثناء عودته من بلاد الشام بعد أن قضى على ثورات شمال إفريقيا فأعجبه موقعها وطيب هوائها وعذوبة مائها، فأقام فيها أياماً وأراد بناء مصيف بجانبها يأوي إليه حين يشتد الحر في بغداد، وعند وصوله إلى بغداد أرسل ابنه المهدي لبناء مدينة الرافقة في سنة 155هـ/771م[5]، وأصل الرافقة في اللغة: من الرفق، ورفق به لان له جانبه وحسن صنعه، وهناك معنى آخر للرافقة: من رفق البعير رفقاً أي أشده بالرفاق، والرفاق حبل يشد به عضد البعير، وقد يكون المعنى الثاني هو المقصود حيث أراد المنصور من الرافقة أن تكون أداة لكبح جماح الرقة والجزيرة والشام عند اللزوم .[6]

---

(1) سينو : الحياة السياسية، ص86.

(2) الطبري: تاريخ، مج 4، ص378.

(3) الطبري: تاريخ، مج4، ص378.

(4) ابن العديم: زبدة الحلب، ج1، ص58. بيطار : الحياة السياسية، ص73. بيطار : تاريخ، ص98.

(5) الزوقنيني: تاريخ، ص156. ساك، دوثي: قصور الخلفاء في شمالي الرافدين من الفترة الأموية إلى الفترة العباسية، وثائق الآثار السورية الجزيرة ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1423هـ/ 2002م، =

= ص282، سيشار إليه لاحقاً: ساك: قصور. الجومرد، عبد الجبار: هارون الرشيد حقائق عن عهده وخلافته، شركة المطبوعات، ط3، بيروت، 1426هـ/2005م، ص57، سيشار إليه لاحقاً: الجومرد: هارون.

(6) حباب: تاريخ، ص386.

قبل الحديث عن أوصاف الرافقة لابدّ من الإجابة على السؤال التالي: لماذا اختار المنصور هذا الموقع لبناء مدينته الجديدة الرافقة؟

فقد نوه البلاذري وياقوت الحموي بأنّه لم يوجد في الرافقة أي بقايا لأبنية أثرية قبل بنائها مما يدل على أنّ المدينة بالكامل حديثة البناء[1]، وهذا ما أكده ابن شداد في وقتٍ لاحق عندما قال: الرقة مدينة قديمة، والرافقة مدينة محدثة [2]، ولاشكّ أنّ الجواب على هذا السؤال لا يمكن حصره بجانب واحد فقط :

– فالإدريسي يسمي الرقة مركز ديار مضر، وهي مقصد الوارد والصادر، ومعقل التجارات، وبها أسواق ومتاجر وصنائع، وأهلها مياسير، كما تمر منها شبكة مواصلات جيدة إذ تلتقي فيها الطرق العامة الواصلة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، وقد شكل الفرات شرياناً تجارياً هاماً[3]، ولاريب أنّ الرقة في العصر العباسي قد تقدمت اقتصادياً تقدماً محسوساً في الزراعة والتجارة بسبب انتقال مركز ثقل الدولة إلى العراق، وأصبحت النافذة التي تطل من خلالها خيرات بلاد الشام إلى أسواق العراق [4]؛ كما وصفها المقدسي بأنّها حسنة الأسواق كثيرة القرى والبساتين والخيرات، ومعدن الصابون الجيد، والزيتون، وأقلام القصب للكتابة، وانتشر ذكرها فالشام على تخمها، والفرات على جنبها، والعلم فيها كثير[5]، وهي غنية بالقمح، والزيت والخل والعسل حتى إنّ استمرار تصدير الزيت إلى خارج الرقة يؤدي إلى شلل كبير في أسواق الزيت في بغداد، ويضيف ابن الفقيه الهمذاني بأنّ حقوق إنتاج الزيت تعطى لبعض الحوانيت، وإن قام حانوت آخر في إنتاجه يغلق، وإلى جانب استخداماته كغذاء كان يستخدم كمطهر وعلاج ضد داء النقرس[6]، وقد بلغ خراج الجزيرة في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي تسعة آلاف ألف وسبعمائة وخمسة عشر ألفاً وثمانمائة درهم، أي حوالي عشرة ملايين درهم، وهذا مبلغ ضخم بالنسبة إلى ذلك العصر[7]، كما نقلت عبرها زراعات

---

(1) البلاذري: فتوح، ص204. شتورم: أهمية الرقة، ص137.

(2) ابن شداد: الأعلاق، ج3، ق1، ص70.

(3) الإدريسي: نزهة، ص649.

(4) القاسم ،حمود: الرقة وبلديتها خلال سنين الثورة، مطبعة الأصيل، حلب، 1389هـ/1969م، ص19، سيشار إليه لاحقاً: القاسم: الرقة .

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم ،ص141 . لسترنغ: بلدان ،ص133.

(6) شتورم: أهمية الرقة، ص133.

(7) ريحاوي، عبد القادر: الجزيرة في الحضارة العربية والإسلامية دراسة للتراث العمراني، وثائق الآثار السورية الجزيرة السورية، منشورات وزارة الثقافة، ط1، دمشق، 1423هـ/2002م ص149،سيشار إليه

الجزيرة من حبوب وقمح، وذرة، وشعير، وأرز، وسمسم وزيتون، وقصب، وسكر، وأعناب، والقطن، والزيت، والفواكه، والثمار المجففة، والبندق، والشاه بلوط، والبلوط، وكذلك الخيول، والأغنام، والطيور، والدجاج، واللحوم، والأصواف، ومشتقات الألبان من زبدة، وسمن، وجبن[1]، وقد اعترف المنصور نفسه بأثر العامل الاقتصادي للرقة عند بنائه لبغداد قائلا:...، وهذا الفرات يجيء منه كل شيء من الشام والرقة، وما حول ذلك من ديار مضر، والثغور، ويذكر أنّه سيبني أربع مدن لا تخرب،وهي: الرافقة، ولم يسمها، وملطية، والمصيصة، والمنصورة.[2]

– ولعلّ التفكير من قبل المنصور ببناء الرافقة لم يكن محض مصادفة، أومن قبيل نزوة عابرة بل كان لهذا العمل جذورأعمق في نفس المنصور قبل قيام الدولة العباسية، وقد ذكر الأزدي أنّ المنصور قد أشار على أخيه السفاح بينما كانا في طريقهما من الحميمة إلى الكوفة بضرورة تأسيس عاصمة جديدة بجوار الرقة تكون مقراً لشيعتهم، ولن ينتفعوا من الجزيرة ما لم يقوموا بهذا العمل.[3]

– وقد تنبه الخليفة العباسي المنصور إلى أهمية موقع الرقة من النواحي العسكرية والاقتصادية والسياسية، فمن الناحيتين العسكرية والسياسية كانت الرقة قريبة من التخوم الشمالية حيث يجثم الخطر البيزنطي ويتربص بالعرب المسلمين، كما أنّ موقعها قريب من مركز الثورات الموالية للحكم الأموي، والتي لم تهدأ في عهد أبي العباس السفاح، وبداية عهد المنصور، وكذلك ثورات الخوارج في شمال إفريقيا والجزيرة الفراتية [4]، فأراد جعلها عاصمة لولاية الجزيرة.[5]

– وتعد محطة تجارية مهمة على نهر الفرات فالبضائع الآتية من بلاد الشام إلى بغداد وفي مقدمتها الحبوب كانت تحمل في السفن من الرقة، وتسير في نهر الفرات حتى الأنبار، ثّم تنتقل في قناة تدعى نهر عيسى، التي ربطت نهر دجلة بنهر الفرات لتصل إلى عاصمة العباسيين بغداد، وبالإضافة للحبوب كان يرد من الرقة الطحين، والبضائع التجارية المجلوبة من مصر، وقد اختير هذا الموقع لأنّ مياه النهر لا تجمد شتاءً فأقيمت الأسواق والحوانيت، وتّم تبادل البضائع بين التجار من على

لاحقاً: ريحاوي: الجزيرة.

(1) ابن شداد: الأعلاق، ج3، ص44.

(2) الطبري: تاريخ، مج4، ص397. اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح الكاتب: كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي،ط1، د.م، 1408هـ/1987م،ص11، سيشار إليه لاحقاً: اليعقوبي: البلدان.

(3) شميساني، حسن: مدينة سنجار، بيروت، 1404 هـ/ 1983، ص241، سيشار إليه لاحقاً: شميساني: سنجار. حباب: تاريخ، ص368.

(4) القاسم: الرقة، ص18–19.

(5) ريحاوي: الجزيرة، ص149.

السفن فتحول النهر إلى سوق تجاري[1] ، وقد أكد الدمشقي في كتابه علم الفلك، أنّه تمّ الاعتماد على مرفأ الرقة في الملاحة النهرية، حتّى إنّه استخدم لنقل الخلفاء العباسيين من الرقة إلى بغداد.[2]

– كما شكلت الرقة محطة تجارية مهمة للطرق البرية التي يوردها ابن خرداذبة فهي تربط بين مدن بلاد الشام والعراق ومدن الجزيرة الفراتية، والثغور وساحل البحر المتوسط .[3]

–وربما أراد المنصور جعل الرقة قاعدة، ومقراً عباسياً بعيداً عن الأهواء والتيارات الأخرى، كما أنّه لا يثق بأهل الجزيرة الموالين لبني أمية، فقد تولى بنفسه قمع ثوراتهم أثناء قيام الخلافة العباسية[4]، وكإجراء عسكري وإداري نقل مجموعة من الجند الخراسانيين وأسكنهم في الرافقة[5] ولا يستبعد أنّ يكون المنصور أراد بذلك أيضاً إبعاد الجيش الخراساني عن بغداد خشية الشغب والقلاقل بين فرق الجيش خاصةً بعد اغتيال أبي مسلم الخراساني.[6]

– ومن الحوافز العظيمة التي شجعت المنصور بناء الرافقة إدراكه الخطأ الكبير الذي ارتكبه الأمويون لأنّهم لم يتخذوا لأنفسهم مدينة محصنة تحصيناً قوياً يستطيعون من خلالها مقاومة الأعداء لوقت طويل، لذلك بنى الرافقة على شكل قلعة حصينة لا يمكن للأعداء الاستيلاء عليها.[7] – ومن المؤكد أنّ المنصور قد تأثر بأعمال هشام بن عبدالملك، وخاصةً في الرقة، وهذا ما جعله يدرك أهميتها، وربما أراد بناء الرافقة العربية الإسلامية إلى جانب الرقة التي لم تبن في العصور الإسلامية.[8]

وقد عارض أهل الرقة المنصور في بناء الرافقة، وأرادوا محاربته، ولهم مبرراتهم في ذلك فالقيام بمثل هذا العمل سيعطل عليهم أسواقهم، ويذهب معاشهم، ويضيق منازلهم[9]، ولاشكّ أنّهم كانوا محقين في تحليلهم للأمور لأنّ إنشاء مدينة جديدة بجوار مدينتهم وفيها أماكن سكن جديدة سيتبعه مع مرور الزمن انتقال الأسواق إليها، وعندما أصبح علي بن سليمان في وقت لاحق والياً على

---

(1) شتورم: أهمية الرقة،ص131–132.

(2) شتورم: أهمية الرقة، ص132

(3) ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص129–135. شتورم: أهمية الرقة، ص132–133.

(4) سينو : الحياة السياسية، ص153.

(5) البلاذري: فتوح، ص204. القاسم: الرقة، ص20. لسترنج: بلدان، ص132.

(6) حميدة، عبد الرحمن: الرقة مدينة وتاريخ، مجلة الفيصل، العدد،42/ 1400هـ/1980م،ص44، سيشار إليه لاحقاً : حميدة: الرقة.

(7) القاسم: الرقة، ص19.

(8) شتورم: أهمية الرقة، ص137.

(9) الطبري: تاريخ، مج4، ص459.

الجزيرة قام فعلاً بنقل أسواق الرقة ومن بينها سوق هشام العتيق إلى الضاحية الجديدة بين الرقة والرافقة. [1]

وقد برهن المنصور على حنكة كبيرة في امتناعه عن استخدام القوة لتنفيذ مخططه حيث لجأ إلى وسيلة أفضل، وإن لم تكن جديدة وهي أنّ أحد الأولياء تراءى له في الحلم، وأوعز إليه ببناء مدينة في الموقع المحدد [2]، كما فعل عند بناء بغداد فقد استدعى راهباً من صومعة حيث نفذ الأمر نفسه في الرقة، وسأل الراهب إذا كان يجد في كتبه الدينية أّنه ستبنى مدينة في الموقع المذكور في المستقبل، فأجابه: نعم يبنيها رجل يدعى مقلاصاً، فقال: أنا كنت في صغري أدعى مقلاص، وأقنع بذلك أهل الرقة[3]، ومن هذه الرواية يتبين أنّ المنصور قد عزف على وتر العامل الديني لما له من وقع في نفوس الناس، وقد مارس ضغوطاً على الراهب المسيحي حتى ينتزع منه هذا التصريح.

ومن الجدير ذكره أنّ الرافقة لم تأخذ من الرقة دورها فقط مع مرور الزمن بل أخذت حتى اسمها، وقد تحقق الانتقال التدريجي إلى الموقع الذي بناه المنصور، حيث يذكر ابن حوقل والإصطخري اللذان كتبا في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أنّ الرقة والرافقة مرتبطتان ببعضهما البعض لكن كل واحدة مستقلة ولها جامعها الخاص، لكنّ المقدسي في سنة 375هـ/985م يقول: إنّ الرقة مزدهرة، والرافقة ضاحيتها، وبذلك يكون هناك تناقض واضح في مجرى التاريخ، وقد حاول هرتزفلد تفسير هذا التناقض بأنّ المقدسي أخطأ إذ ظنّ الرافقة هي الرقة، وعدّ الضاحية القائمة بينهما هي الرافقة ، ويؤكد لسترنج أنّ أبنية شيدت في الفضاء بين الرقة والرافقة[4]، والحموي يؤكد أنّ الرقة سبق أن أنشئت وتهدمت وانتقل الاسم إلى الرافقة، وفي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي يذكر الدمشقي المتوفى في سنة 727هـ/1326م في كتابه علم الفلك: بعد اندثار الرقة أصبح الاسمان لمدينة واحدة، ويعني الرافقة. [5]

مرّ بناء الرافقة بعدة مراحل أولها: البدء بجمع العمال الحدادين والبنائين من كل أنحاء الجزيرة الفراتية، وأمرهم أن يقطعوا اللبن، ليبنوا أساسات السور[6]، وإلى جانب ذلك جمع الأموال فقد تحمل

---

(1) البلاذري: فتوح، ص203. شتورم: أهمية الرقة، ص137. حباب: تاريخ، ص387.

(2) شتورم: أهمية الرقة، ص137.

(3) الطبري: تاريخ، مج4، ص359. الزوقنيني: تاريخ، ص159. حباب: تاريخ، ص387.

(4) لسترنج: بلدان، ص139 شتورم: أهمية الرقة، ص133.

(5) شتورم: أهمية الرقة، ص139.

(6) الزوقنيني: تاريخ، ص159. حباب: تاريخ، ص389. الحمد،محمد عبد الحميد: ماردينيسيوس التلمحري نشاطه السياسي ومنهجه التاريخي، وقائع الندوة الدولية حول الرقة، وآثارها، الرقة،1402هـ/1981م،

أهل الرقة نفقات بناء الرافقة، عندما فرض على كل واحد من أهلها أربعون درهماً، وكانت قد فرضت في البداية خمسة دراهم، فقال بعضهم:

يالقَومي مارأُينا أميَر المؤمنيَذا قسّم الخمسةَ فينا وجَبانا أربعيَنا [1]

وقال ابن العبري: جاء أبو جعفر المنصور إلى بلاد الشام ، وفرض على الأهالي ضرائب باهظة، وحشد كل الفضة والذهب في خزائنه فتضايق الناس، وجعلوا ينبشون القبور القديمة لعلهم يعثرون على حلي دفنت مع الموتى، ثم بدأ بالمرحلة الثانية وهي تخطيط المدينة، وقد اعتمد على أدهم بن محرز الذي رسم مخططاً لها يشبه إلى حد كبير مخطط بغداد[2]، حيث بدأ المهدي عملية البناء وهو ولي عهد المنصور[3] في سنة 155هـ/771م، فشابه بناؤها بناء مدينة بغداد في أبوابها، وفصولها، ورحابها، وشوارعها، سوّر سورها وخندقها، فجعل جميع أبنيتها من الآجر الذي قاوم الطبيعة لسنين طويلة، ولشدة مقاومته لا يزال قسم منه يبدو كأنّه صنع منذ وقتٍ قريبٍ، ثّم انصرف إلى مدينة السلام في سنة 158هـ /774م[4]، ولم يذكر المهدي الأقسام التي تّم إنجازها في هذه المرحلة من البناء، وقياساً على بناء بغداد يكون قد انتهى من بناء الأقسام داخل الرحبة العظمى، والسور الداخلي والخارجي، وفيما يتعلق بالجدار الخارجي فمن المؤكد أنّه لم يكتمل بناءه حتى عهد هارون الرشيد 170-193هـ/786-809م، حيث يذكر ابن شداد رواية سنة 180هـ/796م جاء فيها: "سار الرشيد إلى الرقة فاتخذها وطناً، وبنى سورها، واسمه مكتوب على باب السبال من الجانب الشرقي، حيث أمر بعمارته أمير المؤمنين هارون الرشيد أطال الله بقاءه بتولي الفضل بن الربيع، كما

ص201، سيشار إليه لاحقاً: الحمد: ماردينيسيوس.

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص113.

(2) اليعقوبي: تاريخ، ج2، ص293. ريحاوي: الجزيرة، ص149. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج3، ص157.

(3) يرى اليعقوبي أنّ ابتداء بناء الرافقة كان من أيام أبي العباس السفاح وتابع بناءها فقال : أنا لست أنزله فقيل له كيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال: كان أبي صار إلى هشام وهو بالرصافة، فجفاه وناله منه ما يكرهه، ثّم أنصرف وأنا وأخي معه ، فلّما صار إلى هذا الموضع قال لي ولأخي: أّما إنّه سيبني أحدكما =

= في هذا الموضع مدينة، فقلت له: ثّم ماذا؟ فقال: لاينزلها ولكن ينزلها ابنه، وأنا أعلم أنّي لا أنزلها، ولكن ينزلها ابني محمد، ويعني المهدي، اليعقوبي: تاريخ، ج2، ص308

(4) الطبري: تاريخ، مج4، ص507. ابن الأثير :عز الدين أبو الحسن: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1358هـ/1965م، مج6، ص5، سيشار إليه لاحقاً: ابن الأثير: الكامل.عياش، عبد القادر: الرقة كبرى المدن الفراتية، دير الزور ،1389هـ/1969م، ق2، ص5، سيشار إليه لاحقاً: عياش: الرقة .

أكد المقريزي هذه الرواية [1]، ويبلغ طول الرافقة من الشمال إلى الجنوب نحو 1500م[2]، ويبلغ طول السور الإجمالي الداخلي 5 كم تقريباً، ويحصر مساحة من الأرض تقدر ب 1,498000م^2 تقريباً[3]، وشابه مخططها مخطط بغداد الدائري، لكنّه اصطدم بالنهر في الجنوب الذي شكلّ جهة مستقيمة، فأصبح المخطط على شكل حذوة حصان[4]، ولاشكّ بأنّ بناء المدينة على شكل دائرة كبغداد أوعلى شكل قوس كالرافقة (الملحق 5) يجعل بناءها أقل تكلفة، ويصبح الدفاع عنها أكثر سهولة من خلال رؤية كاملة للأسوار أكثر مما لو كان البناء مربعاً أو مستطيلاً، كما أنّ محيط قطعة من الأرض على شكل دائرة أو قوس أقل من محيط المربع أو المستطيل المساوي لها لأنّه لا زوايا لها فبناؤها يكون أقل كلفة ، كما شيدت أسوار الرقة بالآجر بشكل مضاعف، وهي تتألف من السور الداخلي، ويحيط به السور الخارجي وبينهما الفصيل، ويحيط بالسور الخارجي الخندق عدا الضلع الجنوبي المحاذي للفرات[5]، وبفضل التنقيبات الأثرية والآثار الباقية كشف خندق عرضه من الأعلى 15,90م ومن الأسفل 9,5 م يحيط بالسور الخارجي، وكان مبلطاً بالآجر، ولا يمكن اجتيازه وقت السلم إلا بجسر أو قنطرة، وفي حال الخطر يملأ بالماء، ويرفع الجسر أو القنطرة، ويزود بالمياه عبر قناة تنقل إليه المياه من نهر الفرات[6]، وبعد الخندق يبدأ السور الخارجي على شكل قوس من باب بغداد الواقع في الجهة الشرقية إلى الشمال ثّم ينحرف إلى الغرب، ثّم ينحرف نحو الجنوب، حتى الباب الغربي الذي زالت معالمه تماماً، وهو الباب المناظر لباب بغداد، وقاعدته في الجنوب محاذية لنهر الفرات، ولم يكن السور مزدوجاً بالجنوب كباقي الأقسام بل استعيض عنه بأبراج

---

(1) المقريزي: المنتقى من المقفى، ص303. حباب: تاريخ، ص389.

(2) يؤكد المهندس الألماني بيتر غرونار بعد التحقيق الهندسي الذي أجراه على القصور الأموية في البادية:أنّ المعمار العربي وعلى مختلف المراحل حاول تجنب الكسور في أبعاد المنشآت العمرانية عياش: حضارة، ص271. طوير، قاسم: إسهام في دور الأرقام والقياسات المترية في الحضارة العربية الإسلامية، وقائع ومحاضرات المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية، كلية الآداب، دمشق، 1402هـ/ 1981م، ص639، سيشارإليه لاحقاً: طوير: إسهام في دور الأرقام والقياسات المترية.

(3) حباب: تاريخ، ص389.

(4) ساك: قصور، ص282.

(5) البهنسي، عفيف: سورية التاريخ والحضارة منطقة الجزيرة الفراتية، وزارة الثقافة، دمشق، د.ت، ص62، سيشار إليه لاحقاً: البهنسي: سورية التاريخ. حباب: تاريخ، ص378.

(6) شتورم: أهمية الرقة، ص138. حباب: تاريخ، ص388.

ضخمة ارتفاعها 30م[1] ، وبني السور على قاعدة صخرية يبلغ ارتفاعها من 60- 65 سم، وقد ساعدت هذه القاعدة السور على عدم التداعي على مر العصور، وتبلغ سماكة السور 4,5م [2]، وهو يضم أربعة مداخل منكسرة أي أنّ الباب الموضوع في السور الداخلي لايقع مقابل باب السور الخارجي تماماً بل إلى يساره مما يضطر الداخل إلى الانعطاف يساراً [3]، ومّما يؤكد أنّ السور الجنوبي كان ملاصقاً للنهر تماماً شعر لربيعة الرقي جاء فيه:

إّنها بريةٌ بحريةٌ سورُها بحرٌ وسورٌ في الجَدَدْ[4]

وبعد الجدار الخارجي يأتي الفصيل، وهو فراغ يفصل مابين السور الداخلي والخارجي، وعرضه 20.8م[5]، ويستفاد منه في إمكانية محاصرة العدو الذي يجتاز السور الخارجي، وحصاره قبل أن يصل إلى السور الداخلي، وبعد الفصيل يأتي الجدار الداخلي، وسماكته 5,80م حسب المهندس الفرنسي نودي، ويرتكز على قاعدة صخرية، ولم يبق منه سوى ارتفاع 10م في أجزائه الشمالية[6]، وعليه أبراج بقي منها برج دائري في الزاوية الجنوبية الشرقية خلف باب بغداد، وبعد الجدار الداخلي حسب مخطط بغداد يأتي الفصيل الداخلي، وهو منطقة سكنية تقسم إلى دروب تعرف بأسماء القادة العسكريين، ويلي الفصيل الداخلي سور أقل شأناً، ولا تزال آثاره قائمة، ويلي ذلك الرحبة العظمى التي تضم المسجد الجامع، وقصر الإمارة، ودواوين الحكومة، ولا يزال كثير من أقسام المسجد باقية بما فيها المئذنة[7]، كما هو معروف أنّ معظم المدن التاريخية كان لها أربعة أبواب على الأغلب مثل إيبلا، ولكن طبيعة بناء الرافقة تختلف بعض الشيء بسبب التعديل الذي طرأ على مخطط المدينة لوجود النهر من الجهة الجنوبية، وعلى هذا فإنّ مخطط المدينة يحتاج بابين أو ثلاثة أبواب فقط، فالباب الأول في الزاوية الجنوبية الشرقية ولايزال قائماً وقد حفظته مديرية الآثار في الرقة بمساند حجرية، والباب الثاني في الزاوية الجنوبية الغربية يسميه ياقوت باب الجنان، وكان البابان من الآجر وبجوار كل باب برج مستدير نصف قطره 7,80م وبرج الباب الأول كان قائماً في سنة 1325هـ/ 1907م، وقد رآه هرتزفلد بينما زال برج الباب الثاني، وهناك باب ثالث في الجهة الشمالية يسمى باب

---

(1) طلاس: المعجم، ص500.

(2) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص309.

(3) حباب: تاريخ، ص388.

(4) العاني: شعر، ص41.

(5) شتورم: أهمية الرقة، ص138.

(6) بعد أعمال الترميم تم إعادة بناء هذا القسم بشكل كامل، الباحث.

(7) حباب: تاريخ، ص388.

أورفة [1]، ويضيف الدكتور حباب بابين آخرين للرافقة، وهما باب السبال في الشرق، والباب الجنوبي على نهرالفرات مما يجعل أبوابها خمسة[2]، ويتوسط الرافقة المسجد المنصوري، وقصر الإمارة، ويعود بناؤهما إلى عهد الخليفة أبي جعفر المنصور 136-158هـ/753-755م، حيث تجتمع فيه خصائص المسجد الرافدي الكوفي، مع خصائص المسجد الشامي الأموي، وهو مبني من اللبن المجفف والآجر المشوي، ومئذنة المسجد بحالة جيدة[3] ، ويتألف من صحن وحرم مستطيل عرضه 92,90م من جهة القبلة، وطوله 108,10م، وهو محاط بجدارين من اللبن المغلف بالآجر المدعم بأبراج نصف دائرية، وفي كل زاوية برج مستدير، ومجموع عدد الأبراج 20 برجاً، ويبلغ سمك السور 1,7م، وفي الصحن تنهض المئذنة ولكنّها أنشئت في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وهي تشبه مآذن جعبر ومسكنة، ويقوم الحرم في الجهة الجنوبية بعمق 30,6م وهو ذو سقف جملوني محمول على صفين من الأعمدة في كل صف 14عموداً، وبالنسبة لواجهة الحرم المطلة على الصحن فهي مؤلفة من إحدى عشرة فتحة مقوسة، ومبنية من الآجر المشوي، وقد وصفه المقدسي بأّنه جامع عجيب، وحدد مكانه في سوق الصاغة، وفيه شجرتا عناب وشجرة توت.[4]

وأّما عن عدد سكانها فلا توجد إحصائية دقيقة في هذا المجال، ولكنّ مظاهر الغنى والرخاء الذي تمتعت به في العصر العباسي كان عاملاً مهماً لزيادة السكان شأنها شأن باقي المدن في الجزيرة الفراتية.[5]

3- الرقة في عهد المهدي 158-169هـ/774-785م:

توفي المنصور في سنة 158هـ/774م بعد خروجه للحج، ودفن بقبر ميمونة بعد خلافة دامت اثنتين وعشرين سنة وثلاثة أشهر[6]، وبويع المهدي بالخلافة، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بمكة صبيحة الليلة التي توفي فيه أبو جعفر المنصور، بويع في بغداد يوم الخميس لإحدى عشرة بقين من ذي الحجة في السنة نفسها، وأم المهدي أم موسى بنت منصور بن يزيد بن شمر

---

(1) عياش: حضارة، ص270.

(2) حباب: تاريخ، ص390.

(3) طلاس: المعجم، ص501.

(4) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص141. البهنسي: سورية التاريخ، ص63.

(5) le strange,Cye: The lands of The easter caliphate, p96, Cambridge university,1905. Cabriel, Albert: voyages archeologique dan la Turque orientale ,p1, paris,1940.

(6) ابن الوردي: تاريخ، ص190. ابن العبري، غريغوريوس الملطي: تاريخ مختصر الدول، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 1421هـ/2001م، ص125، سيشار إليه لاحقاً : ابن العبري: تاريخ.

الحميري [1]، وكان الشاعر أبو دلامة أول من عزاه بموت المنصور بقصيدة رائعة من أبياتها :

عيناي واحدةٌ تُرى مسرورةً   بأميرها جَذْلَى، وأخرى تذرفُ

تبكي وتضحكُ تارةً ويسوءها   ما أنكرتْ ويسرُّها ماتعرفُ [2]

ومن أخلاق المهدي الحياء والجود والعفو والحلم، وكان يتأثر بالقرآن، واتصف بالعدل، وجلس للمظالم بنفسه [3]، وقد أخذ البيعة لابنه هارون الرشيد بعد موسى واستحلف الناس على ذلك[4]، وتوفي في سنة 169هـ/785م ليلة الخميس لثمان بقين من المحرم، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً ونصف الشهر، وعن سبب وفاته يذكر: أنّه بينما كان في قرية يقال لها الرذ بماسبذان حيث رأى الكلاب طردت ضبياً فلم يزل يتبعها، فاقتحم الظبي خربةً فاقتحمت الكلاب خلفه، واقتحمت الفرس خلف الكلاب فدق رأسه في باب الخربة، فمات من ساعته.[5]

منذ بناء الرافقة سنة 155هـ/771م أصبحت الرقة بشكل فعلي قاعدة الإقليم، وقد سكن المهدي الرافقة، وكان معه طبيبه ومنجمه ثيوفيل بن توما الرهاوي ت. 167هـ/783م، وأضاف بناءً جديداً إلى الشمال الشرقي من الرافقة، فبنى صالحية الرقة [6]، وعندما أصبح الرشيد خليفة زاد في عمرانها [7] وأقام فيها الولاة على التوالي وهم الهيثم بن سعد، وهو والٍ على الجزيرة الفراتية منذ عهد المنصور حتى عزله المهدي سنة 159هـ/775م، وولى عليها الفضل بن صالح في السنة نفسها

---

(1) الطبري: تاريخ، مج4، ص544.

(2) حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص28-29.

(3) الطبري: تاريخ، مج4، ص585.

(4) الجهشياري: الوزراء، ص95-96.

(5) وقيل أيضاً إنّ سبب وفاته: جارية وضعت السم في طعام لجارية أخرى فأكل منه المهدي، وهو لا يعلم فمات، وقد رثاه بكاء بن رباح بقوله :

ألاَ رحمةَ الرحمنِ في كلِ ساعةٍ   على رمةٍ رمتْ بما سبذانِ

لقد غيبَ القبرُ الذّي تّم سؤددا   وكفين بالمعروفِ تبتدرانِ

الطبري: تاريخ، مج4، ص583-584. حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص41.

(6) اقترن ذكر الصالحية في أشعار الصنوبري مع مواضع قريبة من البليخ إلى الشمال الشرقي من الرافقة، ومنها بطياس، ودير زكّى، وغيرها، ومنه قوله:

إنّي طربتُ إلى زيتونِ بطياسِ   بالصالحيةِ ذات الوردِ والآسِ

منْ ينسى عهدها يوماً فلستُ لهُ   وإنْ تطاولتْ الأيام بالناسِ

الحموي: معجم البلدان، ج3،ص390. الشابشتي: الديارات،ص218. مجموعة من المؤلفين:الرقة، ص97.

(7) الحموي: معجم البلدان،ج3، ص189-190. الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص224.

حتى سنة 161هـ/777م[1]، ثّم عين عبد الصمد بن علي، ولم تدم ولايته أكثر من ولاية الفضل بن صالح فعزله سنة 163هـ/779م، ويعود سبب عزله إلى نقمة المهدي عليه لأّنه عندما مّر في الجزيرة أثناء تشيعه لولده هارون لغزو الروم البيزنطيين، لم يخرج عبد الصمد لاستقباله، ولم يعد العدة لذلك، فأراد المهدي أن يعاتبه على سوء تصرفه حين نزل حصن مسلمة، وأغلظ له القول، فلم يتقبل عبد الصمد ذلك، ورد عليه بالطريقة نفسها، فأمر المهدي بعزله وسجنه[2]، ثّم عين على الجزيرة الفراتية على وجه السرعة كإجراء إداري مؤقت زفر بن عاصم، ومالبث أن عزله وعين عبدالله بن صالح في سنة 163هـ/779م وكان عبد الله طيب السمعة وجاء تعيينه [3]، وقد ولى المهدي هارون الرشيد غربي المملكة من الأنبار إلى إفريقيا التي أصبحت شؤونها في هذا العصر تدار من الرقة.[4]

ومن الملاحظ أّن المهدي لم يحتفظ بولاته بل كان يحاسبهم على تقصيرهم لكون الرقة جبهة مفتوحة على البيزنطيين، وقاعدة للجيوش المنطلقة نحو بيزنطة، وقد ساهم الولاة أنفسهم بالغزو، فعندما تولى الجزيرة علي بن سليمان سنة 165هـ/781م الذي بقي والياً حتى وفاة المهدي سنة 169هـ/785م أرسل يزيد بن بدر البطال في خيل كثيرة إلى بلاد بيزنطة فظفروا، وغنموا وعادوا.[5]

أ- دور الرقة في أعمال المهدي العسكرية ضد الروم البيزنطيين:

استفاد المهدي كل الاستفادة مما قام به والده المنصور، فقد وجد الخزائن ممتلئة بالمال[6]، ووجد الأمن مستتباً، ووجد الناس خاضعين للخليفة يأتمرون بأمره ويهابونه [7]، وهذه العوامل جعلت المهدي يتوجه إلى دولة الروم العدو الأساسي للدولة العباسية، وكان الإمبراطور البيزنطي قسطنطين 124-138هـ/741-755م قد هاجم منطقة الثغور مستغلاً الاضطرابات في السنوات الأولى من

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص53.القشيري: تاريخ، ص15. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص96.

(2) الطبري: تاريخ، مج4، ص568

(3) ابن الأثير: الكامل،ج5، ص63. مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ج3، ص378. القشيري: تاريخ ، ص15.

(4) الحسون، مصطفى: دار الرشيد وعاصمته الثانية، وقائع الندوة الدولية حول الرقة وآثارها، الرقة، 1402هـ/1981م، ص35، سيشار إليه لاحقاً: الحسون: دار الرشيد .

(5) عياش: حضارة، ص273. القشيري: تاريخ، ص15.

(6) قد خلف المنصور عند وفاته تسعمائة ألف ألف درهم وستين ألف ألف درهم الجهشياري: الوزراء، ص101.

(7) العش: تاريخ، ص49.

قيام الدولة العباسية ودمر حصونها خاصةً حصون الفرات، وحصون المنطقة الوسطى الجزرية مثل الحدث، وزبطرة، وملطية[1]، وقد بدأ المهدي بالعمليات العسكرية سنة 163هـ/780م من الجزيرة الفراتية مروراً بالرقة بحصن مسلمة بن عبدالملك، وقد استخلف في بغداد موسى بن المهدي، وكان قد أرسل ابنه هارون غازياً في بلاد الروم، وضم إليه الربيع الحاجب والحسن بن قحطبة[2]، حيث أصبحت الرقة مركزاً أساسياً لتزويد الجيوش بالمؤن والعتاد وقاعدة لانطلاق جيوش المهدي نحو بيزنطة، وكثيراً ما ودعت الرقة الرشيد غازياً أيام والده المهدي إلى بلاد الروم، فيحاصر عاصمة بيزنطة القسطنطينية وغيرها ثّم يعود إلى الرقة [3]، ومن أهم الغزوات التي أعدت في الرقة الحملة التي حملت اسم هارون الرشيد سنة 165هـ/781م، وكان على إمرة الجيش القائد العربي المشهور يزيد بن مزيد الشيباني المشبه بخالد بن الوليد الذي أمره الرشيد [4]، وفي هذه الغزوة أجبر الرشيد الإمبراطورة إيريني على دفع جزية كبيرة للمسلمين. [5]

4- الرقة في عهد الخليفة الهادي 169-170هـ/785-786م:

هو أبو محمد موسى بن المهدي بن المنصور، وأمه أم ولد بربرية اسمها الخيزران، ولد في الري سنة 147هـ/764م، وبويع بالخلافة بعد أبيه بعهد منه، وقال الخطيب: لم يتول الخلافة قبله أحد في سنه فأقام فيها سنة وستة أشهر، وفي خلافته جدّ في قتال الزنادقة، فقتل منهم خلقاً كثيراً[6]، وعند وفاة المهدي كان الهادي مقيماً في جرجان، وهارون مع المهدي في عسكره، فأنفذ هارون مولاه نصيراً على دواب البريد إلى الهادي بالخبر، وأنفذ معه القضيب والبردة والخاتم، وفي بغداد كان الربيع قد قام بأمر البيعة، فقدم موسى الهادي على دواب البريد[7]، ويورد الطبري عدة روايات حول وفاته، ومنها قول الواقدي: مات بعيسباذ في نصف شهر ربيع الأول ليلة الجمعة سنة 170هـ/785م، حيث دامت خلافته سنة وشهراً واثنين وعشرين يوماً، حيث كانت ليلة وفاته مميزة عند ابن طباطبا فهي ليلة

(1) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص95.

(2) الطبري: تاريخ، مج 4، ص566.

(3) الحسون: دار الرشيد، ص35.

(4) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص95.

(5) الطبري: تاريخ، مج 4، ص572. ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص147.

(6) السيوطي: تاريخ، ص298. ابن العبري: تاريخ، ص128.

(7) الجهشياري: الوزراء، ص107.

مات فيها خليفة، وجلس فيها خليفة، وولد فيها خليفة، فأمّا الخليفة الذي مات فهو الهادي، والذي جلس على سرير الخلافة هو الرشيد، والذي ولد هو المأمون.[1]

وعندما استلم الخليفة الهادي الحكم عزل علي بن سليمان سنة169هـ/785م، وعين منصور بن زياد والياً على الرقة والجزيرة الفراتية، واستمرت ولايته حتى وفاة الهادي سنة 170هـ/786م، وفي خلافة الهادي أقام الرشيد في الرقة معظم أيامه، وقد أراد الهادي تقليد جده المنصور عندما خلع عيسى بن موسى، وبايع لولده، وشجعه على ذلك رجال بلاطه [2]، وقد أدرك الهادي محبة الرشيد للرقة وتمسكه بالهني والمري[3]، وهما من أعمال الرقة، فعزم على خلعه، وبذل له الهني والمري ، وكاد هارون يجيبه لولا تدخل يحيى بن خالد بن برمك، فقال هارون: إذا نزلت على الهني والمري، وخلوت بابنة عمي ويعني أم جعفر وكان يجد بها وجداً شديداً فما أريد شيئاً ، فقال يحيى: إنّها الخلافة، ولعل ما تقدّر أنّه يبقى لك لا يبقى، ولم يزل يقنعه حتى أثناه عن رأيه ومن هذا القول يتبين أمران: الأول: أهمية الرقة حتى باتت تعادل بالخلافة، وتوضع في الميزان نفسه، والأمر الثاني: إدراك الهادي مدى تمسك الرشيد بالرقة، وهذا ما شجعه على هذا العرض، وحتى إنّ هارون كاد أن يجيب لولا تدخل يحيى بن جعفر، وعندما رفض الرشيد خلع نفسه غضب الهادي وقال شعراً :

نصحتُ لهارونٍ، فردَّ نصحِي ... وكلُّ امرئٍ لايقبلُ النصحَ نادُم
وأدعوهُ للأمرِ المؤلّفِ بيننا ... فيبعدُ عنهُ وهو في ذلكَ ظالُم
ولولا انتظاري منه يوماً إلى غدٍ ... لعادَ لما قلتهُ وهَو راغُم

وقد نجح يحيى في إقناع الهادي بالعدول عن فكرته ولو مؤقتاً ، متذرعاً بصغر سن ابنه جعفر، واحتراماً للعهد الذي قطعه عليه والده، ولكي لا يقوم أهل بيته في التنازع من أجل الخلافة، وكان الرشيد قد استأذن أخاه الهادي عملاً بنصيحة يحيى بالخروج إلى الصيد، فأذن له، وطال غيابه، وأخذ الهادي يلح عليه بالعودة، وهو يختلق من الأعذار ما يطيل بقاءه حتى أتاه نعي أخيه والبيعة له.[4]

5- الرقة في عهد هارون الرشيد 170-193هـ/786-808م:

بويع هارون بن محمد بن عبدالله بن علي العباسي بالخلافة ليلة الجمعة التي توفي فيها أخوه

---

(1) الطبري: تاريخ، مج4، ص608- 609. ابن طباطبا: الفخري، ص174.

(2) القشيري: تاريخ،ص15. حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص42.

(3) الهني والمري نهران بجوار الرقة. الجوابرة، فاطمة: موسوعة الخلفاء، دار صفاء، ط1، عمان ، 1423هـ/2003م، ج1، ص229، سيشار إليه لاحقاً: الجوابرة: موسوعة.

(4) السيوطي: تاريخ، ص308. حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص43-44.

موسى الهادي في 14 ربيع الأول سنة 170هـ/14 أيلول 786م، وعمره عندما بويع بالخلافة 21 سنة، وأمه أم ولد تدعى الخيزران[1] ، وكان مولده في الري سنة 145هـ/762م، ولما شبّ رشحه أبوه للخلافة، فولاه مهام الأمور وجعله أميراً على الصائفة سنة 163هـ/779م، وفي سنة 164هـ/780م ولاه المغرب من الأنبار إلى أطراف إفريقيا، فكان الولاة والرسل من قبله، وفي سنة 166هـ /782م جعله ولي عهده بعد أخيه الهادي [2] ، وفي ولادته أرضع الرشيد من لبان الفضل بن يحيى، وأرضعت الخيزران الفضل بلبان الرشيد[3]، وفي الليلة التي توفي فيها الهادي أخرج هرثمة بن أعين الرشيد وأقعده على الخلافة، وأمر الرشيد بإخراج يحيى بن الفضل من السجن فقلده الوزارة.[4]

ويصف ابن طباطبا الرشيد بأنّه من أفاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم وكان يحج سنة ويغزو سنةطيلة مدة خلافته إلا سنين قليلة، وحج ماشياً ولم يحج خليفة ماشياً غيره، ويشبه بأفعاله المنصور إلا في بذل المال وكان لا يضيع إحسان محسن ويحب الشعر والشعراء ويميل إلى أهل الأدب والفقه، ويحب المديح خاصةً من شاعر فصيح فيجزل له العطاء[5]، وكان يتأثر بالشعر والموعظة قال الأصمعي: صنع الرشيد طعاماً وزخرف مجلسه فطلب من أبي العتاهية[6] أن يصف مجلسه، فقال أبو العتاهية:

عشْ مابدا لكَ سالماً في ظلِّ شاهقةِ القصورِ

فقال الرشيد: أحسنت، ثّم ماذا ؟ فقال:

يسعى عليكَ بما اشتهْيـ تَ لدى الرواحِ أو البكورِ

فقال حسن، ثّم ماذا ؟ فقال:

فإذا النفوسُ تقعقَعتْ في ظلِّ حشرجةِ الصدورِ

---

(1) الطبري: تاريخ، مج4، ص617 .المؤرخ المجهول: تاريخ الرها المجهول، عربه عن السريانية ووضع حواشيه ألبير أبونا، مطبعة شفيق، بغداد،1407هـ/1986م، ج2، ص13، سيشار إليه لاحقاً: المؤرخ المجهول: تاريخ. ابن العبري: تاريخ، ص128. ميخائيل الكبير: تاريخ، ج3، ص78. عياش: حضارة، ص273

(2) عياش: حضارة، ص273.

(3) الطبري: تاريخ، مج4، ص617.

(4) الطبري: تاريخ، مج4، ص618-619.

(5) ابن طباطبا: الفخري، ص193.

(6) أبو العتاهية: لقب لقبه إياه المهدي أي الإنسان المتحذلق، الأصفهاني: الأغاني، ج4، ص4.

فهناكَ تعلُم موقناً ما كنتَ إلا في غرورِ

فبكى الرشيد، فقال الفضل بن يحيى: بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته! فقال الرشيد: دعه فإّنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا منه[1]، كما كان يحب العلم ويطلبه، ويجالس العلماء ويتواضع لهم، ويروي أبو معاوية الضرير، وكان من علماء الناس: أكلت مع الرشيد يوماً فصبّ على يدي الماء رجل، فقال لي: يا أبا معاوية! أتدري من صبّ الماء على يديك؟ فقالت: لا يا أمير المؤمنين، فقال أنا، فقلت: يا أمير المؤمنين تفعل هذا إجلالاً للعلم؟ قال: نعم [2]، ويذكر الطبري رواية أّن الرشيد رأى في المنام بينما كان في الرقة أّن وفاته ستكون في طوس فأخبر طبيبه جبريل بن بختشيوع، وعندما ذهب إلى طوس مّر ببستان للجنيد بن عبدالرحمن في ضيعة له تعرف بسنباذ وأثناء مروره بالقصر تذكر الرؤيا فعلم أّنه هالك فظلّ طبيبه يهون عليه حتى مات في طوس في ثالث جمادى الآخرة سنة 193هـ/ 24 آذار 808م. [3]

وبعد أن استلم الرشيد الخلافة سنة 170هـ/786م عزل الوالي منصور بن زياد عن الرقة والجزيرة الفراتية، وعين مكانه أبا هريرة محمد بن فروخ، الذي بقي والياً حتى سنة 177هـ/ 793م[4]، ولكن مالبث أن عزله بسبب فشله في التصدي لثورات الخوارج[5] ، ثّم ولى حرب بن قيس، ثّم خرج الوليد بن طريف التغلبي في الجزيرة ثائراً سنة 178هـ/794م وقتل إبراهيم بن خازم بن خزيمة في مدينة نصيبين[6]، وعاث في أرض الجزيرة فساداً، فسير إليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني، فوقعت بينهم معارك قتل الوليد في إحداها، واستعمل الرشيد خزيمة بن خازم بن خزيمة واستمر والياً عليها حتى عيّن ابنه القاسم على الجزيرة الفراتية والشام سنة 186هـ/802م، ومن الجدير ذكره أّن ولاية القاسم كانت عامة، فكان يعين من قبله الولاة ويعزلهم مثل عبدالملك بن صالح وخزيمة بن خازم بن خزيمة حتى وفاة الرشيد سنة 193هـ/ 808م[7] ، لابل أّن الرقة في أيام الرشيد حظيت باهتمام كبير

---

(1) ابن طباطبا: الفخري، ص193-194.

(2) ابن طباطبا: الفخري، ص194. عياش: حضارة، ص274.

(3) الطبري: تاريخ، مج5، ص14. الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص257. ابن رسته: الأعلاق، ص305. عياش: حضارة، ص273.

(4) القشيري: تاريخ، ص15.

(5) سينو: الحياة السياسية، ص141.

(6) لا تذكر المصادر المهمة التي كلف فيها إبراهيم بن خازم بن خزيمة، وعلى الأرجح أّنه قائد كلف بالدفاع عن نصيبين، القشيري: تاريخ، ص16.

(7) القشيري: تاريخ، ص16.

من قبله، حتى إنّه نقل مركز العاصمة من بغداد إلى الرقة سنة 180هـ/ 796م، حيث يذكر الطبري: أنّه نزلها واتخذها وطناً[1]، و يتفق ابن الأثير، وابن كثير، وابن شداد مع الطبري في التعبير نفسه[2]، ويورد بروكلمان نصاً يقول فيه: إنّ الرشيد نقل مقر إقامته في السنوات الأخيرة من حياته بعد نكبة البرامكة إلى الرقة على الفرات[3] ، والجهشياري يؤكد أنّه سكنها منذ عهد أخيه الهادي، أمّا الجومرد فيعبر عن سكن الرشيد الرقة بالمصطلحات الحديثة فيقول: جعل الرشيد الرقة عاصمةً دائمةً، وكان لا يعود إلى بغداد، ويقيم فيها يوماً واحداً إلا لضرورة ملزمة، لذلك تغير رونق بغداد وسكتت ألسنة الشعراء، وخبت أنوار قصورها[4]، وقد أصاب الجومرد في تعبيره بمصطلح "عاصمة الرشيد"، فمن خلال إجراءاته وأعماله فيها يتبين أنّه جعلها عاصمة ثانية للخلافة، فقد أقام فيها 13سنة بشكل شبه دائم من سنة 180هـ/796م، وحتى وفاته 193هـ/808م، ولم يغادرها إلا لغزوٍ أو حجٍ، ولم يدخل بغداد إلا مروراً بها خلال أسفاره باستثناء سنة 184هـ/800م حيث قدم بغداد من الرقة، وأقام فيها بضع شهور، وما لبث أن عاد إلى الرقة، وفيها وضع خزائنه، وحرمه وقادته، ووزراءه، وأعلام عصره، وجعل في الرقة داراً لضرب النقود[5]، ومما يؤكد أنّ خزائن الرشيد كانت في الرقة نص يورده الطبري وابن فضل الله العمري حيث يذكران: لمّا توفي الرشيد بويع للأمين الذي، قدمت عليه أمه زبيدة[6] من الرقة ومعها خزائن الرشيد، فتلقاها ابنها الأمين في الأنبار، ومعه وجوه بغداد[7]، وقد اختار الرشيد الرقة كمدينة لبناء معظم قصوره[8]، ومنها قصر السلام، والقصر الأبيض، وقصر

---

(1) الطبري: تاريخ، مج4، ص644. المؤرخ المجهول: تاريخ ، ج2، ص14.

(2) ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص175. ابن الأثير: الكامل، مج6، ص152. ابن شداد: الأعلاق، ج3،= = ق1، ص70-71.

(3) بروكلمان: تاريخ، ص187.

(4) الجهشياري: الوزراء، ص109. الجومرد: هارون، ص429.

(5) الحسون: دارالرشيد، ص39-40. الجومرد: هارون، ص429.

(6) زبيدة أم الأمين: زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور تزوجها الرشيد سنة 165هـ/781م، في قصره المعروف بالخلد، وتوفيت في بغداد سنة 216هـ/831م، ابن خلكان: وفيات ج2، ص213-217 .

(7) الطبري: تاريخ، مج5، ص31. العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله: مسالك الأبصار، تح: حمزة أحمد عباس، السفر السادس، المجمع الثقافي، ط1، أبو ظبي، د.ت، ص36-37، سيشار إليه لاحقاً: العمري: مسالك.

(8) الحموي: معجم البلدان، ج3، ص15.

الخشب، وقصر هرقلة [1] ، والسؤال الذي يمكن طرحه ما هي الأسباب التي جعلت الرشيد ينتقل من بغداد إلى الرقة ليتخذها عاصمة ثانية للخلافة؟

فهل هرب من البرامكة؟ أم من مشاكل خراسان؟ أم أنّه واجه مشاكل في بلاد الشام أراد السيطرة عليها؟

لاشكّ أنّ أسباباً وعوامل عديدة جعلته يقدم على هذه الخطوة، ولم تكن أبداً محض مصادفة منها:

– الأسباب السياسية حيث اشتعلت العصبية القبلية في الشام بين أهلها، وتفاقم أمرها، وعلى الرغم من أنّه عقد لجعفر بن يحيى على الشام حيث نجح هذا الأخير في إعادة الأمن والسكون إليها[2]، وابن الأثير قال: سكّن الفتنة أي لم يقض عليها لذلك أراد الرشيد مراقبة الوضع عن قرب، فاختارالرقة الأقرب إلى الشام من بغداد، فأقام فيها.

– كان الرشيد يخشى الخوارج الذين لم يستطع الأمويون والعباسيون إفناء روحهم الثورية[3] على الرغم ّمما كانوا يجردون لهم من الجيوش، وقد شكلت الرقة مركزاً لهم لاسيما الإباضية[4]، وينتسبون إلى رئيسهم عبدالله بن إباض التميمي[5]، واشتهر زمن الرشيد خوارج ذوو بأس شديد أعظمهم أثراً الوليد بن طريف الشاري [6]، حيث قضى الرشيد على ثورة لهم في الموصل قبل أن يصل إلى الرقة [7]، ولم يرفع عنهم السيف إلا بعد دخول المنصور بن بحره وهو شاعر من بني ربيعة منشداً الرشيد قائلاً:

يجّردُ فينا السيفُ من بينِ مارقٍ وعانٍ بخودٍ[8] كلهُّمُ متحاملُ

---

(1) الحسون: دار الرشيد، ص36. حميدة: الرقة، ص44.

(2) ومما يستدعي الانتباه أنّ تاريخ هياج العصبية القبلية في الشام سنة 180هـ/796م، هو التاريخ نفسه الذي غادر فيه الرشيد بغداد متوجهاً إلى الرقة، الجهشياري: الوزراء، ص133–134. ابن الأثير: الكامل، مج6، ص152–153.

(3) الحسون، مصطفى: الرقة عاصمة الرشيد، مجلة صوت الرافقة، العدد2، ص7–38، المطبعة السورية، حلب، 1388هـ/ 1968م، ص16 سيشار إليه لاحقاً: الحسون: الرقة.

(4) القشيري: تاريخ، ص48.

(5) أمين: فجر الإسلام، ص260.

(6) عياش: حضارة، ص273–274.

(7) الطبري: تاريخ، مج4، ص644.

(8) خود: مفردها خود، وهي البعير الذي أسرع في سيره، مجموعة من المؤلفين : المعجم الوسيط، أمواج للطباعة والنشر،1407هـ/ 1987م، ج1، ص261، سيشار إليه لاحقاً: مجموعة من المؤلفين: المعجم الوسيط.

لنا فيكَ أرحاٌم ونعتدُّ طاعةً وبأساً إذا اصطكَّ القنا والقنابلُ
ولا يحفظُ الأنسابَ مثلكَ حافظٌ ولا يصلُ الأرحَام مثلكَ واصلُ[1]

– وأراد الرشيد بناء مصيفٍ يأوي إليه حيث يشتد حر الصيف في بغداد التي كان يسميها مدينة البخار وقد خرج إلى مرج القلعة، فمرض فيها، فانصرف، وسميت سفرته هذه سفرة المرتاد[2]، ثّم صعد شمالاً في سنة 174هـ/790م إلى جبل الجودي، ووصل إلى جزيرة ابن عمر فبنى في "باقردي ،وبازبدي" قصراً جميلاً قال فيه أحد الشعراء :

بقردي وبزبدي مصيفٌ ومربعٌ وعذبٌ يحاكي السلسبيلَ برودُ
وبغدادُ ما بغدادُ أّما ترابهُا فجمٌر ، وأّما حرُّها فشديدُ

ولكن بعد هذا المصيف عن عاصمة الدولة جعله يتخلى عنه، فبدأ يبحث عن منتزه وعاصمة في آنٍ واحد فوقع الاختيار على الرقة لتؤدي هاتين المهمتين مع بعضهما البعض[3]، ومهما يكن فإنّ مناخ الرقة هو ألطف من مناخ بغداد.

– يبدو بشكل واضح أن الوقت الذي تّم فيه الانتقال إلى الرقة هو الوقت نفسه الذي سقط فيه البرامكة، حيث كانوا يقبضون على زمام السلطة الشاملة، وقد أراد الرشيد أن يحرر حكمه بعد 17 سنةً من سلطة البرامكة بشكل خاص، والفرس بشكل عام، وقد أثارت هذه الخطوة الكثير من الدهشة في بغداد، وجلبت لهارون الرشيد من دون شك نقمة المقربين من البرامكة، وللهرب من هذا العدو انتقل هارون الرشيد إلى الرقة [4]، كما لم تكن هذه الخطوة الوحيدة الفريدة في التاريخ إذ أنّ آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد الذي كان يقيم في دمشق عندما فقد الأمان فيها نقل مقر إقامته إلى حران ليكون في ظل حماية القيسيين [5] وكذلك فعل ابن الرشيد المعتصم عندما غادر بغداد متوجها إلى سامراء فجعلها عاصمةً له، ومقراً لإقامته [6]، ولا يمكن تحديد تاريخ ذهاب الرشيد إلى الرقة هل هو قبل نكبة البرامكة أم بعدها ، ولكن من المؤكد أنّ الضربة الحاسمة للبرامكة جاءت من الرقة[7]،

---

(1) الجومرد: هارون، ص176.

(2) الطبري: تاريخ، مج4، ص622. الجومرد: هارون، ص130.

(3) الطبري: تاريخ، مج4، ص655. الحسون: دار الرشيد، ص34. الجومرد: هارون، ص131. الحسون: الرقة، ص10–11.

(4) شتورم: أهمية الرقة، ص139. عياش: حضارة، ص281. الجومرد: هارون، ص428–429.

(5) شتورم: أهمية الرقة، ص139.

(6) الحسون: دار الرشيد، ص34–35.

(7) الحسون: الرقة، ص19.

حيث وجه الرشيد رجاء الخادم لقبض أموالهم، وأخذ كل ما يمتلكون من رقيق، وموالٍ، وحشم، فأقام يحيى والفضل بعد إلقاء القبض عليهما في الرقة رهن الاعتقال الأول في السجن، والثاني في أحد القصور، ومرض يحيى بن الفضل في معتقله، فتوفي ودفن في الرقة على شاطئ الفرات سنة 190هـ/805م.[1]

– وهناك أسباب عسكرية حيث أصبحت الرقة منذ بناء الرافقة في عهد المنصور قاعدة لإقليم الجزيرة بدلاً من حران التي اتخذها مروان بن محمد عاصمة له، وأقام الولاة منذ عهد المنصور فيها [2]، وفي عهد المهدي أصبحت قاعدة لانطلاق الجيوش لحرب البيزنطيين ،والرشيد رافق والده في الغزوات ضد البيزنطيين منذ سنة 163هـ/779م، وعندما تولى الخلافة تابع الرشيد ما قام به أسلافه في المضي قدماً في إعداد الصوائف والشواتي، فكان يعدها بسهولة من الرقة، ويتابعها من بغداد[3] ، وكان الرشيد يخشى انفصال أجزاء من الدولة الغربية بعد أن ترامت أطرافها، واتسعت رقعتها وابتعدت أقاليمها عن المركز، لذلك أراد أن يجعل من الرقة قاعدة يحبط من خلالها محاولات الانفصاليين.[4]

– الأسباب الاقتصادية، لاشكّ أنّ الرقة تقدمت من الناحية الاقتصادية بسبب انتقال الثقل السياسي إلى العراق، وأصبحت هي السبيل الذي تصل عبره خيرات الجزيرة وبلاد الشام إلى أسواق العراق كما أنّها نفسها أنتجت العديد من المنتجات والمحاصيل مثل القمح، والخل، والعسل، وأقلام القصب، والزيتون، والزيت [5]، وقد وصف المقدسي الرقة بأنّها حسنة الأسواق كثيرة القرى والبساتين والخيرات كما أنّ أوضاع سكانها الاقتصادية جيدة . [6]

وقد شكلت محطة تجارية للطرق البرية كما يؤكد ابن خرداذبة في المسالك والممالك حيث تلتقي عندها مجموعة من الطرق التي تصل إلى بغداد، والموصل، وحمص، ودمشق، وحلب، وساحل المتوسط، والثغور الحدودية [7]، وهي محطة للطرق النهرية حيث شكل الفرات شرياناً مهماً لربط

---

(1) الطبري: تاريخ، مج4، ص661. شتورم: أهمية الرقة، ص140. الجومرد: هارون، ص414–423.

(2) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص96. الحسون: الرقة، ص11.

(3) الطبري: تاريخ، ص568. شتورم: أهمية الرقة، ص140.

(4) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص72.

(5) شتورم: أهمية الرقة، ص133. القاسم: الرقة، ص19.

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص141. لسترنج: بلدان، ص133.

(7) ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص132–135.

سورية والجزيرة مع العراق، حتى إنّ النهر أصبح وسيلة للنقل، وكان الخلفاء يتنقلون عبره من الرقة إلى بغداد، حيث ربط الفرات بدجلة بقناة مما أمكن الوصول إلى بغداد.(1)

- وأفضل من يجيب عن سبب طوي الرشيد بغداد واختيار الرقة، الرشيد نفسه حيث يقول: والله إنّي لا أطوي مدينة ما وصفت بشرق ولا غرب مدينة أيمن ولا أيسر منها (أي بغداد)، وإنّها لوطني ووطن آبائي، ودار مملكة بني العباس، ولكّني أريد المناخ على ناحية أهل الشقاق والنفاق، والبغض لأئمة الهدى، والحب لشجرة اللعنة بني أمية مع ما فيها من المارقة والمتلصصة، ومخيفي السبيل، ولولا ذلك ما فارقت بغداد ولا خرجت عنها أبداً، وقال العباس بن الأحنف في طي الرشيد لبغداد:

ما أنخْنا حتّى ارتحلْنا فما نفـ ـرّقُ بينَ المناخِ والارتحالِ

ساءلونا عنْ حالِنا إذا قدمْنا فقرّنا وداعهْم بالسؤالِ(2)

إنّ انتقال الرشيد إلى الرافقة منذ سنة 180هـ/796م، وبقاءه فيها حتى سنة193هـ/808م، كان سبباً في ازدهارها حيث استعادت بلا شك دور الرقة القديمة (3)، وقد رافق موكبه كوكبة من الحرس سلكت طريق الجزيرة تسبقها فرقة من الجيش جنودها قصار يدعون النمل بأيديهم قسي البندق (4)، حملت الحاشية الخاصة ما خفّ حمله وغلا ثمنه، وتبعتها حاشية كبيرة تضم كبار القادة كيزيد بن مزيد الشيباني، وكبار الوزراء المقربين من قصرالخلافة كالفضل بن الربيع، والعباس بن الأحنف وإبراهيم الموصلي، ويحيى المكي، وأقطاب الفقه والدين والقضاء كالقاضي أبي يوسف والفقيه محمد بن الحسن الشيباني الذي اشتهر بمناظراته مع الشافعي في الرقة، وكبار الأطباء كجبريل بن بختشيوع، وأعلام الفكر والعلم والأدب كالأصمعي، والكسائي وأبي العتاهية، وأشجع السلمي، ومروان بن أبي حفصة.(5)

وبعد إقامته أكمل بناء الرافقة، حيث أمر ببناء عدة قصور فيها، ولا يعرف عنه أنّه أمر ببناء قصور في بغداد سوى ما أشارت إليه المصادر من قصر صغير لا يعرف اسمه قائم على رابية، وجلّ إقامته في قصر الخلد الذي بناه جده المنصور، وأوعز لبعض رجال دولته أن يبنوا قصورهم

---

(1) الطبري: تاريخ، مج 4، ص184. شتورم: أهمية الرقة، ص131.

(2) الطبري: تاريخ، مج4، ص675.

(3) شتورم: أهمية الرقة، ص139.

(4) قسي البندق: نوع من الكرات المعدنية ترمى بالقسي بدل السهام، مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص73.

(5) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص72-73.

بجانب قصره، وقد أقيمت خانات كثيرة لاستقبال النزلاء القادمين إلى الحاضرة الجديدة التي انتقل إليها الخليفة طلباً للتجارة أو لأعمال لهم أو لرؤية الخليفة أو أمرائه المحيطين به، ومن هذه الخانات خان حسين الخادم، وأمر الرشيد بإنشاء كل ما يلزم من وسائل الراحة والترف، كميادين سباق الخيل، وملاعب الصولجان، وحقول الصيد، وموانئ السفن على الفرات، وأمر بصناعة السفن خاصة الحراقات، وإنشاء الحدائق المزدهرة على ضفتي الفرات، فأصبحت الرقة من المد ن الجميلة.(1)

أ- مكانة الرقة السياسية في عهد الرشيد:

أصبحت الرقة في عهد الرشيد مركزاً للقرار السياسي حيث اتخذ الرشيد العديد من القرارات التي تركت بصمتها على كل العالم الإسلامي، حيث غير جذرياً ولاة الأقاليم، ورجال الدولة والإدارة الموالين للفرس والمعروفين بعدائهم للدولة العباسية، واستبدلهم بمن يثق بهم من العرب، وقلص نفوذ البرامكة لا بل إنّ الضربة الحاسمة لهم جاءت من الرقة (2)، وشملت التغيرات حتى المؤسسة العسكرية، فقد أسند قيادة الجيش في القضاء على ثورة الوليد بن طريف إلى القائد العربي يزيد بن مزيد الشيباني، وتولى يزيد كذلك مهمة إخماد الثورات في أذربيجان الشمالية(3)، واعتمد على العرب والمستعربين الأمناء لسد الفراغ الذي تركه البرامكة في المناصب الإدارية كعمر بن مسعدة وإسماعيل بن صبيح، وكبار الهاشمية، ووزع القيادات العسكرية على الحدود، ومنهم عبدالله ابن مالك، ويحيى بن سعيد العقيلي، وسعيد بن مسلم، وأبناء يزيد بن مزيد الشيباني أسعد وخالد ومحمد، وغيرهم(4)، وأبعد من ذلك فقد حدد ولاية عهده من الرقة فقد بايع للمأمون بعد الأمين 183هـ/799م، وولاه من حد همذان إلى آخر المشرق، وعندما خشي الرشيد من الصراع بين المأمون، والأمين، كتب عهداً بينهما وأشهره في الكعبة سنة 188هـ/803م، وأسند إلى ابنه القاسم(المؤتمن) حماية الثغور(5)، وبعد ذلك بويع القاسم بولاية العهد بعد الأمين والمأمون بعد الكتابين الذين كتبهما للأمين والمأمون، ثّم أكّد البيعة للمأمون والقاسم سنة 189هـ/804م، ولكن المسعودي يجعل بيعة القاسم سنة 187هـ/803م(6)

---

(1) عياش: حضارة، ص276. الشعيبي: ربيعة الرقي، ص45. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص100.

(2) الطبري: تاريخ، مج4، ص661. شتورم: أهمية الرقة، ص140. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص78.

(3) مجموعة من الباحثين: المفصل، ص79.

(4) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص79.

(5) الطبري: تاريخ، مج4، ص650. المقريزي: المنتقى من المقفى، ص200-207. ابن العبري: تاريخ، ص129. المؤرخ المجهول: تاريخ، ج2، ص19.

(6) المؤرخ المجهول: تاريخ، ج2، ص19. حباب: تاريخ، ص107.

)، وعندما كان يريد معرفة حال الأقاليم أو الثغور أو إرسال كتاب يحمل أمراً ما إلى الأماكن التي تبعد مسيرة أيام وليال، كان الأمر يتم بسرعة عن طريق الحمام، والنجائب.[1]

ب- دور الرقة في أعمال الرشيد العسكرية ضد الروم البيزنطيين :

إنّ من أهم العوامل التي جعلت الرشيد يختار الرقة مصيفاً له ثّم عاصمة للخلافة موقعها الجغرافي ومكانتها العسكرية، حيث إّنها أصبحت منذ عهد أبيه المهدي قاعدةً لانطلاق الجيوش الإسلامية لغزو الروم البيزنطيين، ومركزاً لتزويدها بالمؤن والإمدادات، وقد أدرك الرشيد نفسه هذه الأهمية فمنها قاد أول الغزوات الكبرى في عهد أبيه سنة 163هـ /779م، حين توغل في بلاد الروم حتى نزل على قلعة من قلاع الروم يقال لها سمالوا، فأقام عليها ثماني وثلاثين ليلة، وضربها بالمجانيق حتى فتحها بعد تخريب أسوارها،ووقّع معهم شروط الصلح ثّم قفل عائداً، ومن الغزوات المهمة التي قادها الرشيد من الرقة في عهد والده المهدي سنة 165هـ/781م، تلك الغزوة التي رافقه فيها القائد يزيد بن مزيد حيث وصل فيها إلى الخليج المطل على القسطنطينية، وأجبر الروم على دفع الجزية، فقال أحد الشعراء:

أطفتَ بقسطنطينيةِ الرومِ مسنداً ... إليها القنا حتّى اكتسى الذلَّ سورُها
ومارمتَها حتّى أتتكَ ملوكُها ... بجزيتِها والحربُ تغلي قدورُها[2]

وعندما بويع بالخلافة سنة 170هـ/786م جدّ الرشيد في الدفاع عن منطقة الثغور والعواصم فكان كثيراً ما يتوغل في بلاد الروم ثّم يعود حتى قيل إّنه كان يحج سنة ويغزو سنة إلا سنين قليلة[3]، وفي ذلك يقول أبو المعالي الكلابي:

فمنْ يطلبْ لقاءكَ أو يردهُ ... فبالحرمينِ أو أقصى الثّغور
ففي أرضِ العدوِّ على طمرٍ ... ومن أرضِ الترفّهِ فوقَ كورِ[4]

ومما هو مشهور في تلك الحقبة التي استلم خلالها الرشيد الخلافة أّن صلحاً قد جرى بين العرب المسلمين والروم في بداية حكم ملكتهم إيريني[5]، التي استلمت الحكم بعد موت أهلها، فأرسلت للرشيد الهدايا، وعندما بلغ ابنها واستلم الحكم عاث وأفسد، وناصب الرشيد العداء، فخافت على ملك

---

(1) الحسون: دار الرشيد، ص42-43.

(2) الطبري: تاريخ، مج4، ص568- 572.

(3) ابن طباطبا: الفخري، ص193. حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص45. العش: تاريخ، ص80-81.

(4) الطبري: تاريخ، مج4، ص677.

(5) الطبري: تاريخ، مج4، ص668. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص102.

الروم أن يذهب لعلمها بالرشيد، وخوفها من سطوته فاحتالت عليه وسملت عينيه فبطل منه الملك، وعاد إليها، فاستنكر ذلك أهل مملكتها، وأبغضوها لأجله[1]، واستغل نقفور غضب الروم وخلعها، واستلم مكانها الحكم، وماتت إيريني بعد خمسة أشهر من ذلك[2]، وعندما انفرد نقفور بحكم الروم كتب إلى هارون الرشيد: أمّا بعد فإنّ الملكة التي قبلي أقامتك مقام الرخ، وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثاله إليها، ولكن ذاك ضعف النساء وحمقهن، وإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل لك من أموالها، وأنقذ نفسك مما يقع به المصادرة، وإلا فالسيف بيننا وبينك[3]، وعندما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب حتى لم يستطع أحد أن ينظر إليه أو أن يخاطبه، وتفرق جلساؤه خوفاً من زيادة في قول أو فعل يصدرعنهم، واستصعب الرأي على الوزير من أن يعطي رأياً أو يتركه يستبد في رأيه، فدعا الرشيد بدواة، وكتب على ظهر الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم: من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون أن تسمعه والسلام[4]، وجهّز الرشيد جيشاً لم يسمع بمثله، وجمع أبرز قادته، واتجه نحو بلاد الروم، فلّما بلغ ذلك نقفور ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وشاور في أمره، وجدّ الرشيد يتوغل في بلد الروم فيعتقل ويغنم ويسبي، ويخرب الحصون حتى وصل إلى طرق متضايقة قريبة من عاصمة الروم القسطنطينية، فلّما بلغها وجد نقفور قد قطع الشجر ورمى به في تلك الطرق، وألقيت فيه النيران، فلبس محمد بن مزيد ثياب النفاطين فخاض النيران وتبعه الناس، فبعث إليه نقفور بالهدايا، وخضع له أشدّ الخضوع، وأدى الجزية عن رأسه فضلاً عن أصحابه[5]، فأنشد أبو العتاهية:

قضى الله أُنْ يبقي لهارونَ ملكه ُ   وكانَ قضاءُ اللهِ في الخلقِ مقضّياً
تجللتِ الدنيا لهارونَ ذي الرضا   وأصبحَ نقفورُ لهارونَ ذّمياً[6]

وبعد هذه الغزوة الكبرى التي وصل بها إلى القسطنطينية عاد الرشيد إلى الرقة، فنقض نقفور

---

(1) ابن العديم: بغية، ج4، ص1773. الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص247. ميخائيل الكبير: تاريخ، ج3، ص78.

(2) الطبري: تاريخ، مج4، ص668. ابن الأثير: الكامل، مج6، ص184-185.

(3) الطبري: تاريخ، مج4، ص668. ابن العديم: بغية، مج4،ص1774. ابن الأثير: الكامل، مج6، ص185. ميخائيل الكبير: تاريخ، ج2، ص439.

(4) الطبري: تاريخ، مج4، ص668-669. ابن الأثير: الكامل، مج6، ص185.

(5) ابن العديم: بغية، مج4، ص1775. الأصفهاني: الأغاني،ج18، ص248. المؤرخ المجهول: تاريخ، ج2، ص18. ميخائيل الكبير: تاريخ، ج2، ص439-441. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص103.

(6) الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص248-249.

العهد [1]، ويذكر الأصفهاني: أنّ سبب نقض نقفور العهد هو سقوط الثلج، واغتر بالهدنة التي بينه وبين الرشيد، وفي هذه الأحوال لم يجرؤ يحيى بن خالد على إخباره فضلاً عن غيره فبذل الأموال هو وبنوه للشعراء ليقولوا أشعاراً يعلمون بها الرشيد، فتقدم أحد الشعراء ويكنى أبا محمد[2]، وكان مجيداً قوي النفس فأنشد:

نقضَ الذي أعطاكهُ نقفورُ ... فعليهِ دائرةُ البوارِ تدورُ
أبشرْ أميرَ المؤمنينَ فإنّهُ ... فتحٌ أتاكَ بهِ الإلهُ كبيرُ

وعندما فرغ من إنشاده قال: أوقد فعل نقفور ذلك، وعلم أنّ الوزراء قد احتالوا عليه بذلك، فكّر راجعاً في أشد محنة[3]، وتقدم الرشيد باتجاه هرقلة، وحاصرها مدة ثلاثين يوماً ثّم رماها بالمجانيق، فحطم بابها ودمر أسوارها وحرقها وفتحها في سنة 190هـ/805م، ولم يقف الرشيد عند هرقلة، فقد أرسل السرايا والجيوش في كل أنحاء بلاد الروم [4] ، وتعد معركة هرقلة نصراً حاسماً للعرب وجداً عسكرياً لدولة الرشيد، وهي ذات أهمية من الناحية السياسية والعسكرية، فقد خضعت دولة الروم إلى الحد الذي يئست فيه من النيل من العرب، وقد أظهرت قوة الجيش العربي، وحزم الرشيد، فذكرها أكثر الشعراء بعد عودة الرشيد إلى الرقة ومنهم الشاعر المكي الذي قال في يوم عيد الفطر:

هوتْ هرقلةُ لّما أنْ رأتْ عجباً ... حوائماً ترتمي بالنفطِ والنارِ [5]

وقد قال أبو العتاهية في سقوط هرقلة :

ألا نادتْ هرقلةُ بالخرابِ ... من الملكُ الموفقُ بالصوابِ
أميرَ المؤمنينَ ظفرتْ فاسلْم ... وأبشْر بالغنيمةِ والإيابِ [6]

وبينما هارون الرشيد في نشوة النصر أتته البشائر بنصر حققه أمير السواحل حميد بن معيوف عندما غزا قبرص، واستردها من الروم البيزنطيين، وقد سبى من أهلها سبعة عشر ألفاً ، فأحضرهم إلى الرقة، فبيعوا بها على يد القاضي البختري[7]، حيث بلغ فداء أسقف قبرص ألفي دينار[1]، وتوالت غزوات

---

(1) الطبري: تاريخ، مج4، ص669.

(2) عند الطبري في تاريخه اسمه: أبو محمد عبد الله بن يوسف، ويقال هو الحجاج بن يوسف التميمي، مج4، ص669، وعند السيوطي في تاريخ الخلفاء: الشعر ينسب إلى عبد الله بن يوسف التميمي، ص308.

(3) الطبري: تاريخ، مج4، ص670. الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص249.

(4) الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص251،253. ابن الأثير: الكامل، مج6، ص196.

(5) الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص253.

(6) الطبري: تاريخ، مج4، ص670. ابن العديم: بغية، مج4، ص1777. السيوطي: تاريخ، ص308.

(7) البختري ت 200هـ/815م: هو وهب بن وهب بن كثير بن عبدالله بن زمعة من بني المطلب من قريش،

الرشيد التي قادها بنفسه أو أوكل لقواده قيادتها، وفي سنة 192هـ/807م استعمل على الثغور ثابت بن نصر بن مالك، ولعلّ هذا الإجراء سببه ظهور حركة رافع بن الليث بن نصر ابن سيار حفيد آخر عامل أموي في خراسان، خاصةً بعد أن تضخمت، وعظم أمرها، فجعلت الرشيد يترك قصره في الرقة، ويجمع الجيوش للقضاء عليها، ويوقف القتال في هذه المرحلة على جبهة الروم البيزنطيين، لينتقل إلى جبهة خراسان[2]، لكنه توفي قبل القضاء عليها في سنباذ سنة 193هـ/808م [3]، ومما تقدم يبدو جلياً أنّ الرشيد بقي طيلة خلافته جاداً في غزو الروم لأّنه كان يدرك أّنهم العدو القريب الدار، وعليه أن يواجههم بكل ما أوتي من قوة وأن لا يظهر أي ضعف أو استكانة.

وبهذا تتأكد أهمية الرقة، وموقعها، ودورها في الأعمال الحربية ضد الروم البيزنطيين.

ج- أعمال الرشيد العمرانية في الرقة:

1- بناء مدينة الرشيد[4]:

ما أن استقر الرشيد في الرقة في سنة 180هـ/796م حتى بدأ الناس يتوافدون إليه من جميع الأقاليم هذا بالإضافة إلى الجيش الذي أقام فيها، والقواد والأمراء والوزراء والخدم، فضاقت الرقة القديمة والرافقة عن استيعابهم، فبدأ الرشيد يفكر ببناء مدينة تتناسب في تخطيطها وتنسيقها وهندستها مع روح العصر وتكون ذات مساحة كبيرة تضم في جنباتها رحاب القصور، فوقع الاختيار على الأرض الواقعة شمالي الرقة البيضاء، وأطراف البليخ، حيث جمع العمال المهرة من شتى أصقاع البلاد للعمل فيها[5]، ويتضح من الصور الجوية حالياً أنّ مدينة الرشيد كانت تمتد من الشرق حتى تصل إلى تل البيعة والبليخ، ومن الغرب ابتعدت مسافة كبيرة حتى اجتازت حدود الرقة الحالية، ومن أسوار الرافقة جنوباً حتى السهول شمالاً، وتقدر مساحتها بخمسين كيلو متراً مربعاً، وهي أكبر من المدن المعاصرة لها كالكوفة وحران والرها وغيرها[6]، ومّما يجدر ذكره أنّ الرشيد قد أمر بهدم كل

قاضٍ ومن العلماء بالأخبار والأنساب، ولد ونشأ في المدينة المنورة، وهو متهم بوضع الحديث، انتقل إلى بغداد في خلافة الرشيد، ثّمولاه القضاء. الزركلي: الأعلام، مج8، ص126.

(1) الطبري: تاريخ، مج4، ص677. ابن الأثير: الكامل، مج6، ص196. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص89.

(2) ابن الأثير: الكامل، مج6، ص208. الجومرد: هارون، ص451.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص213.

(4) هذه التسمية حديثة أطلقها دونان المستشرق الأثري الفرنسي. مجموعة من الباحثين: المفصل،مج4، ص37.

(5) المؤرخ المجهول: تاريخ، ج2، ص18. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص36-37.

(6) صليبي، نسيب: ثلاثة قصور من الرقة القديمة، وقائع الندوة الدولية حول الرقة وآثارها، الرقة، 1402هـ/

المباني القديمة المبنية من اللبن، والتي تعود إلى زمن جده المنصور ووالده المهدي وأمر ببناء المباني بالآجر مثلما فعل في بغداد والكوفة والبصرة[1]، وبنى الرشيد في مدينته الجديدة كل ما يلزم من وسائل الراحة والترفيه [2]، وأمر بجر مياه نهري الفرات والبليخ بواسطة قناتين لإرواء قصورها وحدائقها وبساتينها وكرومها، وهما ظاهرتان بين الهضاب ذكرهما المؤرخون باسم الهنّي والمريّ[3].

يذكر ابن العبري في تاريخه: أنّ الرشيد اشترى مياه قرى سروج من أصحابها، وحفر قناة تصل إلى الرقة عرفت هذه القناة بنهر النيل لاتزال آثارها باقية، وبحسب رأي المقدسي فإنّ نهر النيل يروي القرى والبساتين من رأس العين شمالا وحتى الرقة جنوباً[4]، وهكذا زود الرشيد المدينة التي بناها بكل الوسائل التي تحتاجها وأصبحت جاهزة للسكن والاستقرار.

2- قصور الرشيد في الرقة:

تذكر المصادر التاريخية أنّ الرشيد أمر ببناء قصوره في المدينة الجديدة التي جهزها شمال الرافقة، ومن هذه القصور قصرالسلام، والقصرالأبيض، وقصرالخشب، وقصرهرقلة، وغيرها، وقد أنشد الشعراء في قاعاتها أروع القصائد والمدائح التي قيلت في هارون الرشيد، وطلب الرشيد من الأمراء والوزراء بناء قصورهم بجواره حتى اتصلت الرقة بجميع البلدان المجاورة لها[5]، وكان أول قصر شيده الرشيد بعد استقراره في الرقة هو قصر الخشب سنة 182هـ/798م حيث ورد في تاريخ العظيمي أنّ الرشيد حج سنة 181هـ/797م، وعاد إلى الأنبار، وغزا الصائفة، وفتح حصن الصفصاف، وبما أنّ الحج في شهر ذي الحجة أي في آخر السنة، فيكون البناء قد تّم في السنة التالية 182هـ/798م[6]، حيث ترك قصر الإمارة الموجود في الرافقة لوالي الجزيرة عبدالملك بن صالح بن علي، ثمّ انتقل ليقيم في هذا القصر[7]، ومن قصور الرقة المتميزة التي بناها الرشيد القصر الأبيض الذي ذكره ياقوت

1981م، ص44، سيشار إليه لاحقاً: صليبي: ثلاثة قصور.

(1) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص37.

(2) عياش: حضارة، ص276.

(3) يبدو أنّ هارون الرشيد لم يأمر بحفر قناتي الهني والمري لأنهما موجودتان منذ عهد هشام بن عبدالملك، وعلى الأرجح أنه طلب تنظيفهما من الأوساخ والأتربة. حباب: تاريخ، ص58.صليبي: ثلاثة قصور،ص44.

(4) عياش: حضارة، ص276. شتورم: أهمية الرقة، ص134.

(5) المؤرخ المجهول: تاريخ، ج2،ص18. الحسون: دار الرشيد، ص36. عياش: حضارة، ص275. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص107.

(6) حباب: تاريخ، ص303.

(7) الحموي: معجم البلدان، ج2، ص513. حباب: تاريخ، ص304.

الحموي، ويبدو أّنه كان يأتي في المرتبة الثانية بعد قصر السلام وسمي بالأبيض لأنّ جدرانه طليت بالكلس الأبيض[1]، وأنشد فيه أشجع السلمي قصيدة رائعة يمدح بها الرشيد، ويصفه من أبياتها :

قصرٌ عليهِ تحيةٌ وسلاُم ألقتْ عليهِ جمالَها الأيُام

قصرتْ سقوفُ المزنِ دونَ سقوفهِ فيهِ لأعلامِ الهدى أعلاُم[2]

ويعد قصر السلام أهم قصور الرشيد في الرقة على حد قول الجومرد: "كان مقر الرشيد حين يكون في بغداد بقصر الخلد، وكان بلاطه في الرقة قصر السلام، وكلا القصرين من أفخم قصور الدنيا في ذلك الزمن، وأكثرها سعةً وجمالاً[3]، وموقعه حسب الرؤيا من الجو شمالي شرقي الرافقة وشمالي دير زكى ويبعد عن كل منهما ما يقدر بـ 1,5كم، ومن الثابت أنّ معظم قصور الرشيد التي بناها في الرقة، بما فيها قصر هرقلة تجاور الفرات، فقد وردت إشارات في قصيدة لأشجع السلمي يرثي فيها الرشيد من أبياتها:

منازلُ هارونَ الخليفةِ أصبحتْ لهنَّ على شاطئِ الفراتِ عويلُ

منازلٌ أمستْ في السياقِ نفوُسها سلبنَ رداَء الُملكِ وهو جميلُ

ويشير البحتري أيضاً إليها في قصيدة قالها في صالح بن وصيف، ويسميها قصور البليخ من أبياتها:

ألا ليتَ شعري هلْ أطرقَـ ـنْ قصورَ البليخِ وافداَنها

وهلْ أرينَ على حاجةٍ صوامعَ زكّى ورهباَنها[4]

ومن خلال نتائج التنقيبات الأثرية التي أجريت في الرقة تّم تحديد المساحة التي قامت عليها قصور الرشيد وقصور وزرائه ورجال بلاطه وحدائقه، والتي تقدر طولاً بأربعة كيلومترات، وعرضاً بخمسة كيلومترات، ويضيف السيد نسيب صليبي الخبير في مديرية الآثار والمتاحف في دمشق أنّ مساحة الرقة كانت 50 كم^2، ولكن التوسع العمراني الحديث لمدينة الرقة والمشاريع الزراعية التي غطت مساحة واسعة حالت دون التنقيب والكشف عن معظم القصور التي مازالت غائبة تحت التراب[5]، إلا أّنه من خلال عمليات التنقيب التي أجريت في الرقة حتى الآن تّم الكشف عن مجموعة قصور الرشيد

---

(1) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج 4، ص39–74.

(2) ابن العديم: بغية، ج4، ص1867–1869. الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص221.

(3) الجومرد: هارون، ص240. مجموعة من الباحثين: المفصل، ص39.

(4) حباب: تاريخ، ص304–405.

(5) مانيكة، ميخائيل هوش، كريستوف، يان: قصر هارون الرشيد في الرقة، تعريب: قاسم طوير، المعهد الأثري الألماني، دمشق، 1410هـ/1989م، ص2، سيشار إليه لاحقاً: مانيكة: قصر الرشيد. عياش: حضارة، ص271.

كما يسميها مانيكة، وهي القصر الشرقي، والجناح الشمالي، والقصر الغربي، والجامع الأموي بالرقة والقصر"ج"، والقصر"د"، والقصر الغربي، وقصر البنات، وتربة أويس القرني[1]، وهذه القصور ذات جدران سميكة محصنة بأبراج هائلة أبعادها كبيرة[2] ، حيث يحتوي كل قصر على تقسيمات نادرة من شوارع وحدائق ودور ومداخل، وأقسام للشؤون العامة، وباحات كبرى، وأروقة ودور للضيافة ودور للسكن، وتّم العثور في كل قصر على مسجد جامع للصلاة، فيه محراب عدا المحاريب التي تزين الباحات الأخرى، وزينت هذه القصور بأشكال زخرفية وقاعات مبلطة بالآجر وبعضها بالزجاج، وأبواب مزينة بأطر جصية رائعة تعد في حال ترميمها من أنفس أجزاء الأبنية الموجودة في العالم، وعثر في هذه القصور على قطع من العاج والخشب المحفور مطلية باللون الذهبي، وبعض الكسر الزجاجية المختلفة الرسوم والألوان لكؤوس وأكواب كثيراً ما كتب عليها بالخط الكوفي أشرب وأطرب، وسمير وسامر، وبركة لصاحبه، وعثر على بقايا عظام طيور وأرانب وغيرها، وفي القصر الشرقي الذي يعد نموذجاً لقصور الرقة وجدت نقود ضربت باسم هارون الرشيد في الرقة بين سنتي181-189هـ/797-804م، (الملحق11)، والطرق المؤدية للقاعات المركزية كانت منحنية مما سهل على الحرس الدفاع عنها وكشف جميع الزائرين، وتدل هذه القصور على الغنى والترف الذي عاشته الرقة في القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين[3]، ويبتعد قصر هرقلة إلى الغرب من الرقة نحو 7كم، وبناؤه غريب بناه هارون الرشيد بعد فتح هرقلة على حد قول هرتزفلد الذي زار الموقع سنة 1325هـ/1907م، يقال إّنه بني لبنت حاكم هرقلة كانت إحدى السبايا، وبناء هذا القصر بشكل مربع أبعاده 100م، حيث تتوسط أضلاعه أواوين تفتح نحو الخارج وعلى زواياه أبراج ضخمة والبناء كله مبني على مصطبة، وقد قسم البناء إلى خلايا، وقد حشيت أرض الغرف بالرمال والأترية هذا ما جعل بعض المستشرقين مثل زخاو يذهب إلى أّن المنشأة رومانية[4]، والتحليل الهندسي لذلك كما

---

(1) مانيكة: قصر الرشيد، ص1-2، (الملحق 8).

(2) بلغ طول القصر الشرقي 70م، وعرضه 40 م، وقاعاته متوسطها بين 15م طولاً و7م عرضاً (الملحق13) مانيكة: قصرالرشيد في الرقة، ص3. طول ضلع قصر البنات وهو مربع 250م بحسب الأطلال الباقية والصورالجوية التي التقطتها إدارة المساحة الفرنسية في سنة1364هـ/ 1944، (الملحق9). طوير، قاسم: كشف وترميم قصرالبنات، وقائع الندوة الدولية حول الرقة وآثارها، الرقة، 1402هـ/1981م،ص50، سيشار إليه لاحقاً: طوير: قصر البنات.

(3) مانيكة: قصر الرشيد، ص3-4. صليبي: ثلاثة قصور، ص44-46. مجموعة من الباحثين: المفصل، = = مج4، ص40. طوير: قصر البنات، ص51-53.

(4) البهنسي: سورية التاريخ، ص66. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص328.

أوضح الأستاذ قاسم طوير هو أنّ الرشيد أراد أن يشيد صرحاً يقاوم الزمن وتحدياته مع الالتزام بقواعد هندسية تحمي البناء من التصدع، فلو كانت المصطبة بجدرانها الخارجية مليئة كلياً بالحصى والتراب، فإنّ الحشوة الداخلية مع مرور الزمن سوف تضغط على الجدران الخارجية مما يؤدي إلى تصدعها وانهيارها، فلذلك كان تصميم الغرف كخلايا فرشت بالتراب والرمال لكي تضغط على الجدران الداخلية ولا يصل ضغطها للجدران الخارجية فتسبب التصدع والانهيار.[1]

3َ- المرافق العامة في الرقة:

أمر الرشيد بإنشاء كل ما يلزم من وسائل الراحة والترفيه في الرقة، كميادين سباق الخيل، وملاعب الصولجان، وحقول الصيد، وموانئ السفن على الفرات، وأمر بصناعة السفن خاصة الحراقات، التي كانت تمخر عباب نهر الفرات[2]، وتزدان بالأنوار وأنشأ الحدائق المزدهرة على ضفتي الفرات فأصبحت الرقة من أجمل مصايف الدنيا[3]، وأمر ببناء السدود اللازمة على الفرات، ومنها بقايا سد غربي الرقة لاتزال بعض أجزائه موجودة في الماء قرب بلدة الحمام، وهو مبني بالحجارة الكلسية وأسفله عريض، ويضيق كلما ازداد علواً بشكل متدرج، وبالطرف المقابل للنهر من جهة الجزيرة بقايا آثار قناة مازالت تفرعاتها ظاهرة ذكرها ياقوت الحموي باسم نهر النيل وأعاد إنشاءها إلى عهد الرشيد، وتصل إلى أبنية الرقة (مدينة الرشيد) وتسقيها، وأنشأ الرشيد قناة أخرى من البليخ تلتقي مع قناة النيل قبل الوصول إلى مدينة الرشيد، فاستهوى هذا المنظر الشاعر الصنوبري فقال شعراً في ذلك:

كأنَّ عناقَ نهَري ديرِ زكّى ... إذا اعتنقاَ عناقُ متّيمينِ
وقتَ ذاكَ البليخَ يدُ الليالي ... وذاكَ النيلَ من متجاورينِ
أقاَما كالسّوارينِ استداَرا ... على كتفيهِ أو كالدملجينِ

---

(1) طوير، قاسم: الآثار السورية، فينا، 1403هـ/1982، ص384، سيشار إليه لاحقاً: طوير: الآثار .

(2) أشار الصنوبري في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي إلى كثرة السفن في الفرات التي تنطلق من الرقة قائلاً: ويا سد فنَ الفراتِ بحيثُ تهويْ ... هويَ الطيرِ بينَ الجانبينِ
تطارِدُ مقبلات مدبرات ... على عجلٍ تطارِدُ عسكرينِ
الشابشتي: الديارات، ص219.

(3) عياش: حضارة، ص276. الشعيبي: ربيعة الرقي، ص45. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص39. الجومرد: هارون، ص131.

وقد ذكر ابن العبري في حوادث سنة 173هـ /789م: أنّ الرشيد ارتحل من بغداد إلى الرقة يريد الإقامة فيها، فزاد في عمارتها، وغرس في ضواحيها جنائن كثيرة، وجلب لها نهراً من الفرات [1]، كما أقام على شاطئ نيل الرقة وعلى الطريق المؤدية إلى قلعة جعبر حصناً للحراسة لحماية المجرى المائي الذي كان يسقي الرقة في سنة 190هـ /805م.[2]

كما اهتّم الرشيد بالمساجد، حيث بنى مساجد عديدة في الرقة وبعض المدن في الجزيرة الفراتية وإلى جانب كل منها بنى حماماً[3]، وأصلح المساجد القديمة المبنية من اللبن، وأدخل عليها الفخار والجص والزخارف القرآنية، ولايمكن حصر المساجد التي بناها أو أصلحها في الرقة، ولكن يمكن ذكر بعضها مثل المسجد الجامع في الرافقة الذي بناه المنصور بالقرب من قصر الإمارة لأداء فريضة الصلاة، ولاتزال آثاره باقية حتى اليوم، وأمّا مسجد الرقة الجامع فمكانه على حد قول المقدسي في البزازين[4]، وبقيت آثاره حتى أواخر الحرب العالمية الأولى[5]، ومسجد بني وابصة بناه الصحابي وابصة بن معبد الأسدي، حيث أصبح لبني أسد يقيمون فيه حلقات العلم، ومسجد قريش لرجل يقال له قريش، ومسجد ابن الصباح، وقد ذكره المقدسي باسم مسجد الصاغة لأنّه يقع بالقرب من سوق الصاغة، ومسجد الجنائز، ومسجد العمودين، ومسجد الرماح، وإلى جانب هذه المساجد وجدت مدرستان الأولى للشافعية، والثانية للحنابلة.[6]

وبما أنّ الرقة أصبحت عاصمة اقتصادية ثانية للدولة العباسية، فقد قصدها التجار من كل مكان لذلك أكثر من بناء الخانات بحيث يخصص الطابق الأرضي من الخان للبضاعة، والطابق

---

(1) الشابشتي: الديارات، ص219. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص37-38. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص108.

(2) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص38.

(3) الحسين، قصي: موسوعة الحضارة العربية، دار البحار، ط1، بيروت، 1426هـ/2005م، ص51، سيشار إليه لاحقاً: الحسين: موسوعة.

(4) هذا المسجد بناه سعيد بن عامر بن حذيم: وهو أحد أشراف بني جمح شهد خيبر، وكان من الزهاد والعباد، عين أميراً على حمص بعد وفاة أبي عبيدة عامر بن الجراح، وبلغ عمر بن الخطاب أنّه أصيب بحاجة شديدة، فأرسل إليه بألف دينار، فتصدق بها جميعها توفي سنة20هـ/640م، ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص103. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص141.

(5) على أنقاض هذا المسجد بنيت مدرسة الوحدة العربية في حي المشلب شرقي الرقةحالياً ، الباحث.

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص141. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص57. الشعيبي: ربيعة الرقي، ص52-54.

العلوي لإقامة التجار أو لبضاعة معينة، وقد بنيت لخدمة التاجر الركاض الذي ينتقل من بلد لآخر، ويهمه أن يجد السكن والأمن في المدينة التي يصل إليها، وكانت كل مؤسسة من هذه المؤسسات مكتملة المرافق، ففيها مخازن لإيداع البضائع والأموال، وغرف النوم والراحة، والحمامات، والأفران، وأماكن للعزاب، وأخرى للأسر، ومواضع إسطبل للحيوانات، ومن أشهر خانات الرقة خان حسين الخادم(1)، كما كان يتبع الكنائس فنادق وحوانيت وأبنية أخرى، ولحق بالأديرة أماكن لاستقبال المسافرين والزوار، وتأمين نومهم وراحتهم، وقد شاع انتشار الحانات لكثرة الشعراء والزوار الذين قصدوا الرقة، ومنها حانة توما في الرصافة التي قصدها إبراهيم الموصلي وبقي فيها ثلاثة أيام، ووصفها للرشيد، وحانة تل عزاز في الرقة غاب فيها إبراهيم الموصلي عن الرشيد ثلاثة أيام، وعمل فيها لحناً له، وحانة بشر في الهني والمري، وقد وصف ربيعة الرقي حفلة سكر بقوله:

قدْ سقتنِي وسقته ُ قينةٌ ذاتُ عقاصِ(2)

في أباريقَ لجينٍ لأباريقَ رصاصِ

ولدينا أدكنُ الجلـ دِ كالزنجيِّ شاصِي(3)

وبنى الرشيد مصحات للمرضى (بيمارستانات)، ودوراً لتخزين السلاح والعتاد، والمؤن، ومستودعات للبضائع .(4)

ومن الجدير ذكره أنّ المصادر التي تّم الاطلاع عليها لم تذكر عدد الخانات والحمامات والحانات والمصحات التي وجدت في الرقة قبل وصول الرشيد إليها أو بعد أن اتخذها داراً للحكم ومقراً للخلافة.

6- الرقة في عهد خلفاء الرشيد :

أ- الأمين 193-198هـ/808/813م:

كان الرشيد قد عقد ولاية العهد لابنه محمد الأمين في سنة 173هـ/789م، وضّم إليه الشام والعراق سنة 175هـ/791م،(1) ولما توفي الرشيد في طوس سنة 193هـ/808م، أحضر إليه رجاء الخادم، وهو ببغداد البردة والقضيب والخاتم وراية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعندما وصل

---

(1) حباب: تاريخ، ص395. عياش: حضارة، ص276.

(2) عقاص: خيط تشد به أطراف الدوارج. ابن منظور: لسان العرب، مج7، ص55. مجموعة من المؤلفين المعجم الوسيط،ج1، ص615.

(3) أدكن الجلد: كناية عن زق الخمر، الشاصي: القربة المملوءة ماءً وارتفعت قوائمها والمقصود في هذا البيت المملوءة خمراً. مجموعة من المؤلفين: المعجم الوسيط، ج1، ص482. حباب: تاريخ، ص396.

(4) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص89 -74. الشعيبي: ربيعة الرقي، ص45.

الخبر إلى بغداد أخذت له البيعة، وتحول إلى قصر الخلافة[2]، وقد قسم الأمين الأموال والجواهر في خاصته، كما أمر أمه زبيدة بالشخوص من الرقة بأموال الرشيد وخزائنه، فاستقبلها مع وجوه بغداد في الأنبار، وكان في خزائن الرشيد تسعمائة ألف ألف ونيف من الدراهم(حوالي المليون) [3]، واتسم عهده بالفتن والاضطرابات، ولم يعمر الأمين طويلاً، فقد قتل بعد أن جلس على عرش الخلافة أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام، وقد ذهب ضحية الفتنة التي وقعت بينه وبين أخيه المأمون عندما خلع المأمون، وعين ابنه جعفراً حيث نكث بالعهد الذي علق على الكعبة، ومهما يكن فقد لعب الفضل بن الربيع وزير الأمين، والفضل بن سهل وزير المأمون دوراً كبيراً في الفتنة بين الأخوين[4]، وقد رثاه خزيمة بن الحسن على لسان أمه زبيدة قائلاً:

لخيرِ إمامٍ قَام من خيرِ عنصرٍ   وأفضلُ سامٍ فوقَ أعوادِ منبرِ
يعزٌّ على هارونَ ماقد لقيتهُ   ومامرَّ بي منْ ناقصِ الخلقِ أعور [5]

ورثته زوجته لبانة بنت علي بن المهدي فقالت:

أبكيكَ لا للنعيمِ والأنسِ   بلْ للمعالي والسيفِ والترسِ

أبكي على سّيدٍ فجعتُ بهِ   أرملنِي قبلَ ليلةِ العرسِ [6]

بعد أن استلم الأمين الخلافة عزل أخاه القاسم عن الجزيرة الفراتية وذلك سنة 194هـ/ 809م، وأقره على الشام، وولى خزيمة بن خازم ثّم عزل أخاه عن قنسرين، وأضافها إلى خزيمة، ثّم مالبث أن عزل خزيمة في سنة 196هـ/811م[7]، وعين عبدالملك بن صالح على الشام والجزيرة، حيث جعل مقر إقامته في الرقة، وكان قبل ذلك يعمل للرشيد في الثغور، وعندما بلغ الرشيد أّنه

---

(1) الطبري: تاريخ، مج4، ص650.

(2) العمري :مسالك، السفر السادس، ص36. حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص56.

(3) الطبري: تاريخ، مج5، ص 26-31. المؤرخ المجهول: تاريخ، ج2، ص20.

(4) المؤرخ المجهول: تاريخ، ج2، ص20. ابن الأثير: الكامل، مج6، ص227-228. العش: تاريخ، ص87. حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص26-57.

(5) ابن الأثير: الكامل، مج6، ص290-291.

(6) المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تقديم: مفيد محمد قمحة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، مج 3،ص423، سيشار إليه لاحقاً: المسعودي: مروج الذهب.

(7) القشيري: تاريخ، ص16.

يطلب الخلافة سجنه في الرقة، فأخرجه الأمين في ذي القعدة سنة 193هـ/808م[1]، ولعلّ سبب تعينه كان رغبة الأمين في مساعدته مع أنصاره من سكان الجزيرة ضد المأمون، ولكن لم تدم ولايته كثيراً، حيث توفي في السنة نفسها 196هـ/814م ودفن في قصر الإمارة في الرقة[2]، وبعد وفاته أعاد خزيمة بن خازم إلى ولاية الجزيرة الذي بقي حتى مقتل الأمين سنة 198هـ/816م.[3]

1َ- موقف أهل الرقة من الخلاف بين الأمين والمأمون:

تعد الرقة قاعدة عسكرية للأطراف المتحاربة وهذا ماجعل كل طرف يحاول كسبها إلى جانبه، وهذا الموقف يتجلى في شخصيتي الأمين والمأمون، حيث شكل المأمون ابن الأم الفارسية الحزب الفارسي وشكل الأمين ابن الأم العربية الحزب العربي، وقد حكم المأمون خراسان بينما حكم الأمين القسم الغربي، وحاول أن يستميل سكان الجزيرة[4]، وأبعد من ذلك كان أغلب سكان بلاد الشام يؤيدون الأمين ويكرهون المأمون لأنّه في نظرهم فارسي النزعة، فكانت الثورات تشتعل واحدة تلو الأخرى ضد المأمون، وقد أدرك الأمين هذا الأمر[5]، فأسند ولاية الجزيرة لعبد الملك بن صالح بن علي بن عباس وهو في درجة السفاح والمنصور نسباً، حيث أخرجه من سجن الرقة في سنة 193هـ/808م [6]، ووفاءً لصنيع الأمين أراد عبدالملك بن صالح مساعدة الأمين، فأخذ يصف له أهل الشام بأنهّم قوم قد ضرستهم الحروب وأدبتهم الشدائد، وأكّد له أنّ غالبيتهم ينقادون إليه ويطيعونه، وأنّ بإمكانه أن يجهز له منهم جيشاً يكون النصر على أيديهم، وفي هذه الأثناء كان الأمين على وشك الهزيمة، فأراد أن يشكل جيشاً يكون له عوناً للوقوف في وجه طاهر ابن الحسين[7]، وبدأ عبدالملك يساعد الأمين بالعرب الموجودين في محيط الرقة، وأنفذ كتبه إلى رؤساء الأجناد بالشام، ووجوه الجزيرة فقدموا عليه رئيساً بعد رئيس، وجماعةً بعد جماعة، وقدم إليه أهل الشام والأعراب من كل فج، واجتمعوا عنده في الرقة، وكثر جمعه ولكنّه مرض[8]، وأراد عبدالملك بن صالح أن يجمع قلوب جميع من جاء لمساعدة الأمين، فأخذ يخلع عليهم، ويمنحهم المنح، حيث شكل

---

(1) ابن الأثير: الكامل، مج6، ص27. عياش: حضارة، ص277

(2) ابن الأثير: الكامل، مج6، ص76.عياش: حضارة، ص279. سينو: الحياة السياسية، ص144.

(3) ابن شداد: الأعلاق، ج3، ق1، ص25.

(4) شتورم: أهمية الرقة، ص140.

(5) بيطار: الحياة السياسية، ص74. بروكلمان: تاريخ، ص198.

(6) ابن الأثير: الكامل، مج6، ص27. عياش: حضارة، ص277

(7) بيطار: الحياة السياسية، ص74.

(8) ابن الأثير: الكامل، مج6، ص258. عياش: حضارة، ص277.

هؤلاء جيشاً لتدعيم مركز الأمين، ولكن لم يكن هذا الجيش متماسكاً بل كان يتألف من قبائل متناحرة وكل منها لها رئاسة خاصة، كما انضّم إليه جماعة من الخراسانية، وفاته انضمام عدد كبير من المشاغبين والمتلصصة إلى الجيش، وبهذا الأمر تبين أنّ مثل هذا الجيش لايمكن أن يصمد[1]، وفعلاً أخفق في أول اختبار له عندما جرت مشكلة تافهة بين جندي من الخراسانيين، وجندي من بلاد الشام، فتعصب كل طرف لجماعته مما أدى إلى قتل أشخاص من الطرفين [2] ، وبلغ ذلك عبد الملك، فوجه إليهم يأمرهم بالكف، فلم يستجب أحد بل اقتتلوا في يومهم هذا اقتتالا شديداً [3]، وانهزم عرب الشام أمام الخراسانيين على الرغم من الدعم الذي قدمه لهم نصر بن شبث [4]، كما أخفق عبدالملك بن صالح ولم يستطع المضي لنجدة الأمين، حيث استمر في ولاية الرقة حتى توفي سنة 196هـ/811م، ودفن في دار من دور الخلافة[5]، وقد حلف قبل موته إن مات الأمين قبله فلن يعطي المأمون طاعته، فمات قبل الأمين، فبقيت بنفس المأمون إلى أن خرج إلى الرقة فوجد قبر عبد الملك في دار الإمارة، فأرسل إلى ابنه فقال له: حول قبر أبيك عن داري، فنبش قبره ونقل عظامه.[6]

ومن خلال هذه الأحداث يتضح بجلاء إخلاص أهل الشام عموماً والرقة خصوصاً للعنصر العربي الذي يمثله الأمين، ورفضهم للعنصر الفارسي الذي يمثله المأمون، خاصةً وأنّهم قد احتكوا مع العناصر الخراسانية التي وضعت في الرافقة منذ عهد المنصور، كما يتضح أنّ الرقة أصبحت في هذه الحقبة المركز الأساسي للقسم الغربي من الدولة العباسية، حيث بدأت تدار جميع أجزائها من الرقة، وكذلك أصبحت بوابة الخلافة العباسية إلى الشام وبالعكس.

ب- خلافة المأمون 198-218هـ/813-833م:

استلم الخلافة بعد مقتل الأمين، المأمون سنة198هـ/813م، وأمه فارسية تسمى مراجل، وقد ولاه الرشيد وهو في الثالثة عشرة من عمره في الرقة بعد أخيه الأمين، من حد همذان إلى آخر المشرق وفي ذلك يقول سلم بن عمرو الخاسر:

بايعَ هارونُ إمامُ الهدى   لذي الحجى والخلقِ الفاضلِ

---

(1) بيطار: الحياة السياسية، ص75.

(2) عياش: حضارة، ص279.

(3) ابن الأثير: الكامل، مج6، ص258.

(4) المقريزي: المنتقى من المقفى، ص231. المؤرخ المجهول: تاريخ، ج2، ص21. بيطار: الحياة السياسية، ص75.

(5) ابن الأثير: الكامل، مج6، ص76.عياش: حضارة، ص279.

(6) عياش: حضارة ،ص279.

والعالمِ النافذِ في علمِهِ والحاتمِ الفاضلِ والعادلِ [1]

وقد تحلى المأمون بصفات تقربه من الحكم على الرغم من شدته في قمع الثورات، كما قرب الشعراء و قال الشعر، وكان عالماً بالكلام، ومال إلى المجادلة والمناظرة، وعمل على قطع دابر الرياء والأخلاق الفاسدة المتفشية بين جنده، وتوفي أثناء غارته ضد بيزنطة بطرسوس من أعمال كليكية في 19رجب سنة 218هـ/10آب833م، فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر، وقد تلفظ عند وفاته بقوله: يامن لا يموت ارحم من يموت، فمات من ساعته.[2]

وعند استلام المأمون الحكم عزل خزيمة بن خازم، وعين مكانه طاهر بن الحسين، حيث كلفه بحرب نصر بن شبث العقيلي، ولم تقتصر ولايته على الرقة والجزيرة الفراتية بل شملت الموصل والشام والمغرب، كما أنّها كانت ولاية عامة ليعيد الأمن والاستقرار إلى المنطقة بعد ثورة نصر بن شبث العقيلي التي استمرت أكثر من عشرة أعوام، ولاشكّ أنّ سبب عزل خزيمة يعود إلى اخفاقه في قمع هذه الثورة[3]، وبقي طاهر في ولايته حتى سنة 205هـ/820م، حيث عزله المأمون، ثّم ولاه خراسان، وعين مكانه يحيى بن معاذ الذي توفي سنة 206هـ/821م[4]، وبعد وفاة يحيى ولى المأمون عبدالله بن طاهر بن الحسين من الرقة إلى مصر، حيث كتب له أبوه كتاباً جمع له كل ما يحتاج إليه في السياسة والآداب وغيرها[5]، ويبدو أنّ ولاية هذا الأخير مثل ولاية أبيه كانت عامة، ولعلّ السبب في ذلك ثقة المأمون بقدرته على قيادة الجيوش، وقمع ثورة نصر بن شبث العقيلي، حيث استمرت ولايته حتى سنة 213هـ/828م،[6]، إلى أن عزله المأمون، وعين مكانه ابنه العباس الذي استمر في ولاية الجزيرة والثغور حتى وفاة المأمون سنة 218هـ/833م.[7]

1- موقف أهل الرقة من خلافة المأمون:

(1) الطبري: تاريخ، مج4، ص650. حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص58.

(2) المقريزي: المنتقى من المقفى، ص241. ابن الأثير: الكامل، مج6، ص431-432. ميخائيل الكبير: تاريخ، ج3، ص49-51. حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص63-64. عياش: حضارة، ص279.

(3) المقريزي: المنتقى من المقفى، ص232. سينو: الحياة السياسية، ص145.

(4) القشيري: تاريخ، ص16.

(5) المؤرخ المجهول: تاريخ، ج2، ص26. ابن الأثير: الكامل، مج6، ص281-182.

(6) سينو: الحياة السياسية، ص146.

(7) القشيري: تاريخ، ص17.

كان أغلب سكان الرقة لابل أغلب سكان بلاد الشام يؤيد الأمين ويكره المأمون لأنّه في نظرهم فارسي النزعة [1] ، حيث اعتمد على القائدين الفارسيين طاهر بن الحسين، وهرثمة بن أعين، ودبر أموره من محل إقامته في فارس الفضل بن سهل الفارسي[2]، ويتمثل موقف أهل الرقة بموقف نصر بن شبث العقيلي الذي كان له في الأمين هوىً وفي عنقه بيعه له، فلما قتل الأمين أظهر نصر الغضب من المأمون الذي حط من شأن العنصر العربي واعتمد على العنصر الفارسي حيث اختار قادته ووزراءه منهم، فعبر نصر نهر الفرات إلى الجانب الشرقي، وأعلن الثورة على المأمون، وكثرت جموعه، وعندما عرض عليه الناس أن يبايع خليفة أجابهم: إنّ هواي في بني العباس، وإنّما حاربتهم محاماةً على العرب لأنّهم يقدمون عليهم العجم[3] ، وكتب الفضل على لسان المأمون إلى طاهر بن الحسين أن يشخص إلى الرقة لمحاربته في وقتٍ كانت تشتعل الثورات الواحدة تلو الأخرى.[4]

لقد اختار طاهر الرقة كقاعدة لمحاربة نصر فحاصرها، وهذا الأسلوب يذكر بأسلوب أبي جعفر المنصور الذي أحضر إلى الرقة الجيش غير العربي، وجعلها محل إقامته ثّم انطلق لقمع ثورات الجزيرة[5]، حيث جرى القتال بين العرب والفرس وسط الرقة، ولمنع التصادم بنى سوراً بين الرقة القديمة التي يسكنها العرب، والرافقة مقر إقامة الحامية الفارسية [6]، وجاء في تاريخ الدول السرياني لابن العبري: وشدّ نصر على العجم أصحاب طاهر، وجعل جنوده يقبضون على خمسين فخمسين، ومائة فمائة فينحرونهم نحر الخراف، وكتب نصر إلى جميع القيسيين في الجزيرة، وأقبل بهم إلى الرقة، ثّم زحفوا إلى الرافقة، وحاصروها، وكان يقيم فيها البطريرك قرياقس 198-202هـ/713-817م، وثيوتوسيوس مطران الرها، واشتد الغلاء حتى انتشرت المجاعات ، ثّم عقد نصر صلحاً بسبب استيلاء عساكر الكوفة على الرقة، وقدوم عناصر فارسية جديدة إلى الرافقة[7]، وفي سنة 206هـ/ 821م، تابع عبدالله بن طاهر حرب نصر بعد أن ولاه المأمون من الرقة إلى مصر[8]، وقد انتهت الحرب مع نصر بمعاهدة لاحقة بعد أن دمرت أجزاء عديدة من مباني المدينة[1]

---

(1) بيطار: الحياة السياسية، ص74.

(2) عياش: حضارة، ص279.

(3) ابن الأثير: الكامل، مج6، ص297-308. عياش: حضارة، ص297.

(4) عياش: حضارة، ص279. بروكلمان: تاريخ، ص198.

(5) شتورم: أهمية الرقة، ص140.

(6) شتورم: أهمية الرقة، ص140-141.

(7) عياش: حضارة، ص280.

(8) ابن الأثير: الكامل، مج6، ص281-182.

)، كما أنّها أرهقت المأمون، وجعلته يستنفر جميع قواده الأكفاء، وخزانته العامرة، حتى إنّه يقول عن المعاهدة التي وقعها مع نصر: ما أنزلت قيساً عن سروج خيولها حتى لم يبق في خزانتي درهم واحد.[2]

تمثّل ثورة نصر محاولة جريئة لرفض التسلط الفارسي، وإعزاز العنصر العربي، وتأسيس دولة عربية صرفة تكون الرقة عاصمتها، ويبدو أنّ نصر قد تأثر بهارون الرشيد الذي هجر بغداد لتغلب الفرس عليها، واستوطن في الرقة حيث اتخذها مقراً لثورته، فأراد أن يعيدها مرة أخرى عاصمة بعد أن أعفاها المأمون منذ خمس سنوات ونيف من مهمتها كعاصمة.[3]

ج- المعتصم 218-227هـ/833-841م:

بعد وفاة المأمون استلم الخلافة المعتصم، حيث كان يلي الشام ومصر في عهد أخيه المأمون، وعندما مرض المأمون عدل عن مبايعة ابنه العباس وبايع أخاه المعتصم، وكان للعباس محبة كبيرة بين الجند، وعندما دبّ الشغب بينهم تدخل العباس، وبايع المعتصم ومن ثّم مات العباس في منبج سنة 223هـ/837م[4]، وأصيب المعتصم في أواخر خلافته بمرض ثّم مات لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة 227هـ/842م، فرثاه وزيره محمد بن عبد الملك الزيات بقوله:

قَدْ قلتُ: إذا غيبوكَ واصطفتْ   عليكَ أيدِ بالترابِ والطينِ
اذهبْ، فنعَم الحفيظُ كنتَ على الدنيا   ونعَم الظهيرُ للدينِ[5]

وفي عهد المعتصم ظلت الرقة قاعدة الجزيرة والمركز الإداري الأول في الجانب الغربي من الدولة العباسية، وقام خلال عهده بثماني غزوات ضد الروم البيزنطيين منطلقاً عبر الرقة والجزيرة الفراتية[6]، وعندما تولى المعتصم الخلافة، أقّر العباس بن المأمون والياً على الرقة والجزيرة الفراتية سنة 218هـ/833م، ولعلّ السبب يعود لكونه من الأسرة العباسية، ولكن بعد فتح عمورية سنة 223هـ/837م عزله لما علم عنه أّنه يطالب بالخلافة، ويعد العدة للثورة، وبعد ذلك ولى القائد أشناس

---

(1) شتورم: أهمية الرقة، ص141.

(2) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج3، ص161.

(3) عياش: حضارة، ص281.

(4) المقريزي: المنتقى من المقفى، ص292.ابن الأثير: الكامل، مج6، ص439. ميخائيل الكبير: تاريخ، ج3، ص51. حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص64. عياش: حضارة، ص286.

(5) حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص68.

(6) ابن طباطبا: الفخري، ص229. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص119. عياش: حضارة، ص286.

أقاليم الشام والجزيرة ومصر وتوجه وألبسه وشاحين من الجوهر، وبقي على هذه الولاية طوال عهده إلى أن توفي سنة 230هـ/844م في خلافة الواثق. [1]

وينسب الأستاذ نسيب صليبي للمعتصم قصراً في الرقة يبعد 3 كم إلى الشمال من باب بغداد، ويحدد تاريخ بنائه إلى الحقبة التي استلم فيها الخلافة 218 هـ/833م[2]، حيث وجد اسم المعتصم مكتوباً بالخط الكوفي على أحد الجدران الداخلية[3]، ومع ذلك لا يمكن الجزم بأنّ المعتصم قد أمر ببنائه في خلافته، فقد يعود البناء إلى المرحلة التي كان يلي فيها بلاد الشام ومصر في عهد أخيه المأمون، فمن الثابت أنّ جميع الأطراف الغربية من الدولة العباسية تدار من الرقة.[4]

د- الواثق بالله 227-232هـ/ 841- 846م:

بعد وفاة المعتصم استلم الخلافة وأمه أم ولد رومية الأصل[5]، وقد سار على مسيرة أبيه في الانتصار للمعتزلة والقول بأنّ القرآن مخلوق.[6]

ويلاحظ أنّه منذ عهد الواثق، وتحديداً في سنة 230هـ/ 845م بدأ بنو الأغلب يستقلون في مصر مشكلين ولاية خاصة تتبع العاصمة بغداد، بعد أن كانت تتبع ولاية الجزيرة، وتدار من الرقة، ولاشكّ أنّ هذا الإجراء لم يكن مجرد مصادفة، فقد أقطع هارون الرشيد بني الأغلب مصر عندما كان خليفة، واستمر الأمر كذلك إلى أن بدأ التفكك يسري في جسم الدولة العباسية، خاصةً بعدما ضعفت سلطة الخليفة.

ومع ذلك فقد ظلت الرقة تتمتع بازدهارها خلال هذه الحقبة وإن أخذت بوادر الجمود تظهر عليها ذلك لأنّ المدينة لم تصب بالكوارث السياسية والثورات والحروب التي تعرضت لها بعض المدن الأخرى، حيث شكلنهر الفرات دفقاً حضارياً وتجارياً حفظ لها نموها وازدهارها.[7]

---

(1) ابن العديم: زبدة الحلب، مج1، ص69. القشيري: تاريخ، ص16-17. المقريزي: المنتقى من المقفى، ص311. سينو: الحياة السياسية، ص148. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص119.

(2) صليبي: ثلاثة قصور، ص45.

(3) الترجمان، غسان: وصف أسوار الرقة، مجلة صوت الرافقة، العدد 2، ص71-79، المطبعة السورية، حلب، 1388هـ/1968م،ص74،سيشار إليه لاحقاً: الترجمان: أسوار الرافقة.

(4) ابن الأثير: الكامل، مج6، ص439. حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص64. عياش: حضارة، ص286.

(5) ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص297. حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص68.

(6) المقريزي: المنتقى من المقفى، ص317. حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص69.

(7) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص119.

الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الرقة

أولاً- الحياة الاقتصادية في الرقة :

1- الزراعة:

أ- مصادر المياه وطرق الري

ب- أنواع الزراعات

ج- تربية الحيوان

2- الصناعة:

أ- المواد والخامات الصناعية

ب- الحرف والصناعات المحلية

3- التجارة:

أ- أهم الأسواق

ب- أهم المواد والسلع المتبادلة

ج- الطرق التجارية

4- النقد:

ثانياً- الحياة الاجتماعية في الرقة :

1- الأقوام والقبائل التي استوطنت في الرقة

2- لغة السكان

3- الطبقات الاجتماعية

4- العادات والتقاليد الاجتماعية

5- الأزياء والملابس

أولاً- الحياة الاقتصادية في الرقة :

1- الزراعة:

أ- مصادر المياه وطرق الري:

بالإضافة لنهري الفرات والبليخ توفرت شبكة كبيرة من الأودية، والعيون التي تنبع من شمال الرقة ، وتنتهي جميعها إليها، وشكلت مياه الأمطار مورداً مائياً للأراضي البعيدة عن مجرى الفرات والبليخ حيث يستفاد منها عندما ينحسر فيضان النهر فتزرع بمحاصيل الحبوب مثل القمح والشعير، وإلى جانب هذه الموارد المائية توفرت سهول لحقية خصبة تصلح لإنبات كل ما يبذر فيها في حال توفر الري الكافي.[1]

---

[1] عياش: الرقة، ق2، ص32. مجموعة من الباحثين: الرقة، ص274.

و قد انتبه الخلفاء العباسيون إلى هذه الناحية، فعهد أبو جعفر المنصور كان حافلاً بالإصلاح الزراعي الذي حول معيشة الناس من الغلاء إلى الرخاء، ومن فساد الأنظمة إلى ضبط الخلافة[1]، فأمر بحفر الترع والمصارف، وإقامة الجسور والقناطر[2] ، وجاء الرشيد ليوسع نطاق الزراعة، فبنى الجسور والقناطر والترع والجداول وحفر الأنهار حتى غدت الجزيرة الفراتية شبكة متصلة من الأقنية المائية، وساهم نوع التربة الخصبة التي تشكلت من طمي الأنهار والفيضانات عبر مئات السنين في تحسين الزراعة، فغرست الجنائن وزرعت البساتين ، وجلب نهر من الفرات وآخر من سروج بعد أن اشترى مياهه من أصحابها، وسمي بنهر النيل حيث تفرعت منه جداول تروي شمال الرقة وغربها يستفاد منه في الزراعة. [3]

ومّما لاشكّ فيه أنّ الزراعة كانت سبباً أساسياً في ملء خزائن الرشيد ذهباً وفضة.[4]

واقتفى أهل الرقة آثار الرشيد في العناية في بلدهم، فاهتموا بدورهم في الزراعة فغرسوا الأشجار، ونوعوا مزروعات البساتين وطرق إرواء أراضيهم [5] ، حيث جلبت المياهمن النهر مباشرة ً، وغمروا مساكب البساتين بالمياه (الري السيحي)، واستخدمت النواعير[6] في المناطق المجاورة للرقة، وقد رأتها علية بنت المهدي وهي في طريقها من الرقة إلى بغداد مع خالد بن يزيد ابن منصور، فقالت: أشرب وأغني على صوت النواعير، ما كنت أعرفها لولا ابن المنصور، وتوضع الناعورة في جانب النهر أو في حوض كبير يشبه البئر يسقى من النهر، واستخدم الدولاب[7]، وكذلك الدالية[8] في ري الأراضي

---

(1) الصالح ، صبحي: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار الملايين، ط2، بيروت، 1388هـ/1968م، ص387، سيشار إليه لاحقاً: الصالح: النظم.

(2) حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص241.

(3) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص84.

(4) الجومرد: هارون، ص301.

(5) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص85.

(6) الناعورة: هي عبارة عن دولاب كبير مركب على محور أفقي فوق أعلى مجرى الماء، حيث يضرب=

= الماء الشفرات المركبة حول محيط الدولاب، فيدور الدولاب ويرتفع الماء في سطول مثبتة في محيط الدولاب بلغ عددها ثمانين سطلاً. حباب: تاريخ، ص522– 223.

(7) الدولاب: هو عبارة عن دولاب كبير موضوع في الماء على محورٍ وعلى الدولاب سلسلة من القواديس(إناء يخرج به الماء من السواقي)، ويتعشق هذا الدولاب بمسننات تتوضع على دولاب أفقي يدار بواسطة حيوان فتنتقل الدورة الأفقية إلى دورة عمودية، وما يميز الدولاب عن الناعورة هو استخدام الحيوان لتحريكه كما أًنه أبطأ من الناعورة. حباب: تاريخ، ص223.

(8) الدالية: هي عبارة عن عمود طويل مستدق الطرف موضوع بصورة أفقية بحيث يرتكز على عارضة

الزراعية المجاورة للنهر، ولصعوبة الري خفض الخلفاء العباسيون ضرائب الخراج فأخذوا النصف من الأراضي التي تسقى سيحاً، والثلث من الأراضي التي تسقى بالدواليب والدوالي، والربع من الأراضي التي تسقى بالدواليب فقط.[1]

ب- أنواع الزراعات في الرقة:

شكلت الحبوب[2] من قمحٍ وشعيرٍ أهم أنواع الزراعات البعلية التي تزرع في الشتاء، وكان البطيخ الأحمر والأصفر من أهم الزراعات البعلية صيفاً، ولاتزال هذه الزراعات موجودة حتى الوقت الحاضر[3]، وقد صدرت الرقة كميات كبيرة من هذه الأصناف، ومازال العراقيون يطلقون على البطيخ الأحمر إسم الرقي نسبةً إلى الرقة.[4]

وتنوعت أصناف الزراعة المروية من أرز وقمح وبقول وذرة وشعير، وقصب سكر، وأقطان، وفواكه، وثمار البندق، والشاه بلوط، والبلوط، والأعناب، والفواكه[5]، وهي مرغوبة في الأسواق لاسيما التفاح الداماني[6] الذي يضرب المثل بجودته وحمرته، وطيب طعمه،إلى جانب الدراق، والتين، والجوز، والآس، والخضار، والزيتون[7] الذي تغنى به الصنوبري في أشعاره.

خشبية مستعرضة مرتفعة عن الأرض بنحو ثمانية أقدام أو عشرة، وعلى نهاية الطرف الأطول المستدق لهذا العمود يتعلق حبل يحمل قربة أو دلو، وعلى نهاية الطرف الأغلظ والأقصر يثبت ثقل ممتلئ بالماء، وحينئذٍ يترك العامل الحبل فتهبط النهاية الأخرى من الدالية، وتحتاج إلى أربعة عمال لتحريكها، حباب: تاريخ، ص224.

(1) الصالح: النظم، ص389.

(2) انتشرت زراعة الحبوب ليس في الرقة فحسب بل في كل الأراضي السهلية التي انتشرت في الجزيرة الفراتية، وفي جميع العصور. الزوقنيني: تاريخ، ص34.

Cuinet,Vital: libanet et Palestine ,Geographie administrative statistique,p499-501,descriptive et Raisoonee , vol, paris,1986.

(3) سينو: الحياة السياسية، ص183.

(4) حميدة: الرقة، ص36.

(5) يقول الوقنيني: لم تكن تشاهد أرضاً غير مزروعة ، لأنّ الفلاحين لم يتركوا بقعة استطاعوا بلوغها، إلا ونقبوا فيهاكرماً، أو نصبوا بستاناً، ولكثرة البساتين وتقاربها من بعضها البعض، والحقول الواسعة، أدى كله إلى احتدام المنازعات الكثيرة بين الفلاحين. الزوقنيني: تاريخ،ص35.

(6) دامان: قرية قرب الرافقة بينها وبين الرافقة خمسة فراسخ، وإليها ينسب التفاح الداماني الذي يضرب المثل بحمرته. عياش، الرقة، ق2، ص16.

(7) الزوقنيني: تاريخ، ص34-35. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص85.

ويعد الزيت من أهم منتجات الرقة، وكذلك النخيل[1]، وتقدمت زراعة القطن، فوصفها المقدسي بقوله: أنّها جيدة الأقطان[2]، وعلى هذا فقد تميزت أقطان الرقة، حتى إنّها احتلت الصدارة في الأسواق[3]، ولشهرتها تسمى عدد من سكانها بالقطان، منهم جعفر بن محمد بن يزيد القطان أبو بكر الرقي، وسمي أيوب بن محمد بن زياد بن نوح أبو سليمان الرقي بالوزان لأنّه كان يزن القطن في وادي الفرات[4]، وذاعت شهرة الرقة بالخل والزيت حتى إنّ استمرار تصدير الزيت خارج الرقة كان يؤدي إلى شلل كبير في أسواق الزيت في بغداد [5]، كما سمحت الأمطار الهاطلة في الرقة وما يجاورها من سهول بنمو النباتات الرعوية الطبيعية[6]،وعلى ضفاف الأنهار والأودية انتشرت شجيرات الورود والأزهار، وهذا ما أكده الصنوبري حين وصف غنى الرقة والبليخ والفرات بهذه الأنواع من الأزهار والورود[7] ، كالنرجس والخيري[8] ،وشقائق النعمان، ومن أشعاره في ذلك قوله:

وبدا النرجسُ البديعُ كأمثالِ عيونٍ ترنو إليها عيونُ

ما ترى جانَب الهني وقدْ أشرقتْ فيهِ الخيريُّ والنسرينُ ويقول

في موضع آخر:

كأنَّ النعمانَ خل عليها حللاً من شقائقِ النعمانِ [9]

ومن الأزهار التي نمت في الرقة الأقحوان، والسوسن، والبنفسج، والياسمين، والقيصوم[10]، والخزامى[11]، وقد غطى السوسن السهل المحيط بالرقة حتى اكتست الأرض ببساط من العشب

---

(1) حباب: الرقة، ص226.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص141. كاهن: تاريخ، ص121.

(3) حميدة: الرقة، ص36.

(4) حباب: تاريخ الرقة، ص227.

(5) شتورم: أهمية الرقة، ص133. حميدة: الرقة، ص36.

(6) حميدة: الرقة، ص36.

(7) سينو: الحياة السياسية، ص188.

(8) الخيري: نوع من أنواع الورود أصفر اللون، سينو: الحياة السياسية، ص189.

(9) الحسون، مصطفى: مقالة دير زكّى، مجلة الرافقة، العدد3،ص130-139، المطبعة السورية، حلب، 1389هـ/1969م، ص134 ،سيشار إليه لاحقاً: الحسون: دير زكّى.

(10) القيصوم: هو نبات السهل، طيب الرائحة من رياحين البر، ورقه هدبٌ، وله نورة صفراء تنهض على ساق وتطول يتداوى به. ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص486.

(11) الخزامى: نبات طيب الريح ، والمفرد منه خزاماة، وهي عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق، حمراء الزهرة، لها نور كنور البنفسج. ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص176.

الأخضر إلى شرقي نهر البليخ[1]، واحتضن الفرات على أطرافه أحراشاً ممتدة كانت تزخر بأنواع مختلفة من النباتات، في حين تتناثر أشجار الطرفاء والحور الفراتي على أطراف هذه الغابة، وتزداد كثافةً كلما اقتربنا من النهر لأنّ الحور الفراتي يحتاج إلى رطوبة عالية، وكان ارتفاع الشجرة يصل إلى 15م[2]، وأشار الجاحظ إلى انتشار القصب والشالع الذي يستخدم في صناعة المكانس[3] والسلال[4]، ونمت أشجار العوسج على طرفي الفرات، وعوسج الفرات ذو أشواك قاسية، ومن النباتات التي انتشرت بكثرة البردي والزل[5] وغيرها.[6]

ج- تربية الحيوان:

ترتبط هذه الحرفة بالزراعة ارتباطاً وثيقاً، فيستفاد من الحيوانات بالقيام بالأعمال الزراعية الشاقة كالحراثة وأعمال الجر وغيرها، ومن أنواع الماشية التي تربى في الجزيرة الفراتية[7] عموماً وفي الرقة خصوصاً الأغنام والماعز والثيران والأبقار، كما تربى الخيول، حيث تعتمد على الأعشاب المتناثرة في بوادي الجزيرة خاصة السوسن في فصل الربيع[8]، وأشار ابن حوقل إلى أنّ قبائل الجزيرة من ربيعة ومضر كانوا أصحاب خيل وغنم وإبل، وأشار ديونيسيوس التلمحري في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي إلى أنّه لايوجد في قرية من قرى الجزيرة من لا يمك حميراً وماعزاً[9]، وتعد الخيول العربية الأصيلة من أهم الحيوانات التي ربيت في الجزيرة الفراتية عموماً والرقة خصوصاً حيث يقول المقدسي:" الجزيرة معدن الخيول العتاق" [10]، حيث استفاد منها سكان الرقة في التنقل السريع[11]، وإلى جانب الاهتمام من قبل عامة الناس في تربية الخيول، فقد اهتم الخلفاء العباسيون

---

(1) فّرا، صونيا: الرقة وأبعادها الاجتماعية، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1403هـ/1982م، ص19، سيشار إليه لاحقاً: فّرا: الرقة. حباب: تاريخ، ص228.

(2) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص86.

(3) المكانس: جمع مفرده مكنسة، وهي ما كنس به. ابن منظور: لسان العرب، ج6، ص197.

(4) حباب: تاريخ، ص228.

(5) الزل: نبات ينمو على طرفي الفرات أوراقه عريضة تشبه أوراق الذرة. الباحث.

(6) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج1، ص129-132.

(7) انتشرت حرفة تربية الحيوان في كل مناطق الجزيرة الفراتية، فمثلاً سهول ماردين تعد من أجود المراعي. Cuinet: geographie administrative statistique, p504.

(8) فّرا: الرقة، ص19.

(9) حباب: تاريخ، ص229. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج1، ص132.

(10) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص136.

(11) سينو: الحياة السياسية، ص190.

بها اهتماماً خاصاً، فالرشيد اهتم شخصياً بتربيتها، وكانت لها حقول خاصة وإصطبلات لتوليد عتاق الخيل وتربيتها وتمرينها حتى إنّه امتلك من جيادها عدداً كبيراً وخصصت لها الحقول الخضراء، وميادين السباق في الرقة حيث أجرى مسابقاتها مع قواده ووزرائه(1)، ووجدت الغزلان حول الرقة، وخاصةً قرب دير زكى وظلت تعيش في محيطها إلى عهدٍ قريب، والناس يصطادونها على ظهور الخيل بواسطة الكلاب، ووجدت الأرانب بكثرة عند دير زكّى حيث تتخذ من الجحور والأنفاق الطبيعية مساكن لها، وهي من الحيوانات الاجتماعية التي تعيش ضمن جماعات، وعاش أيضاً الضبع الذي يقوم بحفر أوكاره بمخالبه الأمامية، وكذلك الخنزير الذي عبث في الحقول المزروعة.(2)

ولاشكّ أنّ الرقة شكلت بيئة مناسبة لممارسة هواية الصيد من قبل الخلفاء، فقد عاش فيها أصناف عديدة من الطيور المقيمة كالدراج والحمام، ومالك الحزين والنورس، وأبي زريق، والسماك، وغيرها من الطيور الصغيرة والكبيرة، والطيور المهاجرة مثل الإوز والبط، ودجاج الماء والبجع والكركي والقطا، والطيور الكاسرة مثل النسور، والعقاب، والحر، والباز، وهذه الأنواع لم تكن تقطن الرقة، وإنّما تمر فيها مرورا.ً(3)

وتعد هذه المنطقة من أشهر مناطق القنص إذ لم يكن يعثر فيها على الأسود فحسب بل وعلى الفهود والنمور أيضاً(4)، ووجدت أنواع من الحيوانات البرية حول الرقة مثل ابن آوى والذئاب، والسلاحف والأفاعي والجرذان والفئران والعقارب.(5)

2- الصناعة:

أ- الموارد والخامات الصناعية:

لقد توفرت الخامات المعدنية في الجزيرة الفراتية، ولكن لم تكن بكثرة الموارد الزراعية إذا ما قورنت بها، ومع ذلك شكلت مورداً مهماً للصناعات التي كانت في الرقة، فقد توفر الحديد الذي جلب من ديار بكر، وهي أغنى مناطق الجزيرة الفراتية به (6)، وتوفر النحاس في ديار بكر إلا أنّه كان أقل وجوداً من الحديد(7)، وقد جلب البرونز من أماكن بعيدة، واستخدم لسك النقود في الرقة(1)، وبالإضافة

---

(1) الجومرد: هارون، ص226.

(2) حباب: تاريخ، ص232-233.

(3) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج1، ص86.

(4) فرّا: الرقة، ص19.

(5) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج1، ص86.

(6) سينو: الحياة السياسية، ص193.

(7) خليل،عماد الدين: الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت،1401هـ/1980م،

إلى المواد الخام المعدنية توفرت في الرقة العديد من المواد الأولية الزراعية كالثمار والفواكه[2]، حيث شكلت أشجار الزيتون لتي انتشرت حول الرقة مورداً مهماً لصناعة الزيت والصابون.[3]

وتوفرت المحاصيل الصناعية كالقطن والزعفران والكتان و لعلّ وجود الأشجار بكثرة حول نهر الفرات كان عاملاً رئيسياً لتوفر الأخشاب.

كما وجدت المنتجات الحيوانية مثل الألبان ومشتقاتها، وأصواف الغنم، وشعر الماعز الذي استخدم في صناعة الخيام[4]، وقد ساعد توفر القصب والقش على وجودصناعةالحصر والسلال[5]، ولعلّ توفر التربة الغضارية في الرقةكان عاملاً أساسياً في ازدهار صناعة الآجر والفخار.[6]

ب- الحرف والصناعات في الرقة:

ارتبطت الصناعة في الرقة ارتباطاً وثيقاً بالمواد الأولية الموجودة فيها أو التي جلبت إليها سواء أكانت معدنية أم زراعية أم حيوانية، ولاشكّ أنّ اتساع السوق الاستهلاكية لعب دوراً مهماً في زيادة الإنتاج حيث شكلت الدولة الإسلامية سوقاً واحداً بالإضافة إلى أّنه لم تكن توجد فيها عقبات تحول دون انتقال السلعة من مكان إلى آخر.[7]

وقد تراوحت مظاهر الإنتاج الصناعي بين أعمال فردية، وأعمال جماعية يشترك فيها عدد من الأفراد في حانوت أو مصنع صغير، ومصانع كبيرة نسبياً للنسيج والزجاج، ومصانع حكومية لدور الطراز، ودور السكة، كما أنشأت الدولة مصانع للأسلحة وأخرى للسفن.

وعندما انتقل ثقل الدولة إلى الرقة زاد الرشيد في عمرانها، وتضاعف عدد سكانها، وازدهر اقتصادها، وساعد هذا على ازدهار الصناعة بالإضافة إلى اهتمام الرشيد شخصياً بها، ووفود

ص455، سيشار إليه لاحقاً: خليل: الإمارات الأرتقية.

(1) فّرا: الرقة، ص160.

(2) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص83.

(3) عياش: الرقة، ق2، ص3.

(4) خليل: الإمارات الأرتقية، ص455.

(5) سينو: الحياة السياسية، ص194.

(6) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص83.

(7) حباب: تاريخ، ص236.

الصناع وأرباب المهن إليها، وسائر أهل الحرف من مختلف الأصقاع كحلب ودمشق والقاهرة وبغداد والموصل والمدن المجاورة.[1]

ووسع الرشيد المنطقة التجارية والصناعية فبنى فيها أسواق للحرف، لخدمة الحاجات المتزايدة للقصر والحاشية والسكان من الأواني الفخارية والزجاجية والبضائع الفاخرة وغيرها [2]، ومن الصناعات التي اشتهرت بها الرقة:

الصناعة الغذائية: كصناعة الزيت و يلحق بها صناعة الصابون لكثرة ما كان فيها من أشجار الزيتون وكثرة معاصره، وهذه صناعة موجودة منذ زمن بعيد[3]، واستمرت في الازدهار والتطور في الحقبة مجال البحث ، ويذكر ابن الفقيه الهمذاني أنّ حقوق إنتاج الزيت لا تعطى إلا لبعض الحوانيت، وإن قام حانوت غيرها في إنتاجه يغلق، وإلى جانب استخدام الزيت كغذاء يستخدم كمطهر ضد داء النقرس [4]، وقد ذكر المقدسي ت. 370هـ/980م: أنّ الرقة كثيرة البساتين، ومعدن الصابون الجيد والزيتون[5]، ومن الأشخاص الذين اشتهروا من أهل الرقة بهذه الصناعة أبو بكر محمد بن جعفر بن أحمد القاضي الرافقي المعروف بابن الصابوني، الذي قدم إلى بغداد وحدّث فيها، وعاش حتى مطلع القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[6] ، كما اشتهرت الرقة بصناعة الأقلام، وكان فيها دهن يسمونه الخطارة نافع للرياح والروماتيزم[7]، وعصر الثمار المعرضة للتلف كالرمان والليمون والتفاح، حتى أنّه جاء في بعض الروايات عن الخراج الذي يأتي من الأقاليم المشهورة بثمارها أنّها كانت تدفع الثمار على شكل عصير موضوع في جرار مختومة.[8]

كما ازدهرت المطاحن المائية في الرقة وجعبر وعرفت بالعروب، وهي قائمة في وسط ماءٍ شديد الجريان وموثقة بسلاسل من الحديد، وعرّف الخوارزمي العربة: بأنّها طاحونة تنصب في سفينة، وجمعها عريب، وسماها القزويني في آثار البلاد العربات وقال: إنّها الطواحين التي يديرها الماء في

---

(1) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص83.

(2) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، 192 .

(3) عياش: الرقة، ق2، ص3.

(4) شتورم: أهمية الرقة، ص133.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص141.

(6) حباب: تاريخ، ص237.

(7) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص62.

(8) الجومرد: هارون، ص237.

وسط النهر وهي مثبتة في سفينة تنقل من مكان إلى آخر، واستخدمت لطحن القمح والحبوب، ونشر الأخشاب.[1]

صناعة الفخار والزجاج: وقد تألقت وازدهرت حتى إنّها حققت شهرة عظيمة في صناعة الفخار، حيث تفنن الصناع بهذه الحرفة، لدرجة أنّهم طعموا الفخار بالذهب وحفروا على الفخار المناظر الطبيعية والرسوم ذات الألوان الرائعة،كما أنّهم رسموا شخصيات متعددة، وغلب على فخار الرقة اللون الأزرق حتى أصبحت هذه الأواني قريبة من الأواني الصينية ذات الشهرة العالمية في هذا المجال [2]، ويستدل من كثرة الأواني الخزفية والزجاجية المختلفة الأشكال من الصحون والأباريق، والأكواب والدنان والكؤوس والجرار وغيرها مما عثر عليه في خرائب الرقة،على أنّها كانت منذ أيام العباسيين، وحتى العصرين الأتابكي والأيوبي اللاحقين مركزاً لمعامل الخزف والزجاج وكان إنتاجها يكفي السكان، ويصدر إلى المناطق المجاورة، ولشهرة الرقة في الزجاج والخزف حمل نوع من الخزف اسمها وتاجر به التجار السوريون بكميات كبيرة، حيث امتلأت به الأسواق، وعثر على مجموعات منه في الرقة حفظت في المتاحف كمتحف الرقة ودمشق، وتلون خزف الرقة باللونين الأزرق والأسود ومع ذلك تّم العثور على خزف متعدد الألوان يشبه إلى حد كبير الخزف الإيراني الذي ظهر في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ومن خلال استعراض إنتاج الرقة يمكن الاستنتاج أنّ هذه الصناعة كانت ثمرة جهد وخبرة متواصلين جعلت الصناع يطورون ويتفننون برسوماتها وأنواعها وأشكالها.

وعلى مايبدو شاعت **صناعة الآجر** في الرقة لعدم وجود مقالع حجر في محيطها، وقد تزايد الإنتاج لتلبية حاجات السكان المتزايدة في بناء الدور وخاصة في بناء قصور الأمراء والقادة العديدة الحجرات والجدران والأبهاء المرتفعة ، وأسوار القصور وحدائقها حتى إنّ كل بناء الرقة كان من الآجر المتقن الصنعة الذي قاوم عوامل الطبيعة مئات السنين، كما أتقن أهل الرقة صناعة اللبِّن وخير شاهد على ذلك سور الرقة وأبراجه.[3]

---

[1] حباب: تاريخ، ص238.

[2] ريسلر، جاك: الحضارة العربية ترجمة: غنيم عبدون، دار الطباعة الحديثة، مصر، د.ت، ص123، سيشار إليه لاحقاً : ريسلر : الحضارة العربية.

[3] عياش: الرقة، ق2، ص1-6.

الصناعة المعدنية: ازدهرت هذه الصناعة، وضمت صناعة السيوف والدروع والرماح والسلاسل، واستخراج معدني الحديد والنحاس[1]، وضرب النقود أو سكّها في الرقة لاسيما بعد أن نقل الرشيد مركز الدولة من بغداد إلى الرقة وسيأتي الحديث عنها بشكل مفصل في فقرة النقد في الرقة في هذا الفصل.[2]

الصناعة النسيجية: ازدهرت صناعة النسيج لاسيما صناعة المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية [3]، وأسرجة الخيول وألجمتها لكي تلبي حاجات الجيوش التي كانت تنزل الرقة وتتمون منها، لتنطلق بعدها لغزو الروم البيزنطيين[4]، حيث انتشرت مصانع النسيج في مختلف المناطق، وكان يعهد إلى المصانع ودور الطراز بإنتاج أنواع ثمينة لسد حاجة البلاط، وساعد انتشار أشجار التوت حول الرقة على الاهتمام بتربية دودة القز التي كانت المصدر الأساسي للحرير الطبيعي، وصناعة الحرير[5]، وازدهرت الصناعة الملحقة بصناعة النسيج كالخيام والحبال[6]، وفي زمن هارون الرشيد كانت إمكانية الحياكة تسمح بحياكة كل صور الحيوانات والنباتات على الصوف والقطن والكتان والحرير، كما أمكن تلوينها بمواد صباغية كالقرمز [7]، أوالنيلة التي وصلت من الهند، ومنها حصل الصباغون على اللون الأزرق، واستخدم الزعفران للحصول على اللون الأصفر، وكان مرغوباً وهو الأكثر رواجاً بين الأصبغة الشرقية لأنّ له لون الشمس، واستخدم لتلوين الملابس، والورق والوثائق الرسمية.

صناعة الخمور ازدهرت في الأديرة لما في الرقة من كروم، وبسبب كثرة الزوار والزبائن من المسلمين وغيرهم الذين يترددون عليها في الأعياد أو في الأيام العادية، حيث ذاعت شهرة خمارات الرقة في الحقبة مجال البحث من العصرالعباسي.[8]

3-التجارة :

---

(1) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص83.

(2) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص83.

(3) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص83.

(4) عياش: الرقة، ق2، ص6.

(5) حباب: تاريخ، ص236.

(6) سينو: الحياة السياسية، ص195.

(7) القرمز: حشرة طفيلية تعيش على أشجار السنديان، واستخدمت للحصول على اللون الأحمر أو القرمزي، حباب: تاريخ، ص237.

(8) حباب: تاريخ، ص236–237.

لاشكّ أنّ موقع الرقة الجغرافي عند مصب البليخ في الفرات، ووقوعها على الطريق الذي يربط العراق مع بلاد الشام والجزيرة الفراتية كان سبباً مهماً لإزدهارها التجاري، حيث شكلت حلقة وصل تجارية بين هذه الأقاليم إلى جانب غناها بالعديد من المعادن والثروات المختلفة.

أ- أهم الأسواق في الرقة:

التجارة حرفة قديمة عرفتها المجتمعات منذ أن بدأت تنتج فائضاً عن حاجتها سواءً في الزراعة أو الصناعة ولعلّ المكان الأمثل لتبادل مثل هذه السلع الأسواق(1)، وأسواق الرقة لم تنته مهمتها عند عرض البضائع المتعددة بل كانت تمون الجيوش بكل ما يلزم في العصر الأموي ثّم العباسي أيضاً، حيث يمر فيها طريق الحرير حتى إنّ القائد الأموي مسلمة بن عبدالملك في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة 100هـ/ 718م موّن جيشاً كاملاً من أسواقها عندما حارب الخوارج في العراق(2)، واعتنى هشام بن عبد الملك بأسواقها، وسمي سوقه فيها بسوق العطارين، وعلى مايبدو إنّ أسواق الرقة كانت غنية بدكاكين العطارين، وقد أشار الشاعر الأموي الأخطل إلى ذلك بقوله:

إذا الرقةُ البيضاُء لاحتْ بروجُها فدى كلّ عطارٍ بها أم مريم.(3)

ومنذ انتقال الخلافة إلى العباسيين شعروا بأهمية الرقة لأنّها مركز ديار مضر من جهة،ولأنّها تسيطر على تخوم الشام من جهة أخرى، فكان عليهم الاحتفاظ بها، وتقوية نفوذهم فيها لذلك شرع المنصور ببناء مدينة الرافقة سنة155هـ/722م (4)، ولكنّ أهلها عارضوا ذلك لاسيما التجار منهم، وقالوا:" تعطل علينا أسواقنا، وتذهب بمعاشنا، وتضيق منازلنا" (5)، وقد تجنب المنصور القيام بأي عمل قد يؤدي إلى الإضرار بتجارة سكان الرقة(6)، ومع مرور الأيام تبين أنّ أهل الرقة كانوا محقين في رفضهم لبناء الرافقة فمع مرور الزمن امتلأت الضاحية بين الرافقة والرقة، فقرر واليها علي بن

---

(1) زيادة، نيقولا: التجارة، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد59، ص11-22، بيروت ،1404هـ/ 1983م، ص12، سيشار إليه لاحقاً: زيادة: التجارة.

(2) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص61.

(3) عياش: الرقة، ق1، ص36. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج2، ص61.

(4) الشعيبي: ربيعة الرّقي، ص42.

(5) الطبري: تاريخ، مج4، ص359.

(6) فّرا: الرقة، ص18.

سليمان بن علي نقل أسواق الرقة بما فيها سوق هشام العتيق وهو أكبرها إلى الرافقة[1]، كحل للنزاع الناشب بين سكان الرقة والرافقة في عهد الخليفة المهدي.[2]

ومن الأسواق التجارية التي ازدهرت في الرقة في العصر العباسي سوق الأحد الذي أصبح أهم أسواقها[3]، وفي عهد الرشيد تمتعت الرقة بوضع خاص تميزت من خلاله عن وضعها في جميع العصور، حيث أصبحت عاصمة للخلافة العباسية التي امتدت من المحيط الأطلسي غرباً إلى أواسط قارة أسيا شرقاً ولمدة ثلاثة عشر عاماً بين سنتي 180-193هـ/ 796-808م، وتتجاوز هذه المدة ما أقامه الرشيد في بغداد [4]، وقد وسع الرشيد المنطقة التجارية وأقام أسواق الحرف لخدمة الحاجات المتزايدة للقصر والحاشية والسكان[5]، فقد وفد الصناع من مختلف الأصقاع، ولكثرة المهن والصناعات والحرف حملت هذه الأسواق اسماء المهن التي زاولها الناس كسوق الوراقين، وسوق الصاغة، وسوق الحدادين والخزف[6] ، واستوعب سوق النخاسة في الرافقة بيع سبعة عشر ألف أسير دفعة واحدة جلبهم القائد حميد بن معيوف من سبايا قبرص تولى بيعهم القاضي البختري وفي عهد الرشيد قدمت جالية من الحرفيين من أهل حران فيهم المسلم والصابئ، وأقامت في حي من أحياء الرقة.[7]

ومما لاشكّ فيه أنّ موقع الرقة عند التقاء الفرات بالبليخ، بالإضافة لغنى أسواقها جعلها محطة للتجار القادمين ببضائعهم عبر وادي البليخ والفرات والمتجهين نحو بلاد مابين النهرين، وبذلك أصبحت محطة تجارية للقوافل المتجهة من بلاد الرافدين إلى بلاد الشام والبحر المتوسط وبالعكس، حيث كان التجار يزودون بكل ما يحتاجون إليه من أسواقها [8]، كما عبرت من خلالها القوافل التجارية القادمة من الجزيرة الفراتية عبر البليخ والمتجهة نحو دمشق[9]، كما أنّ نهر الفرات أصبح

---

(1) البلاذري: فتوح، ص203. شتورم: أهمية الرقة، ص137. حباب: تاريخ، ص387.

(2) فّرا: الرقة، ص18.

(3) عياش: الرقة، ق1، ص36.

(4) الحباب: الرقة، ص118.

(5) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص192.

(6) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص74.

(7) الطبري: تاريخ، مج4، ص677. ابن الأثير: الكامل، ص196. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج3، ص196. الشعيبي: ربيعة الرقي، ص45. حميدة: الرقة، ص46.

(8) فّرا: الرقة، ص12-13.

(9) فّرا: الرقة، ص19.

شرياناً للبضائع التجارية القادمة من سورية ومصر إلى بغداد كالحبوب والطحين، والزيت، والفواكه، حيث حملتها السفن إلى الأذبار ثّمنقلت من الأنبار إلى بغداد عبر قناة تدعى نهر عيسى، كما أقيمت الحوانيت في الرقة على ضفاف النهر، وتحولت بعض السفن في عرض النهر لسوق تجاري تبادل التجار فيه البضائع.[1]

ب- أهم السلع المتبادلة:

عند الحديث عن أهم السلع المتبادلة في الرقة يجب الانتباه لأمرين مهمين الأمر الأول: هو أنّ الرقة شكلت سوقاً تجارياً للمواد التي صنعت فيها أو نقلت إليها لتباع فيها، والأمر الثاني: هو أنّها شكلت حلقة وصل تجارية[2] بين مناطق الجزيرة الفراتية وإقليم أرمينية وبلاد الشام ومصر والعراق، فكانت تنقل عبرها البضائع إلى هذه الأقاليم، وقد فاض قسم كبير من منتجاتها فصدّر إلى البلدان المجاورة وخاصةً بغداد حيث شكّل العسل والزيتون والزيت أهم الصادرات إلى بغداد[3]، ومن السلع التي صدرتها الرقة الحبوب كالقمح والشعير والذرة، والرز، والفاصولياء، والعدس، والسمسم، بكميات كبيرة، وكذلك البقول كالحمص والسمسم، ومنتجات الحيوانات كالسمن والصوف، وأنواع من الحيوانات خاصةً الخيول إلى البلدان المجاورة [4]، وصدر منها الصابون والأقلام[5]، كما صدرت الدنان والأباريق والأكواب والكؤوس والجرار المصنوعة من الزجاج والخزف والفخار حيث أنتجت معاملها كميات كبيرة كانت تفيض عن الحاجة الاستهلاكية، وصدرت إلى المناطق المجاورة، كما زودت الجيوش المنطلقة لغزو الروم أو العائدة منه بالسلاح وأسرجة الخيول وألجمتها، وبالمواد النسيجية. [6]

---

(1) شتورم: أهمية الرقة، ص131-132.

(2) عندما تقوم ثورات أو حروب بين الدول فإنّ التجارة تتعطل، وتتوقف حركة الطرق التجارية ريثما يعود الأمن من جديد، زيادة: التجارة، ص12.

(3) شتورم: أهمية الرقة، ص133.

(4) الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، المطبعة المارونية، حلب، د.ت، ص554، سيشار إليه لاحقاً: الغزي: نهرالذهب. شميساني، حسن: ماردين من الفتح العربي حتى سنة 921هـ/1515م، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ/1987م، ص315، سيشارإليه لاحقاً: شميساني: ماردين.

Niebuhr,C:voyag en arabie eter en d’autres pays circonvoisins,p320,j.j.Besselingautriche 1976-1980.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص145.

(6) عياش: الرقة، ق2، ص2- 3.

كما استقبلت مواد صدرت إليها من أسواق المدن المجاورة لها، فكان يرد إليها من الموصل الحبوب والعسل، والنمسكود[1]، والفحم، والشحوم، والجبن، والسماق، وحب الرمان، والحديد، والسكاكين، والنشاب والطريخ[2]، وورد من سنجار فرك اللوز، وحب الرمان، والقصب، والسماق، ومن نصيبين الشاه بلوط، والفواكه المقددة والموازين[3]، وورد من حران القبيط[4]، وعسل النحل، والقطن، والموازين، ومن جزيرة ابن عمر الجوز، واللوز والسمن، والخيل الجياد التي تربى في مراعيها، ومن الحسنية[5] الجبن، وفراخ الدجاج، والفواكه المقددة، والزبيب، ومن معلثايا[6] الألبان، والفحم والأعناب، والفواكه الرطبة، والقنب، والنمسكود، ومن بلد اللبأ[7] في القدور، ومن الرحبة السفرجل، ومن آمد ثياب الصوف والكتان، إلى جانب ماورد إليها من الأغنام، والطيور، والدجاج وغيرها[8]، ومن ماردين الأبقار والأغنام والماعز والجمال والخيول والبغال والحمير بالإضافة للطيور والألبان والأجبان واللحوم الجلود والصوف وشعر الوبر وغير ذلك[9]، وورد من مصر الحبوب، والطحين، والبضائع التجارية المختلفة، وقد اختير موقع الرقة لأنّ مياه الفرات لاتجمد عنده في الشتاء، حيث يمكن نقل البضائع عبر الفرات إلى بغداد.[10]

وفي أيام هارون الرشيد ورد إلى الرقة عصير الأثمار، حيث كانت توضع في زقاق أو جرار وتغلق، وتنقل إلى قصور الرشيد في الرقة من الأقاليم المنتجة لها، وقد أحبّ الرشيد شربه في أيام

---

(1) النمسكود: وردت أيضاً المكسود، وهو نوع من اللحم المملح، لسترنج: بلدان، ص157. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص145.

(2) الطريخ: سمك صغار يعالج بالملح، لسترنج: بلدان، ص157.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص145.

(4) القبيط: نوع من الحلويات، لسترنج: بلدان، ص157.

(5) الحسنية: بلدة من أعمال الجزيرة تقع بالقرب من الموصل. الحموي: معجم البلدان،ج2، ص260.

(6) معلثايا: بلدة من أعمال الجزيرة قرب جزيرة ابن عمر، من نواحي الموصل. الحموي: معجم البلدان، ج5، ص158.

(7) اللبأ: هو أول اللبن في النتاج عند الولادة، وأكثر مايكون ثلاث حلبات، وأقله حلبة. ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص150.

(8) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص145. ابن شداد: الأعلاق، ج1، ص44.

(9) شميساني: ماردين، ص315-316.

(10) شتورم: أهمية الرقة، ص131-132.

الصيف مع الماء البارد [1]، وقد قدر المنصور نفسه أثر العامل الاقتصادي للرقة عندما قال: "هذا الفرات تأتي من خلاله السلع من الشام والرقة وما حول ذلك من ديار مضر والثغور".[2]

وّمما تقدم يمكن الوقوف على مدى أهمية الرقة كمنطقة لإنتاج معظم المواد التجارية، وممر لمعظم المواد بين الأقاليم المختلفة.

ج- الطرق التجارية:

لاشكّ أنّ هناك الكثير من الطرق التجارية البرية منها والنهرية في الجزيرة الفراتية التي ساهمت في انتعاش الحركة التجارية فيها، وتنشيطها سواء داخل الجزيرة أو خارجها [3]، ومن خلال استعراض الطرق الجغرافية عند المقدسي وابن خرداذبة يمكن القول: إنّ الرقة شكلت حلقة اتصال تجارية بين الشرق والغرب والشمال والجنوب(الملحق7)، وأهمها:

- طريق يبدأ من بغداد إلى الموصل ثّم يتجه نحو إقليم الجزيرة فيدخلها عند تكريت إلى بلد وينقسم إلى طريقين، طريق يصل إلى قرقيسياء على الفرات ماراً بسنجار، وطريق يتجه نحو كفر توثا ماراً بنصيبين، ويتفرع من نصيبين إلى فرع يتجه إلى آمد، وآخر يتجه إلى الرقة ماراً برأس العين.[4]
- طريق تجاري آخر من بغداد يحاذي الفرات ماراً بعانة، حيث ينقسم عند الفرضة إلى طريقين: أحدهما يحاذي الفرات صاعداً إلى قرقيسياء مسايراً يمين النهر حتى يصل إلى الرقة، وأّما الطريق الثاني فيتجه على يسار النهر قاطعاً البادية حيث يمر بالرصافة، ويتفرع منه فرع إلى الرقة، ويشتهر بكثرة المخاضات، فيطلق عليه اسم طريق الفراض.[5]
- طريق يبدأ من آمد وينتهي في الرقة مروراً بتلعفر ثّم الرها، فحران. [6]
- طريق يبدأ من الرقة إلى منطقة الثغور ماراً بعين الرومية، ثّم إلى سروج ثّم إلى ملطية، ومنها إلى زبطرة، ثّم إلى مرعش. [7]

---

(1) الجومرد: هارون، ص237.

(2) الطبري: تاريخ، مج4، ص397.

(3) سينو: الحياة السياسية، ص209.

(4) ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص129. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص149. لسترنج: بلدان، ص157-158.

(5) لسترنج: بلدان، ص158. فّرا: الرقة، ص19.

(6) ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص132.

(7) ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص133.

– طريق يبدأ من الرقة وينتهي إلى الساحل ماراً بمنبج، وحلب، وأنطاكية، واللاذقية، ثم بيروت، والقدس، وقيسارية.[1]

– طريق من الرقة إلى حمص ودمشق عبر الرصافة مروراً بسلمية، والنبك، والقطيفة.[2]

وعند انتقال الأسواق من الرقة إلى الرافقة، وفدت إليها القوافل من بلاد الشام عبر تدمر والبادية حتى حطت رحالها تحت أسوارها[3]، ومن الجدير ذكره أنّ الأنهار شغلت دوراً تجارياً فعالاً خاصةً الفرات حيث حملت السفن عبره البضائع التجارية من الرقة إلى الأنبار وحملت إلى بغداد عبر قناة تعرف بنهر عيسى كانت تربط الفرات بدجلة، وقد أكّد اليعقوبي ذلك بقوله: ولديهم نهر عيسى الآتي من الفرات، والذي تمخر عبابه السفن الآتية من الرقة محملة بالطحين والبضائع المجلوبة من سورية ومصر، وتصل البضائع إلى مرفأ قامت فيه الأسواق وحوانيت الصناع بحيث لايضيع أي وقت من السنة، وهذا يعني أنّ الطريق النهري هذا كان صالحاً للملاحة طيلة أيام السنة، ولا يتوقف النقل فيه أبداً، كما استخدم هذا النهر لنقل الأشخاص والحشود فالخليفة المتقي الذي كان يعيش في الرقة استعمل السفن الفراتية في طريق العودة مع حاشيته إلى بغداد.[4]

4- النقد في الرقة

ازدهرت صناعة ضرب النقود(سكها) في الرقة لاسيما بعد أن نقل الرشيد ثقل الدولة العباسية من بغداد إليها[5]، حيث سكت الدراهم الفضية[6] والدنانير الذهبية[7] وينسب إلى هذه المهنة أبو العباس أحمد بن محمد بن سالم الضراب الرقي[8]، وضربت النقود الفضية والذهبية في الرافقة بعد أن بنيت، فالدرهم الأول الذي يعد نادراً ضرب في سنة 183هـ/799م ،حيث يوجد منه نموذج واحد فقط مكتمل محفوظ في جامعة توبهنغن Tuebhnjen في ألمانيا ويوجد منه جزء يقارب النصف في متحف ستوكهولم Stockholm كتب عليه بشكل مقلوب مايلي: محمد رسول الله، أمر به أمير المؤمنين عبدالله المأمون جعفر، وقد ضربت هذه العملة الاستثنائية بمناسبة تأدية الخليفة المأمون

---

(1) اين خرداذبة: المسالك والممالك، ص135.

(2) ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص 136.

(3) صونيا: الرقة، ص19.

(4) شتورم: أهمية الرقة، ص131–132.

(5) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص83.

(6) يزن الدرهم الفضي في الحقبة مجال البحث من العصر العباسي 2.97 غ. كاهن: تاريخ، ص97.

(7) يزن الدينار الذهبي في الحقبة مجال البحث من العصر العباسي4.25غ. كاهن: تاريخ، ص97.

(8) حباب: تاريخ، ص238.

قسم البيعة كوريث للخلافة العباسية (الملحق17)، فعندما عاد الرشيد من الحج سنة 183هـ/799م إلى مقر إقامته في الرقة عين ابنه المأمون ولياً للعهد من بعد ابنه الأمين الذي سبق أن عينه ولياً للعهد سنة 175هـ/791م، ومع ازدياد عدد سكان المدينة الآخذ بالنمو دعت الحاجة هارون الرشيد لضرب عملة نحاسية لسد حاجة الأسواق، وعين القاضي عيسى بن عبان ت.221هـ/836م كمؤتمن عليها، وهو ابن عبان الذي كان يعد المستشار القانوني لهارون الرشيد حيث كان من التلاميذ النجباء لمحمد بن الحسن الشيباني ت. 187هـ أو 189هـ/802 أو 804م، و مما يثبت صحة هذه المعلومة(أنّ عيسى بن عبان هو المشرف على سك النقود) وجود نقدين من النحاس كتب عليهما ألا ياداعي عيسى بن عبان، ولّما كانت النقود النحاسية تعد النقود الأكثر أهمية، وكانت تعبر عن عاصمة الدولة وسلطتها وقوتها لذلك صممت بشكل يشبه الدرهم،

وبالحجم نفسه، ومنقوشة بالخط الكوفي ولها مظهر ذهبي [1]، وبعد عهد الرشيد تّم تداول عدة نماذج من النقود النحاسية حتى إنّه كان يوجد نماذج غير رسمية، وفي القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي سيطرت عملة نحاسية يمكن تمييزها بصعوبة وهي على شكل مثمن يكاد لا يشاهد عليها آثار الضرب الناتج عن التصنيع، وهذا يدل على التضخم المالي في الدولة، وقد تم العثور على نسخ منها أثناء التنقيب في منطقة القصور، كما واستخدم النقد الفضي حتى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.[2]

ثانياً: الحياة الاجتماعية في الرقة :

1- الأقوام والقبائل التي استوطنت في الرقة:

توفرت في الجزيرة الفراتية أسباب مناسبة للاستقرار، فكانت مركزاً للتجمع البشري منذ العصور الحجرية القديمة، وموطناً لحضارات متتالية تركت آثارها على أرضها[3]، وقد هاجرت إليها عدة قبائل عربية منذ حقبة ماقبل الإسلام فاستوطنت ربيعة في الجزء الشرقي من الجزيرة الفراتية من جهة العراق، واستوطنت مضر في الجزء الغربي، أّما بكر فاستوطنت في الجزء الشمالي، وصارت تدعى هذه الأقسام بأسماء هذه القبائل[4]، وعلى هذا فإنّ مضر استقرت في الرقة والمناطق المجاورة لها، ومن الجدير ذكره أنّ القبائل العربية لم تهاجر دفعة واحدة ولم تستقر في مكان محدد بل كانت دائماً

(1) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص193.

(2) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص197.

(3) حميدة: الرقة، ص36.

(4) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص137.

تتمازج مع بعضها البعض، كما أنّ تيار الهجرة لم ينقطع بل استمرت الهجرات دون انقطاع في العصر العباسي والعصور التي تلته.[1]

ففي العصر العباسي استقبلت المنطقة جماعات من العرب والعجم، فهناك بنو سليم وقريش، وعاش فيها عدد من الأمراء العباسيين القرشيين مثل عبدالملك بن صالح بن علي الهاشمي، والعباس بن محمد الذي اتخذّ الرقة مقراً له، والحسن بن محمد الرافقي، ومن العجم جماعات جاءت إلى الرافقة وقت بنائها من قبل المهدي، وطلاب العلم والتجار، والشعراء الراغبين في عطاء الخليفة هارون الرشيد والأمراء، كما وجد في الرقة مجموعة كبيرة من المسيحيين السريان، ومعظمهم من اليعاقبة القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح[2]، وتحولت الرقة إلى أسقفية، وفي جوارها دير زكى الذي قصده المسيحيون من مختلف أنحاء الجزيرة الفراتية للزيارة والتعبد، حتى أنّه أقام فيه أكثر من مائتي راهب.[3]

2- لغة السكان في الرقة:

لقد تغيرت اللغة بحسب السكان الذين يسكنون الرقة، أوحسب الدولة التي فرضت هيمنتها عليها، فهي رومية(لاتينية) أو بيزنطية(اغريقية بيزنطية) أو فارسية بالإضافة للغة المحلية[4] الأرامية (الكلدانية والسريانية)، التي ظلت لغة متداولة في الجزيرة الفراتية، وبعض المناطق المجاورة كلغة محلية، ولغة الكتابة خلال قرون طويلة حتى ما بعد الفتح العربي الإسلامي، فقد كتب الرسول بولس باليونانية، وخاطب رسله جماهيرهم المؤمنة في بلاد الشام والعراق بالسريانية.[5]

ومع بداية تسرب القبائل العربية إلى الجزيرة الفراتية بدأت تنتشر اللغة العربية حيث استقرت مضر في المنطقة الغربية وجعلت الرقة مركزاً لها[6]، وبدأت تتقلص وتنحسر السريانية لتصبح لغة محلية تلتزم الأرياف والأديرة[7]، فانتشرت العربية في البوادي والجزيرة الفراتية، ومما جاء في سيرة

---

(1) سبق دراسة هجرة القبائل العربية إلى الرقة في الفصل الأول في فقرة السكان ص27-28.

(2) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص92. العاني: شعر، ص14. عياش: حضارة، ص240.

(3) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص96.

(4) خماش: الشام في عهد الإسلام، ص45.

(5) خريطلي، شكران: دور السريان في نقل أخبار العرب قبل الإسلام، أعمال المؤتمر التاسع للتراث السرياني، مركز الدراسات للأبحاث المشرقية، انطلياس،1426هـ/ 2005م، ص67، سيشار إليه لاحقاً: خربطلي: دور السريان. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج3، ص161.

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص137.

(7) الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، ص554.

القديس سمعان العمودي 389-451م أنه كان يعظ مستمعيه من العرب بالعربية، ويدون رسائله باليونانية، ويفسر آيات الإنجيل المقدس بالسريانية.[1]

ومع بداية الفتح الإسلامي للرقة سنة17هـ/638م[2]، تعززت اللغة العربية حيث قام والي الجزيرة سعيد بن عامر بن حذيم بعد وفاة عياض ببناء مسجد الرقة، ومسجد الرها، وبعد وفاته تابع والي الجزيرة عمير بن سعد بناء المساجد في ديار مضر وربيعة [3]، حيث ساهمت هذه المساجد في نشر اللغة العربية من خلال حلقات التعليم، ونشر الدين الإسلامي الذي تناقلته الألسن باللغة العربية كونها لغة القرآن الكريم [4]، وقد خرّجت هذه المدارس الآلاف من العلماء والنحاة والأدباء والشعراء، فالمسجد الجامع كان داراً للحديث، ومنتدى فقهياً وأدبياً يجتمع فيه العلماء والأدباء يتدارسون و يتناشدون الأشعار، ويتداولون العلم، وبقيت آثاره حتى الانتداب الفرنسي حيث هدمت مئذنته التي تسمى المنيطر، وفيها مسجد وابصة بن معبد الأسدي ت. 60هـ/680م، حيث ولي قضاء الرقة، وكان يحدث في مسجد الرقة، ومسجد الجنائز، ومسجد ابن الصباح، وقد ذكر في أحسن التقاسيم باسم الصاغة، ومسجد قريش نسبةً إلى رجل بناه، ومسجد الرماح، ومسجد العمودين[5] ، وتعززت اللغة العربية باستمرار هجرة القبائل العربية في العصر الراشدي والأموي والعباسي[6]، كما نقلت هذه القبائل معها لهجاتها فأدخلت حروفاً جديدة، وأبدلت حروفاً بحروفٍ أخرى، ودمجت حرفين بحرف واحد، فقد قلبت ربيعة، ومضر، وتميم، وبكر بن وائل الكاف سيناً كقولهم في أعطيتك: أعطيتس، وما يزال بدو الفرات حتى الآن ينطقون كأجدادهم فيلفظون عيناك: عيناج، وجيدك: جيدج، بينما بقيت قريش محافظة على لهجتها المحلية التي نزل بها القرآن الكريم[7]، وإلى جانب اللغة العربية وجدت لغات أخرى في الرقة، فالخليفة المنصور أسكن الرافقة مجموعات من الجنود الخراسانيون[8] الذين حملوا لغتهم المحلية كما أنّ كثيراً من الأقوام غير العربية بدأت تتقن اللغة العربية بعد اعتناقها

---

(1) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج3، ص166.

(2) الواقدي: فتوح، ج1، ص348. البلاذري: فتوح، ص196-198.

(3) البلاذري: فتوح، ج2، ص202. الزوقنيني: تاريخ، ص69.

(4) الباحث.

(5) الشعيبي: ربيعة الرّقي، ص52 -54.

(6) البلاذري: فتوح، ص202.

(7) شوحان، أحمد: الجزيرة التراث الحضاري والعلاقات المتبادلة، وثائق الآثار السورية، وزارة الثقافة، دمشق، 1417هـ/1996م، ص122 سيشار إليه لاحقاً: شوحان: الجزيرة.

(8) البلاذري: فتوح، ص205. القاسم: الرقة، ص20. لسترنج: بلدان، ص132.

الإسلام بغية الحصول على بعض الامتيازات الإدارية والسياسية فيالدولة أسوةً بالعرب خاصةً بعد تعريب دواوين الدولة[1]، وبعد قدوم الرشيد إلى الرقة اشتغل العلماء بضبط اللغة العربية، وجمع ألفاظها، وأخبار الناطقين بها وأسفارهم، وأنسابهم.[2]

3- الشرائح الاجتماعية[3]:

عند الحديث عن الشرائح الاجتماعية في الرقة خلال الحقبة مجال البحث يمكن تقسيم المجتمع على أساس الدين إلى شريحتين كبيرتين: الأولى المسلمون، والثانية غير المسلمين (أهل الذمة).[4]

أ-المسلمون:

ولم تبق أوضاعهم في العصر العباسي على حالها بل تطورت حتى بلغت في بعض الشرائح درجة عالية من البذخ، والرفاهية واللهو، والرقي، وعلى الرغم من ذلك كان الثراء أو الغنى هو المعيار أو المقياس الاجتماعي الأمثل، وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم المسلمون في المجتمع الرّقي إلى شريحتين كبيرتين: الشريحة الخاصة أو الأرستقراطية التي شملت الولاة والقادة، وهي شريحة مترفة[5]، ويأتي في قمة هذه الشريحة الاجتماعية الخليفة الذي يتمثل بشخص هارون الرشيد عندما اتخذ الرقةوطناً ومركزاً للخلافة حيث سكنها مع أسرته وأقربائه، وحاشيته[6]، وهذا استثناء في بلاد الشام في العصر العباسي لم نجده إلا في الرقة، حيث جاء على رأس الهرم الاجتماعي في بعض المناطق الوالي أو قائد الجيش[7]، وقد تمتعت هذه الشريحة بإمكانات مادية

---

(1) سينو: الحياة السياسية، ص231.

(2) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج3، ص82.

(3) يقسم الزوقنيني: المجتمع في بلاد مابين النهرين إلى أربع شرائح إجتماعية، وهي: المعدمون: وشكلوا شريحة كبيرة من المجتع يمكن تسميتهم عمال الزراعة الذين لايملكون الأرض، ثّم الفلاحون: وهم الشريحة التي تأتي فوق الشريحة الأولى ويمتلكون الأرض، والشريحة المتوسطة: التي ينتمي إليها المؤرخ، وقد أولاها اهتماماً كبيراً، وأخيراً شريحة الأثرياء: التي تمثل رؤساء البلاد والموسورين، وبقية موظفي الدولة. الزوقنيني: تاريخ، ص35.

(4) الباحث.

(5) علي، أحمد اسماعيل: تاريخ بلاد الشام دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية عسكرية، دار دمشق، ط1، = = دمشق، 1405هـ /1984م، ص158، سيشار إليه لاحقاً: علي: تاريخ بلاد الشام.

(6) الجومرد: هارون، ص131

(7) علي: تاريخ بلاد الشام، ص158.

كبيرة نتيجة تقاضي أفرادها رواتب كبيرة، وتمتعت أيضاً بنفوذ كبير نتيجة تكليف الدولة لها بمهام رسمية معينة في الجزيرة الفراتية، لذلك فقد كان أفرادها في مستوى معاشي واقتصادي أفضل بكثير من سائر فئات المجتمع الأخرى من حيث المسكن واللباس، والطعام، وكل الأمور التي تسهل سبل الحياة.[1]

أمّا الشريحة العامة، وهي سواد الشعب فضمت صغار الفلاحين والمزارعين في الأرياف، وأصحاب المهن والحرف، فتوفر لها عيش رخيص ومقبول، يتفاوت حسب المكان والزمان وفقاً للحالة السياسية واستقرارها، وفي معظم الأحيان عانى أفراد هذه الطبقة من وطأة الديون والرسوم التي فرضها عليهم الحكام، بالإضافة للأحكام الجائرة التي أوقعها عليهم كبار القوم.[2]

ويمكن إضافة شريحة ثالثة إلى هذا التصنيف الاجتماعي، وهي شريحة التجار الذين أصبحوا حملة لواء الحضارة الإسلامية، وسواء ارتفعت مكانة التاجر إلى القمة أو انخفضت فإنّ التاجر الكبير ظلّ محور هذا المجتمع طيلة الحكم العباسي[3]، وفي مستواها جنباً إلى جنب الأطباء والكتاب والعلماء والمغنون والشعراء، وكبار ملاكي الأرض في الرقة[4]، فالطبيب جبريل كان أول من يدخل على الرشيد، وهو أول من يتحدث معه عن حالته الصحية وطعامه وشرابه، حتى إنّه كان مستشاراً له عن أحوال العامة وأخبارهم، فيخبره مايعلم به[5]، وكذلك ربيعة الرّقي الذي اتصل بالمهدي حين جاء مرسلاً من قبل أبيه المنصور لبناء الرافقة سنة 155هـ/771م، ثّم اتصل مع الرشيد، وأصبح من ندمائه، حيث كان مهتماً بنفسه لايحرمها اللذات ينفق على نفسه وأقرانه، ويلبس أفخر الثياب، ويتخذ الزينة،ويدعي أنّه فتنة للأمم والنساء[6]، وكذلك منصور النمري الذي استقدمه الفضل بن يحيى من الجزيرة ثّم وصله بالخليفة هارون الرشيد، فمدحه، ونال جوائزه وعطاياه[7]، وإلى جانب هذا النسيج الاجتماعي فقد أسكنّ المنصور جماعة من الخراسانيين الرافقة لأغراض سياسية وعسكرية.[8]

---

[1] الزوقنيني: تاريخ، ص35.سينو: الحياة السياسية، ص242-243.

[2] علي: تاريخ بلاد الشام، ص158-159.

[3] حباب: تاريخ، ص284.

[4] سينو: الحياة السياسية، ص243. علي: تاريخ بلاد الشام، ص158.

[5] الجومرد: هارون، ص447.

[6] الشعيبي: ربيعة الرّقي، ص59-190-195

[7] الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص223.

[8] البلاذري: فتوح، ص205. لسترنج: بلدان، ص132. القاسم: الرقة، ص20

وقد شكل الرقيق شريحة كبيرة من شرائح المجتمع في العصر العباسي، حيث ساد اتخاذ الرقيق بشكل كبير[1]، وازداد عددهم فكانوا فئات متفاوتة الكفاءات، حيث استخدموا في شتى الأعمال، فمنهم عبيد للأبهة حيث استخدمهم سيدهم للمتعة والتباهي بهم، وكان بعضهم خدماً، بينما كان البعض الآخر يقوم بأعمال تتطلب خبرةً واختصاصاً[2]، وقد حظي كثير من العبيد والإماء باحترام الخلفاء بدليل أنّ كثيراً من أمهات الخلفاء كنّ إماءً ورقيقاً، وقد فضّل بعض الخلفاء وكبار رجال الدولة الإماء من غير العرب على الحرائر العربيات[3]، حتى إنّ الرشيد كان يجد وجداً شديداً بجارية تدعى ماردة، فجلس ذات مرة في قصر الخشب، وقال شعراً من أجلها:

سلامٌ على النازحِ المغتربِ   تحيةُ حبٍ به مكتئبِ
غزالٌ مراتعه في البليخِ   إلى ديرِ زكّى وقصرِ الخشبِ
أيا منْ أعانَ على نفسهِ   بتخليفهِ طائعاً منْ أحب
سأسترُ والسترُ منْ شيمتِي   هوى منْ أحبُّ لمنْ لا يحب[4]

ب- أهل الذمة:

وإلى جانب المسلمين الذين عاشوا في الرقة، وجد عدد من أهل الذمة (المسيحيين)، فعندما قدم عياض بن غنم أمنّهم على كنائسهم وذراريهم [5]، ومارسوا أعمالاً ومهناً مختلفة، وخاصةً الزراعة[6]، وقد نال المسيحيون حظوة كبيرة واحتراماً بالغاً عند الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين [7]، حيث اعتمد الخلفاء العباسيين عليهم في شتى المجالات ومرافق الدولة لإخلاصهم، وحسن إداراتهم، فقد انتدب المأمون المؤرخ ماردينيسيوس التلمحري [8]، في سنة 231هـ/845م بمهمة سياسية إذ أرسله

---

(1) حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص326.

(2) علي: تاريخ بلاد الشام، ص160.

(3) حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص326.

(4) الحموي: معجم البلدان، ج2، ص513.

(5) البلاذري: فتوح، ص196-198. الحموي: معجم البلدان، ج3، ص59.

(6) الحمد: ماردينيسيوس، ص200.

(7) ساكا: السريان، ص197.

(8) ماردينيسيوس التلمحري: ينسب إلى قرية تل محرى على نهر البليخ القريبة من الرقة ذكرها ياقوت الحموي بقوله: سقى الله البليخ وتل محرى   وباجروان قارعة الطريق، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص43. الزوقنيني: تاريخ، ص23. الحمد: ماردينيسيوس، ص200.

إلى مصر لحل مشكلة، فجاء بنتيجة جيدة[1]، وكذلك اعتمد الخلفاء العباسيون على الأطباء المسيحيين أمثال بختشيوع بن جورجيوس وابنه جبريل ويوحنا بن ماسوية وغيرهم[2]، ويؤثرعن بعض الخلفاء العباسيين أنّهم كانوا يزورون أديرة النصارى، فيستقبلهم الرهبان بكل ترحيب وإجلال، وقد نزل يوماً هارون الرشيد بدير زكّى الذائع الصيت والواقع على ضفة البليخ، فبّر أهله، وقد أسهبت كتب التاريخ في صفحاتها في ذكر العلاقة الودية والاجتماعية بين الطرفين.[3]

4- العادات والتقاليد الاجتماعية في الرقة:

سكنت الرقة كغيرها من بقاع الدولة من المسلمين، وأهل الذمة، وكثيراً ما ارتبطت العادات ارتباطاً وثيقاً بالدين، فاحتفل المسلمون بالأعياد لاسيما عيد الفطر، وعيد الأضحى، فالخليفة يؤم الناس في صلاة العيد، ثّم يلقي عليهم خطبة فضائل العيد، وما يجب على المسلمين اتباعه للمحافظة على شعائر الإسلام، وفي ليالي العيد تتعالى أصوات المسلمين بالتهليل والتكبير، وتزدحم الأنهار بالزوارق المزينة بأبهى الزينات، وتسطع على جوانبها أنوار القناديل، وتتلألأ الأنوار الساطعة من قصور الخلافة، وقد لبست الجماهير الطيالس[4]السود تشبهاً بالخلفاء العباسيين.[5]

ومن العادات والتقاليد المتعارف عليها في الرقة أنّ هارون الرشيد كان يجلس للشعراء طيلة أيام العيد، ويسمع مدائحهم وأشعارهم، ويجزل لهم العطاء، ومن الأشعار التي قالها أشجع السلمي في أول عيد للفطر عندما قدم الرقة بعد غزو هرقلة:

لازلتَ تنشُر أعياداً وتطويها   تمضي بها لكَ أيّام وتثنيها
مستقبلاً زينةَ الدنيا وبهجتَها   أيامُنا لكَ لاتفنى وتفنيها[6]

وإلى جانب المسلمين عاش أهل الذمة من المسيحيين، ونالوا الإحترام وحسن المعاملة من المسلمين، ومارسوا طقوسهم الدينية في دير زكّى، حيث أنشد الرهبان التراتيل في الاحتفالات

---

(1) ساكا: السريان، ص198.

(2) ابن العبري: تاريخ، ص130-131.

(3) ساكا: السريان، ص199. حميدة: الرقة، ص39.

(4) الطيلسان: هو كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ، والعلماء، وهو من لباس العجم، وقيل: أنّه نسيج من الحرير لونه أسود. مجموعة من المؤلفين: القاموس الجديد الألفبائي، راجعه ونقحه: الجيلاني بن الحاج يحيى، تونس، بيروت، الأطلسية، الأهلية، 1317هـ/1997م، ص496، سيشار إليه لاحقاً: مجموعة من المؤلفين: القاموس الجديد. مجموعة من المؤلفين: المعجم الوسيط، ج1، ص561.

(5) حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص354-355.

(6) الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص254.

الدينية[1]، ووصف الشاعرأبو الهيذام خروج الزائرين إلى دير زكى ومهرجاناتهم التي يقيمونها حول الدير في مواسم أعيادهم، وإقبال المسلمين على الدير يشهدون هذه المهرجانات، كما يصف عبثه في ذلك اليوم الذي أتيح له في ذلك المشهد، كما أكّد أنّ معظم الزائرين المسلمين كانوا من مدن ديار مضر خاصةً من حران[2]، ولعل ذلك نتيجة صلات القرابة بين مدن ديار مضر، ولعلهم قصدوا هذا الدير لأّنه أحسن الأبيار موقعاً وأنزهها موضعاً، وكان الملوك ينزلونه إذا اجتازوا به، وأقاموا فيه لأّنه يجتمع فيه كل ما يريدونه من عمارته، ونفاسة أبنيته، وطيب الموضع الذي هو فيه، حيث وجدت حوله الغزلان والأرانب وما شاكل ذلك، ومما يصطاد من الطيور، وصيد السمك، فهو جامع لكل ماتريده الملوك والمارة خاصةً في الربيع فإنّله في ذلك الوقت منظراً عجيباً، وأشهر من نزله الخليفة هارون الرشيد، ونزله عبد الله بن طاهر، ومعه أخ له فشربا فيه أياماً، وخرجا إلى مصر فمات أخوه في مصر، وعاد فنزل هذا الدير فقال:

أيا سروتَّي بستانِ زكّى سلمتُما ومنْ لكما أنْ تسلَما بضمانِ

ويا سروتَّي بستانِ زكّى سلمتُما وغالَ ابنَ أّمي نائبُ الحدثانِ[3]

وقد مارس هذا الدير مهمات اجتماعية ودينية، كتهذيب الأخلاق حيث قدم للمسيحيين النصح بكلمات الوعظ وغيرها[4]، ونشر الإنجيل والدفاع عن مبادئ العقيدة المسيحية، وكذلك نشر العلم والثقافة.[5]

وقد عاشت الطوائف الدينية منفصلة عن بعضها البعض تمام الانفصال مندمجة مع المسلمين، مع العلم أّنهم كانو يرغبون بالعيش مجتمعين مع بعضهم، فلا يجوز للمسيحي أن يتهود، ولا لليهودي أن يتنصر، واقتصر تغير الدين على الدخول في الإسلام، ولا يمكن للنصراني أن يرث

---

(1) الشابشتي: الديارات، ص49–218. ساكا: السريان،ص198.

(2) عياش: حضارة، ص243–244.

(3) الشابشتي: الديارات، ص218.ساكا: السريان، ص199 . حميدة: الرقة، ص39.

(4) من النصائح التي تقدم في مخافة الله: لايوجد ماهو أفضل من خشية الله، فطوبى لمن أحبها، فقد أحبها يوسف البار، فعقد له التاج على مصر، وأحبها موسى العظيم، ففلق البحر بعصاه، وتعشقها أطفال حنانيا فأنقذتهم من أتون النار، إّنها لأشهى من الذهب، وأحلى من الشهد، فطوبى لمن أحبها، ومن النصائح: أّنه من يضحك=

= في أثناء الصلاة ويتكلم خلال العبادة، فقد أغضب الله. مجموعة من المؤلفين: منتخبات من الأدب السرياني، ترجمها ونقلها من السريانية إلى العربية: أغناطيوس يعقوب الثالث، دمشق، 1389هـ/1969م، ص20–38، سيشار إليه لاحقاً: مجموعة من المؤلفين: منتخبات .

(5) ساكا: السريان، ص206–208.

المسلم ولا يحق للمسلم أن يرث غير المسلم [1]، ولم يكن ثمة زواج بين المسلمين وغير المسلمين، وذلك لأنّ القانون المسيحي لم يجز للمرأة المسيحية أن تتزوج بغير مسيحي لئلا تنتقل هي وأولادها إلى غير دينها، كما كان لا يجوز للمسيحي بحسب قانون الكنيسة أن يتزوج بغير مسيحية إلا بشرط إدخالها هي وأولادها الدين المسيحي، أمّا زواج المسيحي من المسلمة فكان أمراً مستحيلاً.[2]

وحددت لقصور الرشيد في الرقة خاصةً قصر السلام رسوم خاصة وأنظمة دقيقة في توزيع الخدمات، وتحديد صلاحيات القائمين على إدارة شؤونه، وتهيئة الاجتماعات، وعقد المجالس بأمر الخليفة، وتحضير المواكب التي يسير فيها إلى جانب أنظمة أخرى متبعة مثل استقبال الوافدين وإجلالهم بحسب المراتب، وعلى الهيئة واللباس لدى المثول أمام أمير المؤمنين، وعلى أدب المناقشة بحضوره، وأول ما يصادف الداخل إلى القصر فرقة من الحرس لبست ثياباً مزركشة يحمل أفرادها السيوف والرماح مهمتها حفظ الأمن، وحراسة شخص الخليفة، ومراقبة الداخل والخارج[3]، كما عقد الرشيد في قصر السلام المجالس الإدارية والعسكرية، والمجالس الخاصة، ومجالس السمر، ومجالس الطب وغيرها من المجالس [4]، وسمع الغناء والموسيقى، وكان يأمر بوضع ستار بينه وبين المطربين، وأثناء تجديد البيعة بالخلافة أو تعيين ولي عهد كانت تجري في الرقة طقوس خاصة، ففي سنة 182هـ/798م جمع الرشيد كبار مشايخ بني هاشم وكبار رجالات الدولة وقادتها وأجريت المراسيم في تجديد البيعة له وبولاية العهد لابنه محمد الأمين، والثانية لابنه عبدالله المأمون.[5]

وكان للنساء الهاشميات حياتهن الخاصة داخل القصور، التي اتسمت بالترف والبذخ،حيث شاع استعمال الأواني المصنوعة من الذهب والفضة والتزين بأثمن الجواهر.[6]

أمّا **أوقات الفراغ** فكان عامة الناس فكانوا يقضونها في سماع الحكايات القصيرة من النوادر الهزلية والأحاديث التي يتجلى فيها الذكاء والفطنة، كما كانوا يتلهون في داخل المنازل بلعبة الشطرنج التي أدخلها الرشيد، وانتشرت بين العرب[7]، وقسم آخر قصدوا المساجد لطلب العلم فالمسجد الجامع

---

(1) حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص325.

(2) سينو : الحياة السياسية، ص77.

(3) الجومرد: هارون، ص240–241. حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص248–249.

(4) الجومرد: هارون، ص244–258. الجوابرة: موسوعة، ج1، ص240.

(5) الطبري: تاريخ، مج4، ص650. المقريزي: المنتقى من المقفى، ص200–207. ابن العبري: تاريخ، ص129. المؤرخ المجهول: تاريخ، ج2، ص19. الجومرد: هارون، ص243–252.

(6) الجومرد: هارون، ص197.

(7) حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص362.

كان داراً للأحاديث، ومنتدى للفقه والأدب، يجتمع فيه العلماء يتدارسون، ويتناشدون الأشعار، ويتداولون العلم .[1]

وتعددت **الهوايات** في الرقة، فقد أصبحت هذه المدينة مركزاً لتوليد الخيل العتاق وجيادها، وتربيتها وتمرينها حيث امتلك الرشيد منها عدداً كبيراً، وخصصت لها الحقول الخضراء، وأشرف على تربيتها المئات من الاختصاصيين العرب الذين لهم خبرة ودراية في تربية الخيل، ولهم من بيت المال نصيب خاص ينفق على مرتباتهم وجوائزهم، ولهم أيضاً رؤساء بلغوا مكانة اجتماعية بين رجال الرشيد وحاشيته، وفي مقدمتهم ذفافة العنسي ويدعى: صاحب خيل الرشيد. [2]

وتعد هواية تربية الخيل وركوبها من الهوايات التي مارسها الرشيد في الرقة، وكان له مجموعة من الجياد الأصيلة، وكان فارساً يحسن الطراد على الخيل، وله في الفروسية ألعاب كثيرة يمارسها أوقات فراغه، كطعن الأهداف بالرمح، وضرب الأشباح المنصوبة بالسيف وهو على صهوة جواده منطلقاً بأقصى سرعة، والتصويب بالسهام [3]، وتعد سباقات الخيل تسلية شعبية لكافة شرائح المجتمع [4]، حيث أجريت سباقاتها في الرقة بحضور الرشيد مع قواده ووزرائه وأمرائه، وكان يخصص لها الجوائز الضخمة، منها ما يذكره المسعودي بقوله: أجرى الرشيد الخيل يوماً في الرقة، فلّما أرسلت صار إلى مجلسه في صدر الميدان حيث توافى إليه الخيل، فوقف على فرسه، فكان في أوائلها سوابق من خيله يقدمها فرسان في عنانٍ واحد لا يتقدم أحدهما على صاحبه، فتأملها فقال: فرسي والله، ثّم تأمل الفرس الأخرى فقال: وفرس المأمون الثانية، فجاءا يحتكان أمام الخيل، وكان فرسه السابق وفرس المأمون الثانية فسّر بذلك ...، وقام الفضل بن الربيع بإيصال الأصمعي، فقال: هذا الأصمعي يذكر شيئاً من أمر الفرسين يزيد الله به سرور أمير المؤمنين، فقال: ماعندك ياأصمعي ؟

قال: يا أمير المؤمنين كنت وابنك اليوم في فرسيكما كما قالت الخنساء:

جارى أباهُ فأقبلا وُهما　　　　يتعاورانِ ملاءةَ الفخرِ
وهما كأّنهما وقد برزَا　　　　صقرانِ قد حطّا على وكرِ

---

(1) الشعيبي: ربيعة الّرقي، ص53-54.

(2) الجومرد: هارون، ص226. الحباب: تاريخ، ص232-233.

(3) علم الرمي بالسهام: هو علم يعرف من خلاله رمي النبال، وعملها على وجه الإصابة، وكان للعرب اهتمام بها إن كان بالتلقي أو بممارسة عملية، وقد ألف أهل الفضل في علم الرمي بالقوس رسائل عديدة نظماً ونثراً، الألوسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرحه وضبطه: محمد بهجت الأثري، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، د.ت، ج3، ص354، سيشار إليه لاحقاً: الألوسي: بلوغ الأرب.

(4) الحسين: موسوعة، ص510.

برزتْ صفيحةُ وجهِ والدِه   ومضى على غلوائهِ يجري
أولى فأولى أنْ يقاربهُ   لولا جلالُ السنِّ والكبرِ[1]

ومن الهوايات التي مارسها الرشيد في الرقة ركوب الحراقات (السفن المزينة بمصابيح)، وأفضل وقت عنده في الليل حيث تزين سفينته بالأنوار فتنساب في الشط بين أنوار مصابيح القصور المنعكسة على الماء، وتفتح له الجسور لكي يمر، وكان يصحب معه المغنين والعازفين، ولا يكون غناؤهم وعزفهم إلا بعد اجتياز العاصمة حيث لا يبقى على الشاطئ من يدفعه الفضول للتفرج أو السماع، وإن كان ركوبه الحراقة في النهار حمل معه بعض وسائل اللهو، وأهمها النرد والشطرنج.[2]

وأمّا **الطعام**، فقد شكل الخبز الطعام الأساسي لسكان الرقة حيث إنّهم يزرعون الحبوب لاسيما القمح بالإضافة إلى أنّ الرقة كانت مركزاً لنقل الحبوب القادمة من الجزيرة ومصر وبلاد الشام إلى العراق[3]، كماأنّهم شربوا الحليب واتخذوا منه طعاماً بالإضافة لمشتقاته من اللبن، والجبن، والسمن لاهتمام مضر بتربية الحيوان، وإلى جانب ذلك شكلت الثمار والفواكه الغذاء الأساسي للعامة من الناس لكثرة الأشجار والثمار المنتشرة حول الرقة خاصةً أشجار الزيتون[4]، وقد كان للغنى المادي دوراً مهماً في تحديد أصناف الطعام، فالطبقة الخاصة ذات الغنى المادي والنفوذ السياسي كان يضاف إلى غذائها الفاكهة النادرة مثل السفرجل والشاه بلوط، والعسل، واللحم على اختلاف أنواعه[5]، بينما كانت موائد الرشيد عامرة بالطعام والشراب، وهذا دعى الشعراء لوصفها[6]، ويذكر إبراهيم المهدي أنّه زار الرشيد فشاهد على مائدته طبقاً من ألسنة السمك، وقد كلف ألف درهم [7]، ولاشكّ أنّ هذا المبلغ مبالغ فيه لكن يدل على حجم الترف الذي عاش فيه الرشيد.

وبالنسبة **للصحة والنظافة** فقد اهتم بها الأغنياء كثيراً حيث كانوا يسترخون في الحمام مدة طويلة، وبعد أن يعهدوا بأيديهم إلى مقلم الأظافر كان عدد كبير منهم يضع الطيب، والعطور، ومع

---

(1) المسعودي: مروج، مج 3، ص372–373. الجومرد: هارون، ص226. عياش: حضارة، ص276.

(2) البلاذري: فتوح، ص204. مجموعة من الباحثين، المفصل، مج4، ص39– 40. الجومرد: هارون، ص228.

(3) شتورم: أهمية الرقة، ص131–132.

(4) عياش: الرقة، ق2، ص3. حباب: تاريخ، ص229.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص145. لسترنج: بلدان، ص157.

(6) للإطلاع على بعض هذا الشعر يمكن العودة للفصل الثاني، ص67.

(7) المسعودي: مروج الذهب، مج3، ص373. الجوابرة: موسوعة، ج1، ص241.

أنّ الفقراء كانوا أقل اهتماماً بالنظافة على الرغم من كثرة الحمامات إلا أنّ الجميع كانوا يتركون لحاهم تطول وتكثر لكي يمتازوا عن غيرهم من غير المسلمين.[1]

5- الأزياء والملابس:

اختلف اللباس في الرقة من فئة لأخرى، بحسب الوضع الاجتماعي والغنى المادي، وهذا أمر طبيعي فلا يمكن أن يعتمد لباس معين لجميع المناطق ولجميع الفصول على مدار السنة، كما أنّه لا يمكن توحيد اللباس بشكل عام[2]، فالبيئة أثرت تأثيراً واضحاً على اللباس وشكله وثمنه ونوعه، فلباس البدوي في الجزيرة الفراتية بشكل عام هو غير لباس الحضري في المدينة.[3]

كما تأثر لباس الخليفة وحاشيته وبلاطه بانتشار النفوذ الفارسي في الدولة، وبلغ الذروة في عصر هارون الرشيد والمأمون، فقد قرر أبو جعفر لبس القلانس[4] المخروطية الشكل بصفة رسمية، كما أدخل استعمال الملابس المحلاة بالذهب، وغدا خلعها على الناس من حق الخليفة، كما لبس الخليفة العباسي في المواكب ثوب أسود أو بنفسجي يصل إلى الركبة فيظهر القفطان زاهياً من تحته، وحتى عهد المعتصم كانت العمامة ضيقة، فجعلها فضفاضة، ويتمنطق الخليفة بحزام مرصع بالذهب والجواهر، ويتوشح بعباءة سوداء، ويلبس قلنسوة طويلة مزينة بجوهرة غالية الثمن، كما لبس القضاة والخلفاء العمامة مقتدين في ذلك بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما قلد الأمراء والنبلاء الخلفاء في ملابسهم[5]، ولبس الرشيد أزياء مختلفة في مناسبات عديدة، ولباسه الاعتيادي عمامة يطلق عليها الرصافية، وارتدى على جسمه قميصاً من القطن الأبيض الطري الملمس وعليه رداء من الحرير المطرز حول الصدر والعنق، وفوق ذلك جبة سوداء من القماش النادر، وأحياناً يكتب عليها آية من التنزيل، وتحتها سروال عريض يتصل بالقدمين، ويحتذي في رجليه نعالاً، كما كان أكثر الخلفاء يهتم باقتناء الجواهر، خاصةً الخواتم، ومن أشهرها الخاتم الإسماعيلي، وأثمنها فص الياقوت الأحمر[6]، وقد غير الرشيد لباس العلماء فلبسوا العمامة وفوقها الطيلسان، ولبس الكتاب الدراعات،

---

(1) الحسين: موسوعة، ص511.

(2) الرفاعي، أنور فريد: الإسلام وحضارته ونظمه، دار دمشق، دمشق، 1393هـ/ 1973م، ص279، سيشار إليه لاحقاً : الرفاعي: الإسلام.

(3) سينو: الحياة السياسية، ص253.

(4) القلانس: مفردها القلنسوة، وهي غطاء يوضع على الرأس، ولها أشكال متعددة.ابن منظور: لسان العرب،= = مج6، ص181. مجموعة من المؤلفين: المعجم الوسيط، ج1، ص754.

(5) حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص248-249.

(6) الجومرد: هارون، ص231-133.

وهي ثياب مشقوقة من الصدر[1]، وتألف لباس الشريحة الراقية من سروال فضفاض وقميص ودراعة، وسترة وقفطان وقباء وقلنسوة وعباءة أو جبة، ولبس الرجال والنساء من الأغنياء الجوارب المصنوعة من الحرير أو الصوف أو الجلد، وهناك فرق واضح في لباس أصحاب المهن المختلفة، وبقي لباس العامة كما هو عليه في العصر الأموي[2]، وهو عبارة عن قميص ودراعة وسترة طويلة وحزام وانتعلوا الأحذية والنعال .

أّما عن لباس المرأة فقد تركت السيدة زبيدة زوجة الرشيد ثُراً كبيراً في تطور لباس المرأة، فيعزى إليها اتخاذ المناطق والنعال المرصعة بالجواهر، وفوق ذلك كانت تسرف في شراء ثيابها حتى إنّّها اتخذت ثوباً من الوشي الرفيع يزيد ثمنه على خمسين ألف دينار[3]، وهذا يدل على حجم الغنى الذي تمتعت به الدولة في عهد الرشيد، ومايقاس عليها يقاس على جميع نساء وأميرات الأسرالراقية ذات النفوذ والغنى، وزينت نساء الطبقة الوسطى رؤوسهن بحلية مسطحة من الذهب وأخذنّ يلففنّ حولها عصابة مزركشة باللؤلؤ والزمرد، ولبسن الخلاخل في أرجلهنّ والأساور في معاصمهنّ، ولبست نساء العامة ملاءة فضفاضة، وقميصاً، مشقوقاً عند الرقبة وعليه رداء قصير، وعندما تذهب خارج بيتها كانت ترتدي ملاءة طويلة تغطي جسمها، وتلف رأسها بمنديل يربط فوق الرقبة.[4]

ولاشكّ أّن تأثير المركز الاجتماعي كان كبيرًا حتى عند البدو الموجودين حول الرقة، فكان لباس شيخ القبيلة وأشرافها غير لباس بقية أفراد القبيلة، فلبس هؤلاء قباء يصل إلى الركبتين يعلوه جلباب فضفاض يتدلى إلى العقبين ويشده حزام من الحرير، وفوق ذلك يلبسون الجبة، وفي أرجلهم لبسوا النعال والأحذية، ولبس بقية أفراد القبيلة نوعاً أخف من ذلك بكثير، فارتدوا قباًء طويلاً مشقوقاً من الوسط يصل إلى العقب يربطونه بحزام من الجلد، والعباءة المصنوعة من وبر الجمل، وتألف لباس نساء البادية من سروالٍ فضفاضٍ لبس فوقه في الشتاء رداًء قصيراً.[5]

---

(1) علي: تاريخ بلاد الشام، ص166. حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص249.

(2) علي: تاريخ بلاد الشام، ص166.

(3) حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص249–250.

(4) علي: تاريخ بلاد الشام، ص166.

(5) سينو: الحياة السياسية، ص254.

الفصل الرابع: الأوضاع العلمية والفكرية في الرقة:

أولاً- الحياة الفكرية والثقافية في العصر العباسي:

ثانياً- الأوضاع الثقافية في الرقة:

1- دور الأديرة السريانية في الترجمة

2- أشهر علماء الترجمة

3- دور المدارس في الحركة العلمية

ثالثاً- أشهر العلوم التي ازدهرت في الرقة:

1- الطب

2- الرياضيات

3- علم الفلك والتنجيم

4- الفلسفة

5- الجغرافية

6- التاريخ

7- الشعر والأدب:

أ- الشعراء الرقيون

ب- الشعراء الذين قدموا إلى الرقة

ج- الأدباء الذين قدموا إلى الرقة

8- الموسيقى والغناء

أولاً- الحياة الفكرية والثقافية في العصر العباسي:

قامت الدولة العباسية بعد سقوط الدولة الأموية وأصبحت عاصمتها بغداد، حيث توافد إليها أهل العلم والحكم إن كان من العرب أو من الشعوب التي خضعت لسلطان الدولة، وكان قسم كبير منهم له علاقة بالديانات والفلسفات القديمة، وهذا ماساهم في تنوع مظاهر الحياة الفكرية والثقافية[1] ونموها فما هي أسباب هذا النمو :

1- دعوة الإسلام إلى المعرفة، وحضه على التعليم، وتشجيعه على الثقافة، ولقد تمثل ذلك بالكثير من آيات القرآن الكريم.

2- كانت الدعوة الإسلامية مبنية على التأمل والتفكير في الكون، وكان هذا كافياً في كثير من الأحوال لجذب عدد كبير لاعتناق الإسلام، ولكن بعدما اختلطوا بالأمم الأخرى أصحاب الفلسفات والديانات القديمة بعد الفتوحات العربية الإسلامية توجب عليهم استخدام العقل والمنطق في دعوتهم، أسوةً بما يفعل أهل الديانات الأخرى.

---

(1) زيادة ، نيقولا: دراسات في التاريخ، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ص76، سيشار إليه لاحقاً: زيادة: دراسات.

3- ازدهار حركة الترجمة من اليونانية والفارسية وغيرها من اللغات إلى العربية الذي كان له أثر كبير في امتزاج الثقافات وتقدم الحياة الفكرية.[1]

4- التحاك بين ثقافتين الأولى إسلامية جديدة نشطة تريد أن تشق لنفسها طريقاً، والثانية متنوعة مختلفة فيما بين عناصرها، ولكّنها ذات قواعد تصلح للمناقشة وأراء تصلح للجدل.

5- إنّ هذا التحاك والتمازج شمل رقعة واسعة مختلفة العروق وبالتالي اللغات والتجارب التاريخية والمناطق الجغرافية والعوامل الإجتماعية، ولذلك من الطبيعي أن تكون ردود التحاك متنوعة، عقلية عاطفية دينية سياسية...الخ.

6- ليس من السهل عزل العنصر السياسي عن بعض ردود الفعل أو التطورات في جميع الأحوال.[2]

لقد وضعت في العصر العباسي أسس العلوم كلها تقريباً، فقد وضع علم تفسير القرآن الكريم، وجمع الحديث الشريف، وتبلورت علومه، ووضع علم النحو وقواعده وكتب اللغة، وعلم العروض، ودونت أشعار العرب، ووضع الجاحظ أساس الكتابة الأدبية، ودون الفقه على يد الأئمة وتلاميذهم، ودون علم التاريخ، وترجمت كتب الفلسفة من منطق ورياضة وهيئة وطب، وبدأ العلماء يؤلفون فيها.[3]

ثانياً- الأوضاع الثقافية العامة في الرقة:

شكلت الرقة منذ مرحلة ماقبل الإسلام أحد المراكز الفكرية الأساسية للسريان من خلال كثرة الأديرة الموجودة فيها كدير زكّى وغيره، وبعد الفتح الإسلامي نشطت حركة التعريب والترجمة فيها[4]، ومع انتقال الرشيد إليها واتخاذها عاصمةً للدولة بلغت أوج ازدهارها الثقافي، حيث شهد زمن الرشيد انطلاقة الحركة الفقهية واللغوية والعلمية، وإذا كان قد رعى شيوخ اللغة والرواية، وعايش الأئمة الكبار الذين أرسوا مذاهب السنة، ورافق ولادة علم الكلام ومذهب الاعتزال والصوفية، فقد كان معظم أقطاب هذه الحركة على علاقة بالبلاط العباسي، كعلاقة ولاء كما هو الأمر بالنسبة للأصمعي والكسائي واليزيدي والأحمر النحوي، أو احترام متبادل كما هو الأمر بالنسبة للإمام مالك والإمام الشافعي في بلاط الرشيد، أو علاقة تحدٍ وصراع كما هو الأمر بالنسبة للإمام أبي حنيفة في بلاط المنصور، وابن حنبل في بلاط المأمون والمعتصم، أمّا بالنسبة للمعتزلة، فقد شهد بلاط الرشيد بعضهم كجلساء

---

(1) بيطار: تاريخ، ص375.

(2) زيادة: دراسات، ص76.

(3) بيطار: تاريخ، ص376.

(4) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص164.

وشعراء ومتأدبين، على الرغم من رفضه لهم كمتكلمين في الدين والفقه، إلا أنّ موقف الرشيد المتحفظ على علم الكلام لم يشمل سائر العلوم، فقد كانت آفاق الرشيد الفكرية تمتد امتداد العالم المعروف آنذاك، فهيأ التربة الخصبة لنموها وازدهارها مع الكثير من التشجيع والتوجيه، فتحولت القصور إلى أماكن لاستقطاب العلماء، والأدباء، والمترجمين وحمايتهم، ومن المعلوم أنّ الناس على دين ملوكهم ، فكماعمل الرشيد على استقطاب العلماء، والأدباء، والمترجمين، كذلك فعل الأمراء والموسرون، وأصبح لهم أدباء وشعراء ومترجمون تابعين لهم.[1]

حيث استفادت الرقة فائدة علمية وأدبية كبيرة من قدوم الرشيد إليها سنة 180هـ/ 796م، فبذلك جعل الرشيد من الرقة مدينة علم من جديد، فقد كانت قبل الرشيد مدينة علم ديني للمسلمين وكنسي للمسيحيين، وعندما جاءها أصبحت مدينة ملك ومدينة علم عام، وثابت، ومنقول، ومجلوب للخلفاء لاسيما الرشيد والمأمون.[2]

لقد شملت الترجمة معظم ميادين العلوم كالطب، والفلك(علم التنجيم)، والفلسفة ومن أشهر المترجمين لهذه العلوم **قبل الإسلام**، بولس مطران الرقة، وسرجيوس الرأسعيني، ومار ساويرا سايخوت، ومار يعقوب الرهاوي، **وبعد الإسلام** يوحنا بن البطريق[3] الذي حظي باحترام المنصور، فترجم كتب جالينوس، وأبقراط، ونقل المقالات الأربع لبطليموس[4]، وقد شغلت الأديره دوراً كبيراً في حركة الترجمة هذه، فماهو الدور الذي قامت به.؟

1- دور الأديرة السريانية في الترجمة:

انتشرت الأديرة في كل مدينة من مدن الجزيرة الفراتية، وقد تزايد عددها بعد الفتح العربي الإسلامي بسبب استتباب الأمن وحرية ممارسة الشعائر والعبادات الدينية، وتسامح المسلمين مع غيرهم من أهل الذمة حتى زاد عددها في منطقة الرها وحدها عن ثلاثمائة دير[5]، وبعد الفتح الإسلامي للجزيرة الفراتية، بقي معظم السريان فيها، لا بل أصبحوا جزءاً أساسياً من مقومات المجتمع العربي، فساهموا في النهضة الفكرية والعلمية، حيث أتقنوا اللغات الثلاثة اليونانية، والسريانية،

---

(1) ضناوي، سعدي: موسوعة هارون الرشيد، دار صادر، ط1، بيروت، 1421هـ/2001م، مج3، ص593-594، سيشار إليه لاحقاً: ضناوي: موسوعة.

(2) الشعيبي: الملامح العلمية، ص170-169.

(3) يوحنا بن البطريق: لقب في عهد المأمون بالترجمان . ابن العبري: مختصر: ص138.

(4) الحمد: ماردينيسيوس، ص200.

(5) الزوقنيني: تاريخ، ص27. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص175.

والعربية، فكانوا أول من نقل التراث اليوناني إلى العربية [1] عن طريق حركة ترجمة تعاظمت منذ بداية العصر العباسي لتبلغ ذروتها في عصر الرشيد والمأمون [2]، واطلعوا على كثير من تاريخ العرب لأنهم عاشوا إلى جانبهم سنين طويلة، وربطتهم معهم جذور مشتركة في الاقتصاد والسياسة[3]، ومن أشهر الأديرة التي انتشرت في مدينة الرقة دير العمود[4] الذي تبرعت بعمارته القيصرة تيودورة عام 548م، ووسعه الرهبان سنة 14هـ/635م، حيث قدم للكنيسة عدد من رجال الدين الأساقفة[5]، والبطاركة[6]، ويعد دير زكّى في الرقة من أشهر هذه الأديرة وأحسنها موقعاً، وأنزهها موضعاً، حيث شكلّ متنزهاً وموضعاً جميلاً للملوك، وللصنوبري أشعار كثيرة فيه منها:

أيا متنزهي في ديرِ زكّى ألم تكُ نزهتي بكَ نزهتين[7]

وإلى جانب وظيفة هذا الدير الدينية كانت له وظيفة اجتماعية وعلمية حيث لا يخلو دير من مكتبة وجد فيها الرهبان ما يحتاجون إليه في التأليف في الموضوعات الدينية أو الأدبية أو العلمية،

---

(1) ديك، اغناطيوس: ثاوذوروس أبو قرة أسقف حران الملكي، أعمال المؤتمر التاسع للتراث السرياني، مركز الدراسات للأبحاث المشرقية، أنطلياس، 1426هـ/ 2005م، ص168-169، سيشار إليه لاحقاً : ديك: ثاوذورس .

(2) سيف، انطوان: دور السريان في الفلسفة العربية، أعمال المؤتمر التاسع للتراث السرياني، مركز الدراسات للأبحاث المشرقية، انطلياس، 1426هـ/2005م، ص126،سيشار إليه لاحقاً : سيف: دور السريان. زيادة: دراسات، ص75-76. ضناوي: موسوعة، مج3، ص594.

(3) خربطلي: دور السريان، ص68-69.

(4) عندما قامت ثورة نصر بن شبث العقيلي في أرض الجزيرة سنة200هـ/815م، لحق بدير قنسرين بعض= = الأذى باحتراق فنائه، وانفرط عقد طلابه فجاء معظمهم إلى دير العمود في ظاهر الرقة جذبتهم إليه شهرة البطريرك العلامة مارقرياقس ت 202هـ/817 م، والمكانة التي كان يتمتع بها آتانوس معلم اللغة اليونانية ومفسر الكتب اللاهوتية الحمد: ماردينيسيوس التلمحري، ص202-203.

(5) بعد وفاة البطريرك مارقرياقس سنة 202هـ/ 817م اشتدت الخلافات السياسية والدينية، فاجتمع أساقفة الأديرة في العراق وسورية والأناضول في مقر البطريركية في مدينة الرقة سنة 203هـ/818م ، واقترحوا لهذ المنصب أتانوس المقيم في دير زكى لكنه اعتذر ، وظلّ المجلس منعقداً 40 يوماً حتى تم تنصيب ماردينيسيوس التلمحري، المؤرخ المجهول: تاريخ ،ج2، ص26. ميخائيل الكبير: تاريخ، ج3، ص1. الزوقنيني: تاريخ، ص27.الحمد: ماردينيسيوس، ص202.

(6) الشابشتي: الديارات، ص171-172.

(7) الشابشتي: الديارات، ص218-219.

حيث شكلت مجمعاً للباحثين يطالعون فيها، ويؤلفون وينسخون[1]، كما احتوى هذا الدير على الحبر والورق والأقلام المتنوعة لاسيما أنّ الرقة اشتهرت منذ القديم بتجارة الأقلام[2] ، وفيه قاعات كان يعمل بها النساخون بهمة ودقة وأمانة[3] ، وممّا يميز أديرة الجزيرة بشكل عام عملها الجماعي المنظم في الأمور الثقافية، ففي ردهات الدير كان الرهبان يجتمعون في حلقات بحث للدراسة يتحاورون فيها لحل المسائل الغامضة والصعبة[4]، وحين تستصعب مسألة علمية على رهبان الدير كانوا يتواصلون مع الأديرة الأخرى ويتساعدون على حلها، ومن الأمثلة على ذلك الشاب ماردينيسيوس التلمحري الذي عمل بدير قنسرين نشاطاً علمياً وتراسل مع علماء عصره أمثال أليا الحراني مطران سلمية[5]، ومن تقاليد الأديرة تكليف بعض أساتذة الدير لطلابهم بتهيئة المادة العلمية، ثّم يقوم الجميع بالترجمة أوالنسخ لأنّ الكتاب سيكون فخراً للدير كله، ونادراً ماكان يقوم به العالم المترجم وحده، ومن تقاليدها أيضاً أّنه لاتتم الترجمة إلا عن نسخ عدة تحرياً للدقة كما فعل توما الحرقلي ت. 6هـ/627م عندما ترجم العهد الجديد، مستنداً إلى أربع نسخ يونانية مضبوطة مقابلاً إياها بالترجمات السريانية، فأخرج للناس الترجمة المعروفة بالنقل الحرقلي[6]، واستخدمت اللغة السريانية والآرامية واليونانية في الترجمة [7]، ومن هذه المعاهد العلمية تخرج علماء عظام كان لهم أثر كبير في الترجمة.

2- علماء الترجمة السريان:

يمكن تصنيف علماء الترجمة ضمن مجموعتين:

أ- المجموعة الأولى: قبل العصر العباسي:

1َ- بولس مطران الرقة ت. 528م:

---

(1) الشابشتي: الديارت، ص49-50.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص141. لسترنج: بلدان، ص133.

(3) ماروثا التكريتي ت. 29هـ/649م بعد أن درس العلوم اللاهوتية واللغة اليونانية على يد الأستاذ ثادور في دير زكى عشر سنوات متوالية شدّ الرحال إلى الرها ليتقن فن الخط لأّنه من مستلزمات علوم عصره، مجموعة من الباحثين: المفصل، مج3، ص169.

(4) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج3، ص169.

(5) الحمد: ماردينيسيوس التلمحري، ص201.

(6) خليل، سمير: السريان بين الحضارتين اليونانية والعربية، أعمال المؤتمر التاسع للتراث السرياني، مركز الدراسات للأبحاث المشرقية، انطلياس، 1426هـ/ 2005م، ص33، سيشار إليه لاحقاً : خليل: السريان .

(7) خليل: السريان، ص33.

عرف عند السريان باسم مترجم الكتب، وقد كان ضليعاً باللسانين السرياني واليوناني، وقد ترجم من اليونانية مؤلفات سويريوس الأنطاكي ت. 538م، وقدم لهذه الترجمة مقدمة وافية بين فيها مالاقاه في أثناء النقل من صعوبة في إيجاد المصطلحات، كما وضح المنهج الذي اتبعه، كما لم تكن ترجمته ترجمة حرفية، فاستحق عن جدارة لقب مترجم الكتب. [1]

2- سرجيوس الرأسعيني ت. 536م:

ولد في بلدة رأس العين ودرس فيها مبادئ اللغة اليونانية، ونقل كتب أرسطو المنطقية إلى السريانية، وقد عرضها في سبع مقالات، فانهالت عليه الشتائم وطعن في سلوكه الأخلاقي[2]، وترجم كتب جالينوس الطبية، وامتازت نقوله بطابعه الشخصي، كما ألف في الفلك رسالة سماها العلة الأولى، وبذلك أدخل الموروث في علم الفلك إلى الثقافة السريانية. [3]

3- مار ساويرا سايخوت ت. 58هـ/677م:

ولد هذا العالم في نصيبين ودرس مبادئ السريانية واليوناذ ية والفارسية ثّم شدّ الرحال إلى دير قنسرين، وتثقف في ظل التسامح الذي وفره الخلفاء الراشدون، فكان أعظم من كتب في اللغة السريانية خاصةً في الفلك والرياضيات، ومن أهم كتبه في علم الهيئة: رسالة في علم الفلك وجهها إلى الراهب إيثالاها في دير مار زكى في الرقة، ومن ترجماته إلى السريانية كتاب المقالات الأربع في التنجيم لبطليموس، ورسالة في تحليل القياس لأرسطو، وقد نقل هذه الرسالة الأخيرة عن الفارسية، وبإرشاده ترجم تلميذه أسقف العرب مارجرجس 67-108هـ/686 -726م كتاب الأرغانون لأرسطو[4] .

4- مار يعقوب الرهاوي 12-90هـ/ 633-708م:

ولد مترجم السريان الأكبر بالقرب من حران ورحل إلى مصر، وتعلم طريقة مدرسة الإسكندرية في الترجمة التي تهتم بالمعنى الذي يحصل في ذهن المترجم، وهذه الطريقة المثلى التي تنسب بالعربية إلى حنين بن إسحق، وثابت بن قرة الحراني وكلاهما دربوا في أديرة الجزيرة الفراتية، ومن

---

(1) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص174. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج3، ص170-171.

(2) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص175.

(3) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص175. مجموعة من الباحثين، المفصل، مج3، ص171.

(4) حمدان، زهير: أعلام الحضارة العربية والإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1416هـ/1995م مج1، ص35، سيشار إليه لاحقاً: حمدان: أعلام الحضارة.مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص175-176. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج3، ص172.

أشهر ترجماته ترجمة الكتاب المقدس، وعندما نقل حنين بن إسحق ترجمة مار يعقوب الرهاوي للتوراة إلى العربية أثنى عليها العلماء من كل الملل.[1]

ب- المجموعة الثانية: في العصر العباسي(في حقبة البحث):

معظم أفراد هذه المجموعة عاشوا في بداية العصر العباسي، حيث ازدهرت الترجمة، فالخليفة العباسي أبو جعفر المنصور 136-158هـ/ 753-774م، كان مهتماً بأحكام النجوم ويعمل بمقتضاها، ويستشير منجميه في أعماله كما هو الحال في بناء بغداد والرافقة، فازدهرت العلوم بشكل عام، والطب والفلك بشكل خاص[2] ، ومن أشهر المترجمين:

1- يوحنا بن البطريق [3] أسقف الرقة:

لقد حظي باحترام المنصور فنصّبه بطريركاً للكنيسة الأرثوذكسية بدلاً من البطريرك جاورجي الأول 141-174هـ/ 758-790م، متذرعاً بأنه ينكر معرفته بعلم التنجيم الذي تحرمه الكنيسة ويفضله المنصور[4]، ومن ترجماته كتب جالينوس وأبقراط كما نقل كتب المقالات الأربع لبطليموس عن الترجمة السريانية التي نقلها من قبل ساويرا سايوخت ثّم فسره بالعربية عمر بن الفرخان وظلّ هذا الكتاب أشهر كتب التنجيم في تاريخ البشرية، وقد حور أفكاره لتناسب الفكر العربي الإسلامي بعبارات تدل على قوة في امتلاك ناصية اللغة، ومقدرة على السبك.[5]

وعند انتقال الرشيد إلى الرقة سنة 180هـ/796م ازدهرت الترجمة لما لاقته من اهتمام وتشجيع، حيث أصبحت هذه المدينة أحد مراكز الثقافة في الدولة العربية الإسلامية، فاهتمام الرشيد شخصياً بالحركة العلمية كان عاملاً محفزاً للناس- لأنّ الناس يقلدون حكامهم- فشاع حب العلم، وراجت أسواق الوراقة، وارتزق الوراقون، فالشافعي استطاع أن يحصل على كل كتب الإمام محمد بن الحسن الشيباني ت. 189هـ/ 804م، وقد نقلها النساخون في ليلة واحدة، وصار الناس يتفاخرون بجمع الكتب إضافةً إلى مايملكون من ثروة.[6]

2- أيوب بن القاسم الرقي ت. ؟:

---

(1) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص176-178. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج3، ص173-174.

(2) شتورم :أهمية الرقة، ص137. سيف: دور السريان، ص128.

(3) يوحنا بن البطريق: أصبح في عهد المأمون يطلق عليه الترجمان مولى المأمون كان أميناً في نقل المعاني إلى العربية، ابن العبري: تاريخ، ص138.

(4) الحمد: ماردينيسيوس، ص200.

(5) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص178. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج3، ص175.

(6) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج3، ص176.

نقل كتاب المجسطي ليحيى بن خالد البرمكي ولابنه محمد، في مدينة الرقة، ولكن هذه الترجمة لم تعجب الوزير فندب لها النقلة المجربين الذين تحققوا منها[1].

3- الحجاج بن مطر الكوفي ت. 221هـ/836م:

ترجم كتاب الأصول لإقليدس في الرقة، وسماه بالنقل الهاروني تمييزاً له عن النقل الثاني الذي تّم في عهد المأمون الذي سمي بالنقل المأموني، وهذا الأخير هو الأجود.[2]

ويذكر ابن العبري أنّ المأمون مثل جده المنصور قد أقبل على طلب العلم من مواضعه، فراسل ملوك الروم وسألهم عما لديهم من كتب الفلسفة، فأحضر لها مهرة المترجمين وكلفهم بإحكام ترجمتها، وترجمت له على غاية ما أمكن، ثّمجع ّ الناس على قراءتها، ورغّبهم فيها لتعلمها، حيث غدت الرقة، وأديرتها مقصداً لطلاب العلم، والمترجمين.[3]

4- حنين بن إسحق العبادي ت. 265هـ/878م،

تعلم في أديرة الرقة، والرها، وحران أصول الترجمة ثّم غادر إلى العراق، حيث تفاخر على أقرانه من النساطرة بعلم لم يعرفوه من قبل.[4]

وعلى هذا الأساس انتقلت تقاليد الترجمة إلى بيت الحكمة في بغداد فعمل النقلة في جماعات منظمة، ولم يكن عملهم فردياً[5]، حيث أشرف حنين على ماترجمه تلاميذه، ومنهم ابنه إسحق وابن أخته حبيش بن الأعسم.[6]

5- ثابت بن قرة الحراني ت. 288هـ/900م:

ولد ثابت بن قرة الحراني في مدينة الرها سنة 221هـ/836م، وعاش معظم حياته في الرقة بين سنتي 221-288هـ/836-900م[7]، ودرس الطب، والمنطق، والفلسفة، واللغة العربية، وقصد دير مارسابا قرب القدس لكي يترهب وهو في ريعان شبابه، حيث اضطلع في علم الكتاب المقدس، ثّم

---

(1) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص179.

(2) موراني، حميد: تاريخ العلوم عند العرب، دار الأجيال، د.ت، ص54، سيشار إليه لاحقاً: موراني: تاريخ العلوم. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص179.

(3) ابن العبري: تاريخ، ص135-136.

(4) الحمد: ماردينيسيوس، ص206.

(5) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص180.

(6) سيف: دور السريان، ص129.علي: تاريخ بلاد الشام، ص171.

(7) الدفاع، علي عبدالله: العلوم البحتة في الحضارة العربية والإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ/ 1981م، سيشار إليه لاحقاً: الدفاع: العلوم البحتة. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص213.

رقّي إلى كرسي حران الأسقفي، وعزله البطريرك الأنطاكي ثاوذوريطوس، فاستعاد حريته وبدأ يحاور المسلمين، ويذكر المؤرخ الرهاوي المجهول أنّه أجريت مناظرة بين ثابت بن قرة والمتكلمين المسلمين في حضرة المأمون سنة 214هـ/829م(1) كما أبدع ثابت بن قرة في علم العدد الذي وجد فيه تناسق العالم، فأصبح أعظم مترجم للرياضيات في الحضارة العربية، فنال إعجاب الناس، واحترام الخليفةالمعتضد 279-289هـ/ 892-901م، وشغل دوراً كبيراً في إعلاء مكانة الصابئة(2) في الدولة العربية ، حيث أعاد تقاليد السريان في الترجمة، ونظّم المترجمين الذين يعملون معه في مجموعات متخصصة في الرياضيات والطب، وكان يدربهم على حسن النقل بحسب الأصول المدرسية المتبعة في الأديرة (3)، كماترجم ثابت بن قرة كتاب أرسطا طاليس الفيلسوف في فضائل النفس بتكليف من طاهر بن الحسين، ويذكر المؤرخ السرياني الكبير في حوادث سنة201هـ/ 816م أنّ طاهراً كان قد تعب من محاربة المتمردين فاستقر في الرافقة، حيث عكف على القراءة والتفسير ومعاشرة الفلاسفة، ويبدو أنّ ثابتاً قد تعرف عليه في ذلك الوقت، فطلب منه أن يترجم له المقال المنسوب لأرسطو.(4)

ويجمع معظم المؤرخين على أنّ حذاق الترجمة في الإسلام هم أربعة: **حنين بن إسحق** أستاذ المترجمين واضع فكرة ترجمة المعاني لا الترجمة الحرفية، **وثابت بن قرة الحراني، ويعقوب بن إسحق الكندي، وعمر بن الفرخان الطبري.** (5)

ومما تقدم يمكن القول: أنّ عالمين من علماء الترجمة الأربعة تدربا وتتلمذا في أديرة الرقة والجزيرة، وإن دلّ هذا على شيء فإنّه يدل على المكانة العلمية للجزيرة عموماً والرقة خصوصاً في العصر العباسي.

3- دور المدارس في الحركة العلمية :

عند الحديث عن دور المدارس في الحركة العلمية يمكن تقسيم المدارس إلى قسمين: المدارس السريانية، والمدارس الإسلامية التي ظهرت بعد الفتح الإسلامي للجزيرة، **فالمدارس السريانية** كان روادها السريان، وتأثيرها لم يكن مقصوراً على المدينة التي وجدت فيها بل شملت معظم المدن التي وصل خريجوها إليها، فموقع الرقة القريب من حران والرها جعل العلاقة متلاحمة ومتواصلة فيما

---

(1) ديك: ثاوذوروس، ص171. ابن خلكان: وفيات،ج1، ص213.

(2) الصابئة: هم فـئة من الناس يعبدون النجوم والكواكب، ومقرهم الرئيسي حران. مجموعة من المؤلفين: المعجم الوسيط، ج1، ص505.

(3) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص183.

(4) ديك: ثاذوروس، ص176.

(5) علي: تاريخ بلاد الشام، ص171. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج3، ص180.

بينها، بالإضافة لصلات القرابة الموجودة بين سكانها، فأدى ذلك إلى انتعاش الحركة العلمية فيها بنسب متفاوتة وظهور علماء في مختلف الميادين [1]، فمن أشهر هذه المدارس مدرسة الرها ونصيبين، ورأس العين، وحران حيث شغلت هذه المدارس دوراً كبيراً في نقل الثقافة اليونانية والعلوم الرياضية والفلسفية إلى اللغة السريانية قبل نشأة الدولة العربية بقرون[2]، وإلى جانب هذا الاهتمام بالعلوم النظرية، فقد أولت هذه المدارس الطب اهتماماً خاصاً لأنّ مراكز الطب انتشرت حول الأديرة والمدارس، فترجمت المؤلفات اليونانية الطبية إلى السريانية، ودرست للتلاميذ وتطبعت هذه العلوم بطابع السريان، فأصبحت جزءاً من التراث السرياني الذي استمر نشطاً حتى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[3]، وقد تأثرت هذه المدارس أثناء الصراع الفارسي البيزنطي وكثيراً ما كانت تغلق نتيجة للصراع بين الدولتين الكبيرتين أو نتيجة للسيطرة السياسية والدينية لهذه الدولة أو تلك على المنطقة [4]، فقد أقفلت المدرسة الرئيسة في مدينة الرها عام 439م على يد الإمبراطور البيزنطي زينون نتيجة الحرب بين الفرس والبيزنطيين، وهاجر أساتذة هذه المدرسة إلى كل من نصيبين وحران، حيث أقاموا فيها مدارس اهتمت بالفلسفة واللاهوت والترجمة من اليونانية إلى السريانية[5]، كما أقفل الفرس مدرسة حران وشردوا علماءها وأساتذتها، وكذلك فعل هرقل الأول في الرها سنة 7هـ/ 628م، فقد كان الخلاف الديني والسياسي عاملاً مهماً فكل دولة تهيمن على المنطقة تحاول فرض دينها وسياستها وتطبيعها بطابعها[6]، وبعد رحيل الأساتذة من مدرسة الرها على إثر السيطرة الفارسية على المنطقة تقدّم أهل نصيبين بطلب السماح لهم بفتح مدرسة فوافق الفرس لأسباب سياسية، وكان لهذه المدرسة دور كبير في نشر العلوم اليونانية وترجمتها[7]، ومن أشهر أساتذتها فرفوريوس الذي وضع

---

(1) القشيري: تاريخ، ص55. الشعيبي،علي شواخ: الملامح العلمية في الرقة حتى نهاية القرن الرابع الهجري، وقائع الندوة الدولية حول الرقة وآثارها، الرقة، 1402هـ/ 1981 م، ص68، سيشار إليه لاحقاً: الشعيبي: الملامح العلمية.

(2) سيف: دور السريان، ص123.

(3) خليل: السريان، ص33.

(4) سينو: الحياة السياسية، ص261.

(5) حداد، جورج: موجز تاريخ الحضارة العربية، دمشق، 1372هـ/ 1952م، ص282، سيشار إليه لاحقاً: حداد: موجز.

(6) الحمد: ماردينيسيوس، ص199-200.

(7) حداد: موجز، ص282.

كتاب الإيساغوجا، وهو كتاب ممتاز في المنطق، وجورجيوس الذي نقل كتاب أرسطو[1]، وسرجيوس الرأسعيني الذي ترجم الكتب اليونانية خاصةً كتب جالينوس، وعلي الرقي الذي كان طبيباً، وقد فسر مسائل حنين بن إسحق في الطب [2]، وبعد انتشار الإسلام ازدهرت هذه المدارس نتيجة التسامح الديني الذي اتبعه المسلمون.[3]

وأمّا **المداس الإسلامية**، فانتشرت بعد فتح العرب المسلمون للجزيرة في عهد عمربن الخطاب سنة 18هـ/639م وانتشار الإسلام في المنطقة حيث رافق ذلك بناء العديد من المساجد في مدن الجزيرة الفراتية وقراها، فعندما توفي والي الجزيرة وحمص وقنسرين عياض بن غنم أصبحت الجزيرة ولاية واحدة عين عليها عمر بن الخطاب سعيد بن عامر بن حذيم [4] الذي بنى مسجداً جامعاً في الرقة استعمل في بنائه أنقاض الرخام من المدينة القديمة، وبنى مسجد الرها[5]، فتحولت هذه المساجد إلى مدارس يقبل عليها طلبة العلم من كل مكان للتثقف في أمور الدين وتلقي العلوم، وكانت كل مجموعة منهم تسمى الحلقة يلتف أعضاؤها حول الأستاذ في ركن من أركان المسجد[6]، وفي عهد عمر بن الخطاب تّم إرسال العلماء من الصحابة على الأمصار الإسلامية لكي يعلموا أهلها مقتدياً بذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان لهؤلاء الصحابة تابعون يلتفون حولهم ويتلقون منهم العلم ثّم يعملون على اعادة نشره[7]، ومن أشهر هؤلاء العلماء وابصة بن معبد الأسدي[8]، ولكثرة العلماء والفقهاء والمحدثين الذين تخرجوا من مدارس الرقة الدينية، والصحابة والتابعين الذين وفدوا إليها نظّم القشيري كتابه الذي سماه" تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله والتابعين"، وهو سجل حضاري يؤرخ للحركة العلمية فيها حتى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[9]، وقد ترجم الخطيب البغدادي لشخصيات عديدة من علماء الرقة ومحدثيها قصدت العاصمة بغداد وسائر الحواضر

---

(1) سينو : الحياة السياسية، ص263.

(2) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص175.

(3) الحمد: ماردينيسيوس، ص201–202.

(4) لمعرفة نسبه يمكن العودة إلى ص86.

(5) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص65.

(6) حداد: موجز، ص348.

(7) الشعيبي: الملامح العلمية، ص168–169.

(8) القشيري: تاريخ، ص69.

(9) الشعيبي، علي شواخ: البتاني الرّقي أحد الفلكيين العشرين، دار السلام، ط3، حلب، 1401 هـ/ 1981م، ص20،سيشار إليه لاحقاً : الشعيبي: البتاني.

الإسلامية منهم الحسن بن علي بن سعيد[1]، وأحمد بن إسحق أبو بكر الرقي[2] وخالد بن حيان أبو يزيد الرقي[3] ومحمد بن علي بن الحسن بن حرب أبو الفضل الرقي[4]، وغيرهم كثر، حيث استفادت الرقة فائدة علمية وأدبية كبيرة من قدوم الرشيد إليها سنة 180هـ/ 796م، فقد جعل من الرقة مدينة ملك وعلم عام، وثابت، ومنقول، ومجلوب للخلفاء لاسيما الرشيد والمأمون [5]، ومن المهم في ذلك تنوع العلوم الذي أدى إلى تنوع حلقات العلم، فهناك حلقات لعلم الحديث، وحلقات لعلم الكلام، وحلقات للأدب والشعر كانت تعقد في المساجد وفي الأديرة، وفي سوق الأحد الذي كان يشبه سوق المربد في البصرة لكن الجانب الكلامي والسياسي كان يطغى عليه، ويتضح مما تقدم إقبال أهالي الجزيرة عموماً والرقة خصوصاً على مختلف أنواع العلوم، وهذا ما جعل الرقة مدينة علمية استطاعت أن تنهض ثقافياً شأنها شأن جميع المراكز الثقافية التي ازدهرت في أرجاء الخلافة في العصر العباسي.

ثالثاً- أشهر العلوم التي ازدهرت في الرقة:

ازدهرت الحركة العلمية في الرقة، خاصةً بعد انتقال الرشيد إليها، وأدى هذا إلى تنوع العلوم، وتقدمها بشكل ملحوظ كالطب، والرياضيات، والفلك والتنجيم، والفلسفة،...الخ.

1- الطب:

انقسمت معرفة الطب عند العرب إلى نوعين: **النوع الأول:** معرفة مبنية في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص، ومتوارثة من مشايخ الحي وعجائزه، وربما كان بعض هذه المعرفة صحيحاً إلا أّنه ليس على قانون طبيعي، وفي بعض الأحيان كانوا ينجحون في معالجة بعض الأمراض سواءًبالكي، أو باستخدام النبات، وهذا النوع من العلاج انتشر بكثرة في البوادي.[6]

أّما **النوع الثاني:** فكان معرفة طبية مبنية على أسس علمية صحيحة روادها تعلموا في مدارس خاصة لهذه الصنعة، وتعد مهنة الطب من المهن التي ازدهرت في الرقة في العصر العباسي، حيث

---

(1) البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي: تاريخ بغداد، تح: صدقي جميل العطار، دار الفكر، ط1، بيروت، 1424هـ/2004م، ج6، ص85، سيشار إليه لاحقاً: البغدادي: تاريخ .

(2) البغدادي: تاريخ، ج3،ص322.

(3) البغدادي: تاريخ، ج6، ص367.

(4) البغدادي: تاريخ، ج1، ص385.

(5) الشعيبي: الملامح العلمية، ص170-169.

(6) الألوسي: بلوغ الأرب، ج3، ص327.

كان لاختلاط العرب المسلمين بغيرهم من الشعوب من الفرس والروم والهند أثر كبير في ازدهار الطب على الرغم من الإرث الذي يملكونه في هذه المهنة والذي يعود إلى ماقبل الإسلام.[1]

لقد نشط الخليفة الرشيد في تشجيع العلوم الطبية بحثاً في العلاج ومهارة في الجراحة والتشريح وخبرة في العقاقير وتركيبها[2]، فشجع الأطباء على تأسيس المدارس الطبية والبيمارستانات (المشافي)، وعقد المؤتمرات العلمية التي كان يجتمع فيها الأطباء من كل البلاد حيث يعرض الأطباء نتائج أبحاثهم ويعرضون نبات البلاد الإسلامية، ويصفون خواصها الطبية[3]،وخصص مجلساً طبياً كان يعقد في قصر الرشيد بحضوره وحضور الأطباء جميعاً يأخذ برأيهم لعلاجه أو علاج أحد أفراد أسرته أو وزرائه، أو مناقشة وباءاً منتشراً بين الناس[4]، وقد أنشأ الرشيد بيمارستان في الرقة [5]، ويشير ابن شداد إلى هذا البيمارستان أثناء حديثه عن بدر الدين ابن القاضي مجد الدين بن عبد الرحمن بن إبراهيم قاضي بعلبك، حيث يذكر أنّه خدم في بيمارستان الرقة (الملحق10) وصنف فيه مقالة حسنة في مزاج الرقة[6]، حيث تحول هذا البيمارستان إلى مكان لدراسة الطلاب الذين اجتمعوا فيه وأخذوا يتلقون دروسهم من الأساتذة أكثر مما يأخذونها من الكتب العلمية التي وجدت فيه، وتحول أيضاً إلى ملجأ للمرضى، حيث خصص فيه قسم للأشخاص المصابين بالأمراض العقلية، وأحياناً يبنى بيمارستان خاص لمعالجة مثل هذه الأمراض، أو يخصص لهم جناح للإقامة في دير زكّى وأحياناً يتّم تقييدهم[7]، حيث يذكر ابن حبيب النيسابوري:أنّه عند قدوم هارون الرشيد إلى الرقة مرّ بدير زكّى، فأقبل أهل الدير ينظرون، وفيهم مجنون مقيد.[8]

أمّا عن الخدمات الطبية التي قدمها هذا البيمارستان فيمكن معرفتها من وصية طاهر بن الحسين لابنه عبدالله عندما عين والياً على الجزيرة الفراتية سنة 206هـ/ 821م، حيث قال له: "وأجر للضرائر والعميان من بيت المال، وقدّم حفظة القرآن منهم على غيرهم، وافعل لمرضى المسلمين دوراً

---

(1) حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص288.

(2) موراني: تاريخ العلوم، ص63.

(3) حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص290.

(4) الجومرد: هارون، 348.

(5) الكيالي، طه إسحق: الرقة في تاريخ الطب العربي،. وقائع الندوة الدولية حول الرقة وآثارها، الرقة، 1402هـ/ 1981م، ص175، سيشار إليه لاحقاً : الكيالي: الرقة.

(6) حباب: تاريخ، ص334.

(7) موراني: تاريخ العلوم، ص61. حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص290.

(8) حباب: تاريخ، ص334.

تؤويهم وخداماً يرفقون بهم، وأطباء يعالجون أسقامهم، وأسعفهم بشهواتهم مالم يؤد ذلك إلى إسراف في بيت مال المسلمين". [1]

ومن أشهر الأطباء السريان الذين خدموا الخلفاء العباسيين الطبيب **بختشيوع بن جورجيوس** الذي توفي سنة 184هـ /800م، وقد ترك لابنه **جبريل** كتاباً سماه "التذكرة"[2]، وابنه **جورجيوس ابن بختشيوع** الذي يعد من أفضل الأطباء أحضره المنصور من مدرسة جند يسابور مع تلميذه **عيسى بن شهلاثا**[3]، ويعد **جبريل بن بختشيوع** أشهر الأطباء في العصر العباسي فقد خدم الرشيد والمأمون وغيرهما من الخلفاء، حيث قدم مع الرشيد إلى الرقة وأصبح طبيبه الخاص[4]، لما عرف عنه من إخلاص[5]، وحسن دراية واتقانٍ لمهنة الطب، وله تصانيف جليلة منها كتاب "الكافي"، و"رسالة في عصب العين، وألم الدماغ" [6]، وفي رواية أنّه توفي سنة 213هـ/ 828م، وفي رواية أخرى توفي سنة 219هـ/ 834م[7]، ومن أطباء الرشيد السريان **يوحنا بن ماسوية** ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية، وخدم الرشيد، وبقي في خدمة الأمين والمأمون والمعتصم واستمر حتى عهد المتوكل، وقد عقدت مجالس طبية بينه وبين جبريل في بغداد والرقة، كما اعتمد الرشيد على أطباء من الهند منهم **صالح بن مهلة الهندي**، ونتيجة ازدهار مهنة الطب وكثرة الأطباء أصبح لكل خليفة طبيب خاص أو لكل أمير طبيب يرعاه. [8]

ولم يكن دور الرقة في استقطاب الأطباء والطلاب فقط، فقد برز فيها مجموعة من أعلام هذه المهنة، ونوابغها، منهم **يحيى بن البحتري** أبو الحسن محمد بن محمد[9]، وأبرزهم على الإطلاق في

---

(1) ابن الأثير: الكامل، مج6، ص281-182.

(2) حمدان: أعلام الحضارة، مج1، ص180.

(3) ابن العبري: تاريخ، ص124.

(4) الطبري: تاريخ ، مج5، ص14. الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص257. عياش: حضارة، ص273. ابن رسته: الأعلاق، ص305.

(5) من أسباب ثقة الرشيد بالطبيب جبريل أّنه كان مسافراً ، فقدّم له سمك، وكان قد فسد، ففحصه جبريل وثبت له فساده، ومنع الرشيد من أكله، وأطعم منه حيواناً، فمات فتأثر الرشيد لإخلاصه، الجومرد: هارون، ص248-249.

(6) موراني: تاريخ العلوم، ص63.

(7) حمدان: أعلام الحضارة، مج1، ص270.

(8) ابن العبري: تاريخ، ص131-132.

(9) عياش: الرقة، ق2، ص16.

عصر المعتصم والمتوكل **ثابت بن قرة الحراني** [1]، وهو موسوعي بحث في مجموعة من العلوم، منها الطب حيث بلغت تصنيفاته في الطب 35 كتاباً، ومن ترجماته كتاب ما يعرف "رأياً لجالينوس"، وكتاب" الكيموس" ترجمة ثابت وحبيش بن الأعسم[2]، ويعد كتاب "الذخيرة في الطب" أهم مؤلفاته على الرغم من اختلاف العلماء في تحديد مؤلفه[3]، ومن كتبه الطبية بالسريانية كتاب "الوقفات"، وكتاب "البصر والبصيرة في العين ومداراتها"، وكتاب في "المفاصل" [4]، وإلى جانب ذلك خرّج مجموعة من الأطباء منهم **أبو يوسف** المعروف **بأبي الثناء** والمتوفى سنة 288هـ/ 900م.[5]

ومن خلال استعراض الأطباء الذين قدموا إلى الرقة يمكن التأكيد إنّ هذه المدينة مثل بقية المدن العربية الاسلامية، ساهمت في تطور الطب العربي بحثاً، وترجمةً، وتدريساً وممارسةً حتى أصبحت من أهم الحواضر التي قصدها طلبة العلم والناس للاستشفاء.

2- الرياضيات

من بين العلوم التي ازدهرت في الرقة في بداية العصر العباسي علم الرياضيات، حيث كانت البداية عندما ترجم **ثابت بن قرة** مؤلفات اليونان في الهندسة والرياضيات، وبذلك مهد الطريق لمن جاء بعده لأنّ ترجماته كانت أدق بصورة عامة من النصوص الأصلية، ثّم انتقل إلى مرحلة التأليف في الرياضيات، وله كتاب "المدخل إلى علم العدد"، كما أصلح المقالة الأولى من كتاب أبولونيوس في"قطع النسب المحدد"[6]، وبين العلاقة بين المثلث من خلال أضلاعه، واستخرج القاعدة الخاصة بمعرفة مساحة حجم المخروط والكرة، وأوجد حلولاً للمسائل المتعلقة بإيجاد وسطين متناسقين في مقدارين، كما حدد مسألة القطع المكافئ، وله كتاب في "المربع وقطره"[7]، فكانت أبحاثه بداية الطريق لحساب التكامل والتفاضل، كما أوجد حلولاً لبعض المسائل التكعيبية بطرق هندسية استعان بها فيما

---

(1) الدفاع: العلوم البحتة، ص147. ابن خلكان: وفيات، ص213.

(2) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص185.

(3) كما يقول ابن أبي أصيبعة ألفه أو جمعه لابنه سنان بن قرة بينما ينفي القفطي في أخبار العلماء أن يكون لثابت، ويذهب آخرون مثل سامي الحمارنة في كتاب تاريخ تراث العلوم الطبية أنّ الذخيرة متمثل لثابت بينما هو من تأليف أحد تلامذته أو أتباعه، حمدان: أعلام الحضارة، مج1، ص207-208.

(4) حمدان: أعلام الحضارة، مج1، ص207-208.

(5) حباب: تاريخ، ص333.

(6) حمدان: أعلام الحضارة، مج1، ص193.

(7) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص183-184.

بعد علماء العرب والغرب، كما وضع قاعدة عامة لإيجاد الأعداد المتحابة[1]، وقسّم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية واستخدم الجيب الخاصة الموجودة في المثلثات، فكان أول عربي وشرقي بحث في المربعات السحرية بعد علماء الصين، كما استخرج حركة الشمس وحسب طول السنة النجمية، فكان 365 يوماً وست ساعات وتسع دقائق وعشرثوانٍ[2]، وبذلك مهد الطريق لعالم آخر عاش في الرقة وهو **البتاني**[3] أكبر أحفاد ثابت بن قرة، حيث تنوعت معارفه العلمية في جميع المجالات ومن أهمها الرياضيات[4]، فقد ابتكر فكرة الدوال المثلثية، والمتطابقات المثلثية، وطور نظرية الجيب وما كلمة sinus في اللغات الأوربية إلا ترجمة حرفية للفظة العربية جيب، ويقابل الجيب نصف الوتر، وقد استخدم بطليموس هذه اللفظة خطأً لتدل على نصف الوتر، حيث تصورها أطوالاً بدلاً عن الأعداد، كما ركز البتاني في أبحاثه على المثلث الكروي وخواصه، وابتكر مفاهيم جيب التمام والظل وظل التمام، ولم يكتف بإيجاد الظل، والجيب، وجيب التمام للزوايا من الصفر إلى 90 درجة بمنتهى الدقة بل تجاوز ذلك إلى تطبيق القوانين والعمليات الجبرية على المعادلات المثلثية، كما خالف البتاني أهل اليونان في كثير من حلولهم الهندسية بحسب رأي فلورين كلجوري في كتابه "تاريخ الرياضيات"، واستخرج قيمة زاوية مثلثية بطريقة جبرية، ولم تقتصر أبحاث البتاني على المثلثات الكروية، بل شملت المثلث المستوي، وعندما اطلع الأوربيون على منجزات البتاني اعترفوا بها وترجموا أعماله إلى اللغة اللاتينية. [5]

ومما تقدم يمكن القول: إنّ الرقة ساهمت في تطور علم الرياضيات فعلى أرضها عاش عالمان من أشهر علماء الرياضيات في ذلك الوقت، وساهما في الترجمة والتأليف والبحث والاستنتاج ، وقد أثرت أبحاثهما في الفكر الأوربي لقرونٍ عديدة .

ج- علم الفلك والتنجيم:

---

(1) الأعداد المتحابة: هي أزواج من الأعداد نادرة جداً، ويكون العددين متحابين إذا كان مجموع المضروبات العوامل والأجزاء في أحدهما مساوياً للعدد الآخر مثل 220-284، حمدان: أعلام الحضارة، مج1، ص191.

(2) حمدان: أعلام الحضارة، مج1، ص191-193.

(3) البتاني: هو أبو عبدالله محمد بن جابر بن سنان البتاني، ولد في حران سنة 235هـ/850م، وتنقل بين الرقة وأنطاكية، وتوفي في سنة 317هـ/929م، الدفاع: العلوم البحتة، ص365. ابن خلكان: وفيات، ج5، ص164.

(4) الدفاع: العلوم البحتة، ص174.

(5) الدفاع: العلوم البحتة، ص366-378.

من العلوم التي ازدهرت في الرقة علم الفلك والتنجيم، فقد قسم العرب الفلك إلى اثني عشر قسماً، وسموا كل قسم منها برجاً[1]، ولاشكّ أنّ هناك علاقة تربط بين علم الرياضيات والتنجيم منذ أن بدأ العمل فيه في العصر الأموي، ثّم ارتقى العمل به ليبلغ منزلة متقدمة مع بداية العصر العباسي، حتى إنّ أبا جعفر المنصور عندما أراد بناء بغداد ثّم الرافقة استعان بأحد المنجمين[2]، حيث أصبحت مهنة التنجيم مهنة رائجة في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، لابل حظيت بمكانة عالية في قصور الخلفاء والأمراء ولدى عامة الناس[3]، فنصب أبو جعفر المنصور يوحنا مطراناً للرقة لمعرفته بهذا العلم[4] ، وحكي عن جعفر البرمكي أنّه عندما أراد الانتقال إلى قصره جمع المنجمين لاختيار الوقت الذي يتم فيه الانتقال، فاختاروا الليل، فنفذ ما قالوه[5]،كما أنّ الخليفة المأمون كان حكيماً عالماً بالفلك[6]، ومع بداية عصر المعتصم بدأ زيف التنجيم يتضح، حيث حذّر أحد المنجمين من غزو البيزنطيين، فخالف المعتصم ذلك، وقام بفتح عمورية وانتصر فقال أبو تمام:

السيف أصدقَ إنبـاًءمن الكتبِ   في حدهِ الحدُ بينَ الجدِ واللعبِ[7]

وبدأ الكثير من الدجالين والنساء يمارسون مهنة التنجيم في الأسواق والطرقات مما دفع الخليفة المعتضد 279-289هـ/892-901م إلى منع المنجمين والقصاص من الجلوس في بلاطه وعلى الطرقات، كما انقسم الناس إلى فئتين في موقفهم من مهنة التنجيم: الفئة الأولى المؤيدة: وتمثل المتنورين من أصحاب علم الأحكام، وأصحاب علم الهيئة، قال البيروني: لايمكن للرجل أن يكون منجماً مالم يحظ بأربعة علوم وهي: الهندسة، والحساب، والهيئة، وعلم الأحكام أو النجوم، والفئة

---

(1) الألوسي: بلوغ الأرب، ج3، ص241.

(2) حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص288. الطبري: تاريخ، مج4، ص359. حباب: تاريخ، ص387.

(3) الحمد، محمد عبد الحميد: محمد بن جابر البتاني أعظم فلكي عرفته العرب، منشورات وزارة الثقافة، ط1، 1419هـ/1998م، دمشق، ص157، سيشار إليه لاحقاً: الحمد: البتاني.

(4) الحمد: ماردينيسيوس، ص251.

(5) حكي أنّ المنجمين أشاروا على جعفر بركوب حمار من الموضع الذي يسكنه إلى أن ينزل في قصره والطريق خالية، والناس ساكنون، فلما سار إلى سوق يحيى رأى رجلاً قائماً وهو يقول :

تدبر بالنجومِ وليسَ يدري   وربُ النجمِ يفعلُ مايريد

فسمع الكلام واستوحش، وأمر الرجال، فأحضروه فكررما قاله وأكد له أنه لايقصده، فأمر له بدينارين وانصرف الرجل لكن جعفر تنغص سروره، الجهشياري: الوزراء، ص139.

(6) المؤرخ المجهول: تاريخ، ج2، ص19.

(7) حباب: تاريخ، ص334.

الثانية المعارضة للتنجيم: ومعظمهم الفقهاء وعلماء الحديث، وبعض علماء الكلام، ورجال اللاهوت المسيحي، وكلهم مجمعون على أنّ الأجرام السماوية لا أمثال لها ولا تأثيرات، وحكمها حكم الجمادات، وناصبوا العداء للمنجمين لأنّ علمهم هو ادعاء الغيب، وهذا لا يعلمه إلا الله عز وجل [1]، وعندما اتضح لعلماء العرب والمسلمين أنّ التنجيم لا يزيد عن مجموعة من الخرافات والأوهام ليس لها أساس علمي عملوا على إبطال تلك الخرافات حتى تمكنوا من الرجوع بالتنجيم إلى أساسه العلمي.[2]

ومن الشخصيات العديدة التي زاولت مهنة التنجيم في الرقة وبرعت فيها، أبو القاسم الرقي المنجم، كان يعرف النجوم ويقوم بالأحكام، ويعلم بالأحداث، ويتحقق من ذلك من خلال الزيج[3]، وله اتصالات مع الأمراء[4]، ومن مفاخر مدينة الرقة أنّ أبرز عالم فلكي عربي قد استوطنها ومارس نشاطه العلمي فيها وهو محمد بن جابر بن سنان المعروف بلقب **البتاني** نسبةً إلى قرية بتان التي ولد فيها، والواقعة على المجرى الأعلى لنهر البليخ [5]، وسمي بالرّقي نسبةً إلى مدينة الرقة مكان إقامته.[6]

أنشأ البتاني المتعدد المواهب مرصداً فوق سطح داره في الرقة عرف باسمه، وأخذ يرصد النجوم والكواكب بين سنتي 264- 306هـ/877م- 918م أي حوالي 42 سنة، ومن شروط الرصد أن لا يكون هناك ما يمنع رؤية الهلال والنجوم الثابتة، وأن يكون الهواء صافياً رقيقاً، أّما إذا كان الجو مغبراً يمنع رؤية الكوكب في تلك البقعة فإّنه ينتقل إلى بقعة أخرى، فكان كثيراً ما يتنقل بين الرقة وأنطاكية من أجل أعمال الرصد[7]، وبقي يدّرس علم الفلك وأصول الرصد في مدينة الرقة حوالي 42 سنة، ومن تلاميذه جعفر بن الخليفة المكتفي، حيث برع في التنجيم، وعناصر الرصد عند البتاني ثلاثة وهي:

---

(1) الحمد: البتاني، ص157-159.

(2) الدفاع: العلوم البحتة، ص347.

(3) الزيج: وجمعه أزياج وهي جداول فلكية خاصة بكل كوكب، يعرف العلماء من خلالها مواضع الكواكب، وحركة الشمس والقمر، والأرض، والنجوم، ومساراتها، وأقدم الأبحاث المدونة زيج بطليموس في كتابه المجسطي، الدفاع: العلوم البحتة، ص347-357.

(4) حباب: تاريخ، ص334.

(5) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص187.

(6) حمدان:أعلام الحضارة، مج2، ص282.

(7) حمدان: أعلام الحضارة، مج2، ص282. الحمد: البتاني، ص43. الدفاع: العلوم البحتة، ص365.

1- الركن الأول: بناء بيت للرصد مبني على ربوة عالية يتضمن ثلاث صفات:

أ- يمكن فيه مشاهدة ممرات الكوكب عبر خط منتصف النهار، وهي نقطة تقاطع مساراتها بدائرة منتصف النهار.

ب- أن تكون رؤية جميع الكواكب في بلدة معينة.

ج- أن تكون الكواكب مرئية في هذا البيت خلال النهار مثل الليل.

2- الركن الثاني: تزويد البيت بإسطرلاب، نصف قطره ذراع واحد.[1]

3- الركن الثالث: هو معرفة الوقت والساعة، حين تحديد موقع الشمس أو الكوكب. [2]

وخلال أعمال الرصد التي قام بها استخدم الساعة الشمسية: وهي عبارة عن عمود رأسي على رخامة أو صفيحة مدرجة لحساب ارتفاع الشمس، وهي شبه مسطرة لها شظيتان تسميان اللبنتين، وفي وسط كل لبنة ثقبة تثبتان على ظهر الإسطرلاب [3]، وبها يؤخذ ارتفاع الشمس، والأنبوب أو البريخ، والبتاني أول من صنعها: وتتكون من أنبوبة اسطوانية مجوفة بطول 250 سم، وقطر فتحتها حوالي 50 سم، وتأخذ بالتدرج في الصغر حتى تصبح عند العين 5 سم، وهي مطلية بجوفها بطلاء أسود لمنع انعكاس أشعة الشمس مثبتة على قاعدة، ويستفاد منها في رؤية الهلال.[4]

ويعد زيج البتاني أهم أعمال البتاني، حيث تضمن هذا الكتاب أرصاد البتاني للكواكب الثابتة سنة 299 هـ/911 م، بالإضافة لأعمال البتاني الفلكية التي تتابعت بين سنتي 264- 306هـ/ 877-918م[5]، ويمكن تلخيص منجزات البتاني العلمية في الفلك بما يلي:

1- رصد الزاوية المحصورة مابين المستوي المار بخط الاستواء الأرضي، والمستوي المار بمدار الأرض حول الشمس، وهي ماتدعى بزاوية الميل وبعد عدة أرصاد وجدها 23 درجة و35 دقيقة

2- حسب البتاني طول السنة الشمسية، وحسابه لا يختلف عن اليوم إلا بمقدار دقيقتين.

---

(1) هناك عدة أنواع للذراع، وبالتالي فإنّ أطوالها متفاوتة، ولقد قدر العالم هرتزفلد أنّ قيمة الذراع المستخدمة عند العرب تساوي 51.8 سم.

Sarre,Herzfeld, Archaeologisehe Reise,p11-101-109.Foote,note,1973.

(2) الحمد: البتاني، ص43-44.

(3) الإسطرلاب: هي آلة يمكن للراصد من خلالها تحديد ارتفاع الشمس وسمت القبلة، حمدان: أعلام الحضارة، مج1، ص54.

(4) الدفاع: العلوم البحتة، ص370. الحمد: البتاني، ص45-46.

(5) الشعيبي: البتاني، ص96-97، . مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص191-192. ابن خلكان: وفيات، ج5، ص164.

3- أثبت إمكانية حدوث الكسوف الحلقي للشمس.[1]

4- قام البتاني بتصحيح حركة القمر والشمس، وعمل جداول جديدة بالإضافة إلى تحقيقه لمواقع عدد كبير من النجوم.

5- ظلّ كتابه الزيج مرجعاً مهماً لعلماء الفلك العرب و عند الغرب لسنين طويلة.

6- لم يبلغ أحد في الإسلام ما بلغه البتاني في تصحيح أرصاد الكوكب، وهو أول من اكتشف السمت والنظير. [2]

ومما سبق يتضح مشاركة الرقة لبقية الحواضرالعربية والإسلامية في تطويرعلم الفلك من خلال الأثر الواضح الذي تركه علماؤها في هذا العلم لا على مستوى الأمة الإسلامية فحسب بل على مستوى العالم.

4- الفلسفة:

من العلوم التي ازدهرت في الرقة في العصر العباسي الفلسفة، والفلسفة كلمة يونانية معناها حب الحكمة، ومنها يستنتج أنّ الفيلسوف هو الحكيم، وقد اتفق كل من الفارابي وابن سينا على أنّ الفلسفة هي إثبات الحكمة، والفيلسوف معناه المؤثر للحكمة، ويعلق حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون فيقول: كانت الفلسفة عند العرب لايقصد بها دراسة الحكمة وحدها وإنّما يقصد بها معرفة الطب، والرياضيات، والفلك، والموسيقى، والفلسفة والمنطق هي أولى العلوم التي اهتم بها العرب[3]، حيث ازدهرت في مطلع العصر العباسي، لابل يعد هذا العصر، عصر الإسلام الذهبي وفيه أسس **الشافعي**[4] وهو من عظماء الفقه الإسلامي المذهب الشافعي، و**ابن حنبل**[1] المذهب الذي يحمل

---

(1) الكسوف الحلقي: وهي ظاهرة نادراً ماتحدث، وسببها منزلة القمر وبعده عن الشمس، بحيث لايغطي قرص القمر كل قرص الشمس، فتظهر الشمس على شكل حلقة حول قرص القمر. الباحث.

(2) الدفاع: العلوم البحتة، ص365-369. حمدان: أعلام الحضارة، مج2، ص284. الشعيبي: البتاني، ص98-99.

(3) رفاعي، أحمد فريد: عصر المأمون، دار الكتب المصرية، ط4، القاهرة،1347هـ/1928م، ج1، ص161، سيشار إليه لاحقاً: رفاعي: عصر المأمون. الدفاع :العلوم البحتة، ص64.

(4) الشافعي: هو محمد بن ادريس نسب إلى أحد أجداده من آل عبد المطلب بن عبد مناف، ولد يتيم الأب في غزة سنة 150هـ/ 767م ، فحملته أمه إلى مكة، وعندما بلغ العشرين من عمره التحق بإمام الحجاز مالك ابن أنس، ولازمه يأخذ العلم عنه تسع سنوات، وتجول بين مدن الحجاز والعراق، ومصر حيث أسس المذهب الشافعي، وهو أحد مذاهب أهل السنة الأربعة، وتوفي في مصر سنة 204هـ/819م . زكار: مائة أوائل، ص64-70. كاهن: تاريخ، ص68.

اسمه، **والبخاري**[2] صنف كتابه "الجامع الصحيح"[3]، وعقدت مجالس المناظرة بين الفقهاء والمتحدثين في علم الكلام[4] بحضور الخلفاء [5]، وقد نشطت الترجمة من اليونانية إلى العربية في عصر الرشيد والمأمون، حيث نقلت فلسفة أفلاطون وأرسطو إلى العربية[6]، كما أنّ العرب لم يكتفوا بما نقلوه بل أضافوا إليه شروحاً وافية، كذلك حاولوا إدخال الفلسفة اليونانية في شروح الدين الإسلامي، وجعلها سنداً للعقيدة الإسلامية، ولهم يرجع الفضل في نشر الفلسفة اليونانية في العالم، فقد لاحظ مؤرخو الإسلام أنّ الفلسفة اليونانية قد تلاشت عند الروم، فنشروها في المشرق، بينما لم تزدهر عند الأوربيين إلا في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، بعد اقتباسها من العرب.[7]

ومن أشهر الفلاسفة الذين احتضنتهم الرقة **ثابت بن قرة الحراني**[8] الذي كان بارعاً في العلوم اليونانية، وفي اللاهوت المسيحي، وفي الإسلاميات، فتجاوز نشاطه البيئة المسيحية الضيقة مستفيداً من الانفتاح الفكري الذي وفره الرشيد والمأمون، فترجّم كتاب فضائل النفس لأرسطو طاليس في الرقة لطاهر بن الحسين، سنة 201هـ/816م[9]، وكان من أتباع المذهب الفيثاغوري ومن المؤيدين لرأي

---

(1) أحمد بن حنبل: أبو عبدالله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس، ويعود نسبه إلى أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، ولد في بغداد سنة 164هـ/780م، أخذ عنه العلم جماعة من الأفاضل، تميز بالورع والعلم، وتوفي سنة 241هـ/855م في بغداد، ابن خلكان: وفيات، ج1، ص64.

(2) البخاري: محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري، ويكنى أبا عبدالله، ولد في بخارى سنة 194هـ/809م، يقول عن نفسه أنّه لقي أكثر من ألف رجل من أهل العلم في الحجاز والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر، وتوفي في خرتنك القريبة من سمرقند سنة 256هـ/869م. ابن الجوزي: جمال الدين، عبدالرحمن بن علي: صفوة الصفوة، دار الجيل، ط1، بيروت، 1412هـ/1992م، ج2، ص355، سيشار إليه لاحقاً: ابن الجوزي: صفوة الصفوة.

(3) موراني: تاريخ العلوم، ص154.

(4) علم الكلام: هو العلم الذي يشير إلى التفكير الديني في الإسلام أي العلاقة بين الله عز وجل وكلامه(القرآن الكريم). كاهن: تاريخ، ص72.

(5) رفاعي: عصر المأمون، ج1، ص181.

(6) موراني: تاريخ العلوم عند العرب، ص154.

(7) الدفاع: العلوم البحتة، ص65-66.

(8) ابن خلكان: وفيات الأعيان،ج1، ص213.

(9) يذكر المؤرخ السرياني ميخائيل الكبير في حوادث سنة201هـ/816م أنّ طاهراً بن الحسين كان قد تعب من محاربة المتمردين، فاستقرّ في الرافقة، حيث عكف على القراءة والتفسير ومعاشرة الفلاسفة ، فالتقى بالفيلسوف ثابت بن قرة، وترجم له المقال المنسوب لأرسطو. ديك: ثاوذورس، ص176.

أفلاطون في الفلسفة، حيث كان يؤمن أنّ الأفلاك والكواكب أحياء ناطقة وأنّ النفس متعلقة بهذه الأجسام السماوية[1]، حيث كان واثقاً من قوة أبحاثه ومنطقه، كما أنّ معرفته الكافية بالإسلام واللغة العربية أهلته للتقرب من الأوساط الإسلامية المثقفة، فكان يجادل بالمنطق مع غير المؤمنين بالمسيحية، لابل إنّه حظي بإعجاب البسطاء، ومن خلال مناقشاته كان يرد على اعتراضات المسلمين على إحدى نقاط العقيدة المسيحية مثل خلق كلام الله، وصفات الله[2]، ومن أشهر مؤلفات ثابت بن قرة في الفلسفة والأخلاق اختصار المنطق، وجوامع كتاب أنا لوطيقا الأولى، واختصار كتاب مابعد الطبيعة، وكتاب في الأخلاق، ومختصر الأصول في علم الأخلاق، ورسالة في الطهارة والنجاسة، ورسالة في مذهب الصابئيين ودياناتهم[3]، ومن الفلاسفة الذين اشتهروا في الرقة **ماردينيسيوس التلمحري** الذي ولد في كنف عائلة تمثل الموروث الثقافي والديني للسريان، حيث درس في قنسرين الفلسفة والعلوم اللاهوتية، واليونانية والعربية، كما درس الرياضيات والفلك، ثّم توجه إلى دير العمود قرب الرقة لتلقي العلوم اللاهوتية على يد الفيلسوف ومفسر الكتب اللاهوتية أتانوس، وانتخب بطريركاً في الرقة لمناقبه العلمية والاجتماعية والسياسية حيث ربطته بطاهر بن الحسين علاقة متينة، وابتدأ أعماله بعقد مجمع عام في مدينة الرقة، وإصدار اثني عشر مرسوماً قدم لها برسالة جليلة حدد فيها العلاقة التي تنظم الكنيسة وجمهورها، ثّم طاف في كنائس الجزيرة والعراق ينظم الأمور، ويصلح الشعب، مستفيداً من التسامح الديني الذي أشاعه المأمون، وصداقته مع طاهر بن الحسين. [4]

ومن نتائج انتشار العلوم القرآنية، وتوسع المسلمين في مسائلها أن كثر الجدل والنقاش حول المعتقدات الدينية، وأهدافها وفلسفاتها، فظهر علم الكلام واختلف الناس حول مسائل دينية فلسفية[5]، ومنها مسألة القول في خلق القرآن التي ارتبطت معظم أحداثها في مدينة الرقة، فلم يزل الناس يقولون على قول أهل السلف أنّ القرآن غير مخلوق حتى جاء **المعتزلة**، وقالوا: إنّ القرآن مخلوق فلاحقهم الرشيد، فلّما ولي المأمون خالط قوماً من المعتزلة، وحسنوا له القول بخلق القرآن، وعكف هو الآخر على دراسة المسائل الفلسفية، فأراد أن يحمل الناس على القول بخلق القرآن، وبينما كان يستعد لغزو

---

(1) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص185.

(2) ديك: ثاوذوروس، ص174-176.

(3) حمدان: أعلام، مج1، ص209.

(4) الحمد: ماردينيسيوس، ص200-202.

(5) الجومرد: هارون، ص263.

الروم أرسل إلى عامله في بغداد إسحاق بن إبراهيم أن يمتحن القضاة والمحدثين بخلق القرآن، وقبل وفاته أيضاً أرسل إلى عامله إبراهيم أن يرسل إليه في الرقة الفقهاء والمحدثين الذين رفضوا القول بخلق القرآن، ومنهم أحمد بن حنبل، وبشر بن الوليد الكناني، وأبو حسان الزيادي، وعلي بن أبي مقاتل، والحسن بن حماد، والذيال بن الهيثم، وقتيبة بن سعد، وشيخ من ولد ابن الخطاب، فأرسلهم مقيدين حتى وصلوا الرقة، فبلغتهم وفاة المأمون الذي كان في أدرنة، فأمر والي الرقة عنبسة بن اسحاق بردهم مع الرسول الذي جاء بهم إلى بغداد، وقيل: إنّ أحمد بن حنبل ردّ إلى الرقة وظلّ مسجوناً حتى عهد المعتصم، حيث نقله إلى بغداد فسجن فيها، وضيق على أولاده حتى وفاته 241هـ/855م.[1]

وبناءً على هذا يمكن التأكيد على أنّ مساهمة الرقة في تطور علم الفلسفة لم تقل عن مساهمتها في باقي العلوم، حيث قدمت عدداً من الفلاسفة الذين ترجموا الفلسفة اليونانية وشرحوها، وساهموا في تطور علم الكلام عند العرب المسلمين.

5- الجغرافية:

كانت الجغرافية في مقدمة العلوم التي ازدهرت في الرقة، ومعرفة العرب بهذا العلم وليدة ظروفهم البيئية، حيث ركزوا في بداية اهتمامهم بالجغرافية على الجغرافية الفلكية لارتباطها بمواقيت الصلاة والصيام والحج، كما لم يكن بمقدورهم القيام برحلاتهم إلا إذا عرفوا الشيء الكثيرعن النجوم والكواكب التي اهتدوا بواسطتها وعرفوا أحوال الطقس(الرياح، الحرارة، الأمطار...) وقد جاءت هذه المعرفة الجغرافية إلى العرب عن طريق المذهب الهندي بواسطة الفرس متمثلاً بكتاب السند هند، والمذهب اليوناني عن طريق السريان متمثلاً بكتاب المجسطي [2] الذي ترجم في مدينة الرقة ليحيى بن خالد البرمكي ولابنه محمد، نقله لهما أيوب بن القاسم الرقي، من اللغة السريانية إلى العربية.[3]

وقد تقدم علم الجغرافية بشكل واضح في عصر لرشيد والمأمون خاصةً بعد اتساع نطاق التجارة وتعبيد الطرقات، وجعلها آمنة فكثرت حركة الأسفار، فصنع الجغرافيون صورة للأقاليم(خارطة) ظهرت عليها المناطق والبلدان موضوعة بأسمائها العربية[4]، وقد أدرك العرب بفطرتهم السليمة أهمية

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص337-340.عياش: حضارة، ص283. الحمد: ماردينيسيوس، ص204.

(2) أحمد، علي: تاريخ الفكر العربي الإسلامي، جامعة حلب، حلب، 1418هـ/1997م، ص89-90، سيشار إليه لاحقاً: أحمد: تاريخ الفكر.

(3) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص179.

(4) أحمد: تاريخ الفكر، ص90. حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص287.

الخريطة، كوسيلة إيضاح، فالخريطة تمثل سطح الأرض وتوضح من خلالها المظاهر الطبيعية والبشرية وغيرها.[1]

ومن الإنجازات الجغرافية التي تمت في الرقة خريطة البتاني، حيث ذكرت فيها أسماء المدن والبحار والجبال التي يراد رسمها، ثّم قام بتدريج لوح مستطيل من الأعلى إلى الأسفل، أي من الجنوب إلى الشمال، لأنّ جهة الجنوب هي الشمال عنده، ورسم خطوط الطول التي تستغرق 180 خطاً، ليشمل امتداد العالم عنده من الجزر العامرة في الغرب إلى أقصى الصين في الشرق، وقسّم اللوح إلى 63 خطاً بين خط الاستواء وجزيرة ثولي[2]، هذا هو القسم العامر بالسكان في نظر البتاني، وبمقارنة بسيطة بين خريطة البتاني، وخريطة بطليموس يمكن ملاحظة التطور الكبير الذي توصل إليه البتاني، فبطليموس جعل المحيط الهندي بحيرة كبير مغلقة، أّما البتاني فقد جعله بحراً مفتوحاً يحيط بقارتي أسيا وإفريقيا من الجنوب، كما أنّ بطليموس نفى إمكانية الإبحار نحو الجنوب، بينما أكدها البتاني، وأنكر بطليموس وجود الحياة جنوب خط الاستواء، في حين أنّ البتاني أثبت ذلك، ومن أخطاء البتاني وبطليموس تصورهما لطول العالم القديم أسيا، وأوربا، وأفريقيا 180 درجة، بينما طوله في الحقيقة(130 درجة)، وكذلك تصورهما أنّ خط الاستواء يمر من وسط سيلان، بينما في الحقيقة يمر جنوبها (بـ 7.30 درجة)، وكذلك جعلا طول البحر المتوسط(42 درجة) بينما هو في الواقع(62 درجة)، وعلى الرغم من الأخطاء التي وقع فيها البتاني يمكن القول: إنّ خريطته عدت أكمل خريطة في عصره[3] وعلى الرغم من أنّ العرب لم يتقدموا في فن صنع الخرائط كتقدمهم في المؤلفات الجغرافية ولكن إليهم يعود الفضل في الحفاظ على التراث الخارئطي القديم المتمثل بخريطة بطليموس.[4]

ولم يقتصر دور الرقة في تطور علم الجغرافية على رسم الخرائط، بل أثر الزيج الصابئ الذي صنعه البتاني في الرقة في علم الجغرافية، فلم تمض ثلاثون سنة على تأليفه حتى شاع أثره في كل البلدان العربية والإسلامية، حتى إنّ أهل خراسان اعتمدوا على زيج البتاني في تعديل أبعاد البلاد،

---

(1) الحمد: البتاني، ص206. أحمد: تاريخ الفكر، ص96.

(2) ثولي: جزيرة تقع شمال غرب الدانمرك. الباحث.

(3) الحمد: البتاني، ص207-210.

(4) أحمد: تاريخ الفكر، ص96.

فقوي الظن بأنّ البعد بين الإسكندرية وبغداد هو أكثر مما حدده الجغرافيين في بغداد، ولكن يبدو أنّ نسخ زيج البتاني كانت كثيرة، وقد اختلف النساخ في الأرقام أحياناّ. [1]

وهكذا يمكن تحديد دور الرقة في تطوير علم الجغرافية، حيث شاركت بقية المدن العربية والإسلامية في تطوير هذا العلم إن كان على صعيد ترجمة المؤلفات الجغرافية من اليونانية، أو تصحيح الأبعاد والمسافات بين المدن والبلدان، أو رسم الخرائط وتصحيح الأخطاء الواردة في الخرائط اليونانية القديمة.

6- التاريخ:

التاريخ من العلوم التي اشتهر بها العرب، وأجادوا الكتابة فيها منذ وقت مبكر، وعلم التاريخ: هو العلم الذي يتضمن ذكر الوقائع وأوقاتها وأسبابها، ومظاهر الحضارة، وعوامل سقوطها واضمحلالها، وقد ربط العرب التاريخ بكل العلوم، كالأدب، والاجتماع، والسياسة، والفقه، والجغرافية، والرحلات، والعلوم الطبيعية، فكان بحق علم العلوم. [2]

وعند الحديث عن التاريخ في الرقة يمكن تحديد **مدرستين تاريخيتين: الأولى: المدرسة السريانية** بإرثها الحضاري العريق الذي يعود إلى ماقبل الفتح العربي الإسلامي لها، والتي تطورت بتأثر السريان بمؤرخي العرب فمدرسة السريان تعد كتابة التاريخ من الأعمال الجليلة، وتقليداً لأعمال اليونان والرومان، وكلمة تاريخ بالسريانية تعني البحث عن الأشياء الجديدة بالاهتمام والمعرفة كحدود الأقاليم والمدن والعادات، وفسر مؤرخو السريان الأحداث التاريخية باعتبارها جزءاً من حركة كونية تسير بعناية الله وقدرته لا دخل للإنسان فيها، كما ترجم السريان الكتب التاريخية، فقد أنجز مار يعقوب الرهاوي في الرقة ترجمة عرفت باسم: خرونقيوس أوسا بيوس أي حوليات أوسابيوس، ثّم أكملها ماريعقوب بذيل من عنده حتى سنة 176هـ/792م[3]

ويمثل هذه المدرسة في الحقبة مجال البحث **ماردينيسيوس التلمحري** المتوفى بعد سنة 229هـ/ 843م.

ولد التلمحري حوالي سنة 164هـ/ 780م، في قرية تل محرى القريبة من الرقة، وعائلته مشهورة بحفظها للموروث الثقافي والديني للسريان، وتأثر بكتابات جده لأمه دانيال بن موسى الطور عبديني

---

(1) الحمد: البتاني، ص210-211.

(2) أحمد: تاريخ الفكر، ص81.

(3) ميخائيل الكبير: تاريخ، ج3، ص8. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص176-178. الزوقنيني: تاريخ، ص7. مجموعة من الباحثين: المفصل، مج3، ص173. الحمد: ماردينيسيوس، ص206.

الذي ألف تاريخاً ضاع معظمه، وبقيت منه فصول تؤرخ لأواخر أيام الدولة الأموية، وروى عنه التلمحري أحداث الإحصاء العام الذي جرى زمن الخليفة عبدالملك سنة71هـ/690م، وأعجب التلمحري بالقس قور السروجي ت. 582م الذي دون الاضطهاد الذي نال الكنيسة في عهد الإمبراطور يوسطينوس الثاني 565-578م، حيث أكمل التلمحري هذا الكتاب بتاريخه "تاريخ الزمان"، وتأثر بالتاريخ الكنسي الذي كتبه أخوه تاودوسيوس مطران الرها ت. 217هـ/ 832م، ودون فيه أحداثاً تاريخية ابتدأت منذ بناء الرافقة سنة 155هـ/771م، ولغاية سنة 197هـ/812م.[1]

والكتابة التاريخية عنده نوع من التعبير الاجتماعي يتأثر بالمناخ الفكري الذي عاش فيه المؤرخ التلمحري، وهو الوقت نفسه الذي بدأت فيه حركة تدوين التاريخ العربي على يد مؤرخين كبيرين هما: محمد بن عمر الواقدي ت. 202هـ/817م، وشيخ المؤرخين محمد بن جرير الطبري ت. 310هـ/ 922م.[2]

اعتمد التلمحري على المصادر العربية، واقتبس أسلوب المؤرخين العرب في الكتابة التاريخية مما جعل كتابه تاريخ الزمان محل إعجاب عند مؤرخي السريان، وهو بالنسبة إليهم كالطبري والمسعودي، وتاريخه في أصله السرياني مؤلف من مجلدين قسمهما إلى ستة عشر فصلاً تناولت الأحداث الزمانية الممتدة مابين أعوام 582م، وحتى سنة 229هـ/ 843م، وقد ضاع الكتاب، وبقي منه فصلان نشرهما النعساني، وفيهما وصف لأهرامات مصر، وأحوال الأقباط المعاشية والسياسية، ولإعجاب كبار مؤرخي السريان به نقل مخائيل الكبير المتوفى سنة 595هـ/ 1198م، مقدمة الكتاب والكثير من نصوصه، وأبو الفرج العبري ت. 685هـ/ 1286م، نقل منه في "تاريخه الكنسي"، أمّا كتاب "مختصر الدول" فلم يشر إلى التلمحري بشيء، ولايعرف في الكتابات التاريخية السريانية كاتب رحب بقدوم العرب كالتلمحري، حيث جعلهم محررين[3] للشعوب المستضعفة[4]، كما يعطي التلمحري

---

(1) الزوقنيني: تاريخ، ص23. الحمد: ماردينيسيوس، ص206-207.

(2) أحمد: تاريخ الفكر، ص82-84. الحمد: ماردينيسيوس، ص208.

(3) ظلم الموظفون الرومان والبيزنطيون سكان الجزيرة العرب والسريان، وأجبروهم على دفع الضرائب الباهظة، إلى جانب المجاعات التي كانت تجتاح المدينة، وهذا ما جعلهم يتطلعون للخلاص من الخارج.
.J.W.Privjvers.Cults and Beliefs of Ebassa.leben-1980.P.135

(4) يقول التلمحري: إنّ إله الإنتقال الذي هو وحده المتسلط على الكل يغير ملك البشر كما يشاء، ويعطيه من يشاء، لّما رأى نفاق الروم الذين حكموا، وابتزوا بقسوتهم كنائسنا وأديارنا، وحكمونا بلا رحمة قاد=

= الإسماعيليين (يقصد العرب) من الجنوب ليخلصنا من أيدي الروم ، ونحن لئن أصابنا شيء من الغبن لبقاء كنائسنا الكبرى مغتصبة من قبل الروم، ولكن ما كسبناه ليس بيسير، فقد تحررنا من كيد الروم وشرهم،

تعليلاً للسهولة التي فتح بها العرب بلاد الشام [1]، فالتاريخ عند التلمحري سلاح إيديولوجي يدافع به عن أبناء جنسه، وهو موروث يتدفق من أعماق ذكريات الأجداد[2].

وأما **المدرسة الثانية:** التي ظهرت في الرقة هي المدرسة العربية الإسلامية، فكان يمثلها المؤرخ العربي **القشيري**، وهو محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عيسى بن مرزوق الحراني أبو علي ت. 334هـ/945م، والذي يمثل امتداداً طبيعياً لمدرسة التاريخ العربي الإسلامي[3]، التي يمثلها محمد عمر الواقدي ت. 202هـ/817م، وشيخ المؤرخين محمد بن جرير الطبري ت. 310هـ/ 922م.[4]

لقد غادر القشيري حران قاصداً الرقة نتيجة الصلات المتبادلة والقربى، بالإضافة للقرب الجغرافي سنة 262هـ/875م، وعمره عشرين عاماً، وبقي فيها مؤرخاً ومحدثاً إلى أن توفي سنة 334هـ/945م، بعد أن جاوز ثمانين سنة عند وفاته، وأهم شيوخه أبو داود سليمان بن سيف الحراني، وأبو الحسن بن عبدالملك بن عبد الحميد الميموني من أحفاد ميمون بن مهران، وهلال ابن العلاء، وابن المستام عبد الحميد بن محمد، ومن أشهر تلاميذه الذين أخذوا عنه محمد بن عبدالله بن جامع الدهان، ومحمد بن جعفر بن غندر البغدادي، وأبو بكر بن المقرئ، وفي مطلع حديث ابن المقرئ كان يقول: حدثنا أبو علي الرقي في الرقة الحافظ الشيخ الجليل الفاضل والثقة والأمين، وأهم مؤلفاته "تاريخ الرقة" الذي يتحدث فيه عن أهم الصحابة والتابعين الذين سكنوا في الرقة أو نزلوها، فهو بذلك أقرب إلى المؤرخين الإخباريين منه إلى علماء الحديث ، ومن خلال عرضه للأشخاص يبدأ من فتح العرب المسلمين للرقة، وحتى مرحلة متقدمة من عمره. [5]

وحقدهم المرير ، وتنفسنا الصعداء.الحمد: ماردينيسيوس، ص209.

(1) يذكر التلمحري: أنّ الإمبراطور هرقل الأول عندما حشد جيشاً كبيراً لمجابهة العرب في خريف سنة14هـ/ 635 م بقيادة أخيه تاودور، وبلغ قرية جوسية قرب حمص مرّ على راهب متنسك على عامود، فقال له الراهب:عد بأدّك ستمحق أتباع سويروس يقصد السريان الأرثوذكس محقاً وأنا أضمن لك النصر، فأجابه ثاودور: وأنا من دون قولك مصمم على اضطهاد اليعاقبة، فلّما تشابك الفريقان كان الروم يقطعون كالجذور المرذولة، ويداسون بأقدام العرب، وهذا أفضل تفسير لانتصار العرب في معركة اليرموك من قبل الكنيسة الأرثوذكسية. الحمد: ماردينيسوس، ص209.

(2) الحمد: ماردينيسيوس، ص208–209.

(3) الباحث.

(4) أحمد: تاريخ الفكر، ص82–84. الحمد: ماردينيسيوس، ص208.

(5) القشيري: تاريخ، ص43–44.

ويتضح مما سبق أهمية دور الرقة في تطور علم التاريخ من خلال المحافظة على الإرث السرياني في منهج علم التاريخ، لا بل يمكن القول: إنّ الرقة شهدت مرحلة متطورة لهذه المدرسة بعد تأثر مارديينيسيوس التلمحري بالمدرسة العربية الإسلامية، وكذلك قدمت نماذج من المحدثين والمؤرخين العرب المسلمين ومنهم المؤرخ أبو علي القشيري الذي يمثل امتداداً طبيعياً للمدرسة العربية الإسلامية في التاريخ بكل فنونها وطرقها.

7- الشعر والأدب :

أكثر علوم العرب الشعر، وأوفرها حظاً الأدب، حيث تميزت الرقة بحسن الموقع، ووجود المتنزهات التي جعلت الرشيد يتخذها موطناً له وعاصمةً للخلافة العباسية[1]، وهذا كان سبباً في ازدهارها سياسياً واقتصادياً وفكرياً، فقصد الشعراء قصور الرقة من كل حدب وصوب فرادى أو مجتمعين في أوقات تحدد لهم، فملأت قصورها قصائد المديح بالرشيد، وهم يشيدون ببطولاته ضد الروم البيزنطيين، وصفاته، ومناقبه، حتى إنّه كان يعقد مجلساً للشعراء يحضره كبار الشعراء في قصر السلام، والأبيض، وقصر هرقلة، وقصر الخشب، حيث يتنافس الشعراء في إلقاء القصائد، فاجتمع ببابه من الشعراء مالم يجتمع بباب غيره من قبل[2]، وبذلك سرى في القصر العباسي ذوق محافظ كان له أثره في الشعراء، فكان عليهم أن يتوائموا معه حتى يظفروا بما يبتغون من جوائز كبيرة، وقد أثرى الشعراء من قولهم الشعر، وسكنوا القصور واقتنوا الحدائق الجميلة، وشاهقات الدور، واشتروا الجواري والغلمان، وأمعنوا في شهواتهم ولذاتهم، ونعموا بلذائذ الدنيا، فسهلت ألفاظهم، ورقت طباعهم، كما كانت مجالس الخلفاء تكتظ باللغويين كالكسائي والأصمعي، فكان لابدّ للشعراء من العناية بالشعر وتنقيحه وتهذيبه حتى يظفروا بإعجاب اللغويين واستحسانهم، فيرى ذلك الخلفاء، فيجزلوا لهم بالعطاء، وبذلك أصبح اللغويون سدنة الشعر وحراسه، فمن أشادوا به ارتفع اسمه، ومن لوحوا في وجهه خمل وغدا نسياً منسياً[3]، وفي مقدمتهم منصور النمري، وأشجع السلمي، وأبو الشيص الخزاعي، ومسلم بن الوليد، وأبو العتاهية، والعتابي، وغيرهم من الشعراء الذين نظموا في فنون الشعر جميعها كالوصف، والمدح،والهجاء، والغزل، والحكمة،والفلسفة، وغيرها...، فقد استطاع الرشيد في زمن قصير أن يجعل مدينة الرقة مقاربة لمدينة بغداد في

---

(1) الألوسي: بلوغ الأرب، ج3، ص82. الجومرد: هارون، ص249.

(2) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص213-224.

(3) ضيف، شوقي: العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط4، مصر، 1392هـ/ 1972م، ص139، سيشار إليه لاحقاً : ضيف: العصر العباسي الأول. رفاعي: عصر المأمون، ج1، ص186.

مكانتها السياسية والأدبية والشعرية والعمرانية. [1]

ويمكن تقسيم الشعراء في الرقة في هذه الحقبة إلى مجموعتين:

أ- الشعراء الرقيون: وفي مقدمتهم:

َ1- ربيعة الرقّي ت. 198هـ/813م :

هو ربيعة بن ثابتبن لجأ بن العيزار بن لجأ الأسدي نسبةً، والرّقي موطناً، لم يعرف وقت ولادته، من شعراء صدر الدولة العباسية، ولد ونشأ في الرقة من مدن الجزيرة الفراتية، وكان ضريراً إلا أنّ الله سبحانه وتعالى عوضه عن فقدان بصره بتوفر بصيرته وفطنته، فأخذ الشعر ينساب على لسانه منذ بداية شبابه حتى أصبح شاعراً ذا نباهة بعد سن الأربع والثلاثون، وسرعان ماغادر مسقط رأسه قاصداً بغداد، وهناك التقى معن بن زائدة الشيباني الذي قدم إلى بغداد من اليمن، وكان والياً عليها في عهد أبي جعفر المنصور، ومدح معناً بقصيدة إلا أنّ الممدوح لم يجزل له العطاء، ولم يثّمن الشعر [2].

سافر ربيعة في ريعان شبابه إلى أرمينية وهناك التقى يزيد بن أسد السلمي والي المنصور، ونظم فيه الشعر لكن العلاقة بينهمالم تدم طويلاً، فسرعان ماغادر متوجهاً إلى مصر حيث كان واليها يزيد بن حاتم المهلبي الذي كان يجزل له العطاء، وله فيه قصائد كثيرة، ومنهاقصيدة مدح فيها يزيد بن حاتم، وهجا يزيد السلمي ومنها قوله:

لشتانَ مابينَ اليزيدينِ في الندى يزيدِ سليمٍ والأغرِّ ابنِ حاتمِ [3]

وعندما عزل المنصور ابن حاتم سنة 152هـ/ 769م شيعه ربيعة في قصيدة قال في مطلعها:

بكى أهلُ مصرَ بالدموعِ السواجِمِ غداةَ غدا عنها الأغرُّ ابنُ حاتمِ[4]

---

(1) الجومرد: هارون، ص45. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص212-213.

(2) الحموي، ياقوت: معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت،1411هـ/1991م، مج3، ص333، سيشار إليه لاحقاً الحموي: معجم الأدباء.الأصفهاني: الأغاني، ج16، ص271. العاني: شعر ربيعة الرّقي، ص11. الشعيبي: ربيعة الرّقي، ص87-88.

(3) الأصفهاني: الأغاني، ج16، ص271. الشعيبي: ربيعة الرّقي، ص105-119. فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1388هـ/1968م، ص157، سيشار إليه لاحقاً : فروخ: تاريخ الأدب. ص157. ابن خلكان: وفيات، ج2، ص306.

(4) العاني: شعر ربيعة الرّقي، ص12.

ثّم عاد ربيعة إلى الرقة، وكانت قصائده في الغزل تصل إلى جواري المهدي، فطلبن من المهدي إحضاره إلى بغداد، ففعل حيث أخذه عمال البريد من مسجد الرقة، وأدخل على المهدي فسمعه من وراء ستار، ثّم قال:

يا أميرَ المؤمنينَ اللهُ سماكَ الأمينا
سرقونِي منْ بلادي يا أميرَ المؤمنينا
سرقونِي فاقضِ فيهم بجزاءِ السارقينا

ثّم قال المهدي: قضيت فيهم أن يردوك إلى حيث أخذوك، فأمر بحمله على البريد إلى الرقة.(1)

وفي سنة 185هـ/801م ولي العباس بن محمد عّم الخليفة الرشيد إمارة الجزيرة، وجعل إقامته في الرقة، ففرش له قصر الإمارة، وشحن بالآلات والرقيق، فأراد ربيعة أن يستغل هذه المناسبة فمدحه بقصيدة(2)، فلم يكافئه إلا بدينارين، فهجاه(3)، فغضب الرشيد، وأرسل في طلبه، وكاد يقتله، وبعد ما سمع منه السبب أمر لربيعة بثلاثين ألف درهم، وجعله من ندمائه، وخلع عليه على أن لا يعود إلى هجاء عمه(4)، وقد أتقن ربيعة كل أصناف الشعر كالوصف، والمدح، والهجاء، والغزل، وغيرها من فنون الشعر حتى إنّ ابن المعتز (5) يقول: كان ربيعة أشعر من أبي نواس، وغزل ربيعة سليم عذب (6)، وقد وصف الرقة مدينته التي يعيش فيها قائلاً:

---

(1) الأصفهاني: الأغاني، ج16، ص273. الشعيبي: ربيعة الّرقي، ص90.

(2) منه قوله: لو قيل للعباس يا بن محمد قل: لا وأنت مخلّد ما قالها
ما إن أعدّ من المكارم خصلة إلا وجدتك عمها أو خالها
الأصفهاني: الأغاني، ج16، ص274. فروخ: تاريخ الأدب العربي، ص158،

(3) قال ربيعة يهجو العباس:

مدحتكَ مدحةَ السيفِ المحلّى لتجريَ في الكرامِ كما جريتَ
فهبها مدحةً ذهبتْ ضياعاً كذبتُ عليكَ فيها وافتريت
فأنتَ المرءُ ليسَ لهُ وفاءٌ كأّني إذ مدحتكَ قد رثيتَ

الأصفهاني: الأغاني، ج16، ص274.

(4) العاني: شعر، ص14-15.

(5) ابن المعتز: هو أبو العباس عبدالله بن المعتز الخليفة العباسي، ولد سنة 247هـ/861م ، استلم الخلافة يوم وليلة، وقتل سنة 296هـ/908م، وقد برع في تقليد شعر القدماء، وكان متأثراً بشعر أبي نواس.
بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط2، مصر،1388هـ/ 1968م، ج2، ص54، سيشار إليه لاحقاً: بروكلمان: تاريخ الأدب.

(6) العاني: شعر، ص19.

حبذّا الرقةُ داراً أو بلْد   بلداً ساكنه ُ ممَّنْ تودْ
ما رأينا بلدةً تعدلُها   لا ولا أخبَرنا عنها أحدْ[1]

وعاش ربيعة بقية حياته في يسر وسعة حتى توفي سنة 198هـ/813م.[2]

2- إسحق بن سماعة المعيطي زمن المأمون:

شاعر محسن كان ينزل الرقة وله قرى فيها عاش زمن المأمون، وكان سليمان بن أبي جعفر المنصور والياً على الرقة من قبل المأمون، فلم يعرف لابن سماعة موضعه ورده عن حاجته، فأخذ إسحق بن سماعة يهجو سليمان بن أبي جعفر، فاستأذن المأمون في حبسه، فأذن له فحبسه وجلده إلى أن مات في السجن.

ب- أبرز الشعراء الذين قدموا إلى الرقة:

1- منصور النمري ت. 190هـ/805م:

وهو منصور بن الزبرقان بن سلمة، وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان بن شؤيك بن مطعم الكبش الرخم، ويعود بنسبه إلى أسد بن ربيعة بن نزار بن النمر بن قاسط، وهو من شعراء الجزيرة، كان مولده ومسكنه في بلدة رأس العين، تتلمذ على يد كلثوم بن عمرو العتابي، الذي وصله بالفضل بن يحيى البرمكي، فوصله يحيى بالرشيد وأمر الرشيد بإحضاره فأنشده:

موسى وهارونُ هما اللذان   في كتبِ الأخبارِ يوجدان
منْ ولدِ المهديِّ مهديان   قدّا عنانين[3] على عنانِ[4]

ومع أنّ النمري كان يتشيع، ويدين بالإمامية سراً، فإنّه اضطر في سبيل التقرب إلى الرشيد أن يسلك نهج مروان بن أبي حفصة في تفضيل آل العباس على آل علي من غير أن يصرح بهجائهم، كما كان من فحول الشعراء المحدثين، وهو بطيء النظم ينقح شعره الذي تضمن المديح، والهجاء، والغزل، والوصف.[5]

---

(1) عياش: حضارة، ص286. الشعيبي: ربيعة الرّقي، ص63. العاني: شعر، ص41.

(2) العاني: شعر، ص15.

(3) عنانين: مفردها عنان، وهو اللجام الذي تمسك به الفرس، ويقال: قدا عنانين أي تساوا في الفضل والشرف. مجموعة من المؤلفين: المعجم الوسيط، ج1، ص632.

(4) الأصفهاني: الأغاني، ج13، ص157-160. فروخ: تاريخ الأدب، ص139.

(5) فروخ: تاريخ الأدب، ص139-140.

وقد لازم الرشيد الرقة مما جعل زوجه زبيدة مضطربة البال تفكر في وسيلة تعيد الخليفة إلى بغداد فقالت لبعض الشعراء: من وصف مدينة السلام في أبيات يشوق أمير المؤمنين إليها أغنيته، فنظم في ذلك جماعة منهم منصور النمري الذي قال قصيدة من أبياتها:

ماذا ببغدادَ من طيبِ الأفانينِ   ومن عجائبَ للدنيا والدينِ
تحيا النفوسُ إذا أرواحُها نفحتْ   وخرشَتْ بين أوراقِ الرياحينِ
مناظرُ ذاتُ أبوابٍ مفتحةٍ   أنيقةٍ بزخاريفٍ وتزينِ

فوقعت أبياته بيد الرشيد، وانحدر إلى بغداد، فوهبت زبيدة للنمري جوهرة، ثّم دست له من يشتريها بثلاثمائة ألف درهم، وقيل أعطته ألفي دينار، ولكن هذا لم يمنع الرشيد من العودة إلى الرقة[1]، ولم تكن صلة منصور بالرشيد وثيقة في كل الأوقات، فقد كان يغضب على منصور مرة ويرضى عنه مرات لتلونه في مذهبه، وتبدل موقفه السياسي تجاه الخليفة وبني العباس حتى امتعض منه أخيراً وأرسل أحد رجاله إلى الرقة ليقتله، فلّما وصل الرجل إلى باب الرقة وجد جنازة منصور قد استقبلته، فقال: خلصه الموت، وانكفأ راجعاً إلى الرشيد، فكانت وفاته سنة 190هـ/805م، ومن أشهر قصائده في الرشيد مطولته العينية، التي أنشده إياها في الرقة، وكان يصاحبه الشاعر أشجع السلمي ومنها:

ما تنقضي حسرةٌ مني و لا جزعُ   إذا ذكْرتُ شباباً ليسَ يرتجعُ
ما كانَ أحسنَ أيامِ الشبابِ وما   أبقى حلاوةَ ذكراهُ التي تدعُ

حتى يقول:

إنّ الخليفةَ هارونَ الذي امتلأتْ   منهُ القلوبُ رجاًء تحتهُ فزعُ
مفروضةٌ في رقابِ الناسِ طاعتهُ   عاصيهِ منْ ربقةِ الإسلامِ منقطعُ
أيُّ امرئٍ باتَ منْ هارونَ في سخطٍ   فليسَ بالصلواتِ الخمسِينتفعُ

وكان الرشيد قد جّرد السيف في ربيعة، فلّما وقعت أبياته بيد الرشيد ضرب الأرض وقال: الشعر في ربيعة، ورفع عنهم السيف إكراماً لهذه القصيدة وصاحبها.[2]

2- أشجع السلمي ت. 195هـ/811م:

كان أشجع بن عمرو السلمي يكنى أبا الوليد من ولد الشريد بن مطرود السلمي، تزوج

(1) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص213. ابن المعتز: طبقات الشعراء، تح: عبد الستار فراج، دار المعارف، د.م، ص246،سيشار إليه لاحقاً: ابن المعتز: طبقات.

(2) الأصفهاني: الأغاني، ج13، ص165-170. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص213-214.

أبوه امرأة من أهل اليمامة، فشخص معها إلى بلدها، ونشأ باليمامة، فمات أبوه ثّم قدمت به إلى البصرة فماتت فعاش أشجع في البصرة، وقال الشعر وأجاد فيه، وفي ذلك الوقت كان معظم الشعراء من قبيلة ربيعة، ولم يكن لقيس شاعر معدود يمكنها الافتخار به، فلّما تألق بالشعر افتخرت به قيس وأثبتت نسبه[1]، وبادلها فخراً بفخر مثل قوله:

إذا افتخَرتْ قيسٌ بطيبِ العناصرِ   على الناسِ طاطا رأسه ُكلُّ فاخرِ[2]

وله أخوان هما: أحمد، وحريث ابنا عمرو، وكان لأحمد شعراً في الغزل لكن لم يقارب أشجع، ثّم خرج أشجع إلى الرقة والرشيد بها، فنزل على بني سليم فتقبلوه وأكرموه، ومدح البرامكة، وانقطع إلى جعفر خاصةً فأعجب به، وأوصله إلى الرشيد، فمدح الرشيد في قصيدة مطلعها:

تذكر عهدَ البيضِ وهَو لها تربُ   وأيَام يصبي الغانياتِ ولا يصبو

لكّنه بدأ المديح بقوله:

إلى ملكٍ يستغرقُ المالَ جوده ُ   مكارمه ُ نثٌر ومعروفه ُ سكبُ
ومازالَ هارونُ الرضا بنُ محمدٍ   له ُ من مياهِ النصرِمشربٌ ُها العذبُ

وأعجب به أيضاً، فأثرى وحسنت حاله في أيامه[3]، وفي كتاب "الأغاني" وقفات وأشعار ألقاها أشجع في قصور الرشيد في الرقة بمناسبات عديدة، وبالمقابل كان الرشيد يجزل له العطاء[4]، ومنها قصيدته في مدح قصر السلام ومن أبياتها:

قصرٌ عليِه تحيةٌ وسلاُم   ألقتْ عليِه جمالَها الأيأُم
قصرتْ سقوفُ المزنِ دونَ سقوفِه   فيِه لأعلامِ الهدى أعلاُم[5]

ومن القصائد التي ألقاها أشجع في الرقة قصيدة وصف فيها انتصار الرشيد على نقفور وفتحه لهرقلة من أبياتها:

برقتْ سماؤكَ في العدوِّ وأمطرتْ   هاماً لها ظلُّ السيوفِ غماُم
وعلى عدوِّكَ يابنَ عمِّ محمدٍ   رصدانِضوء ُ الصبحِ والإظلاُم
فإذا تنبه َ رعته ُ و إذا غفا   سلّتْ عليِه سيوفكَ الأحلاُم

(1) يورد ابن العديم رواية تؤكد أّن أصل أشجع من الرقة ثّم انتقل إلى البصرة قبل أن ينتقل إلى بغداد ويتصل بالبرامكة. ابن العديم: بغية، مج4، ص1866. الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص219.

(2) ضيف: العصر العباسي الأول، ص335.

(3) الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص219–220. فروخ: تاريخ الأدب، ص144.

(4) كان الرشيد قد أعجب بهذه القصيدة، فأمرلأشجع بعشرين ألف درهم، الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص242.

(5) ابن العديم: بغية، مج4، ص1866–1869.الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص221–241.

ولّما بلغه هذا البيت من القصيدة اهتز الرشيد، وأمر بأن ينثر عليه الدر إعجاباً واستحساناً.[1]

توفي هارون الرشيد سنة 193هـ/808م، فرثاه[2] أشجع بأربع قصائد، وأشهرها اللامية التي ذكر فيها مناقب الخليفة، وماحلّ بمنازله في الرقة من حزن، وكآبة وأسى، من أبياتها:

منازلُ هارون الخليفةِ أصبحتْ لهنَّ على شاطي الفراتِ عويلُ

منازلٌ أمستْ في السياقِ نفوسُها سلبنَرداءُ الُملك وهَو جميلُ [3]

توفي أشجع السلمي في الرقة بعد وفاة الرشيد بنحو عامين أي في سنة 195هـ/ 811م[4]

3- ابن رزين الخزاعي المشهور بأبي الشيص ت. 196هـ/811م:

أبو الشيص هو محمد بن عبدالله بن رزين بن سليمان من بني عامر بن ثعلبة، ابن عم دعبل الشاعر، وقيل عمه، ولد في الكوفة، ونشأ فيها، ولّما عرف أّنه لن يلحق شأو كبار الشعراء، اقتصر على مدح أمير الرقة عقبة بن الأشعث الخزاعي، ومنها قوله:

وركائبُ صرفتْ إليكَ وجوهَها نكباتُ دهرٍ، للفتى عضاضُ

إّن الأمانَ منْ الزمانِ وريبهِ ياعقبُ، شطا بحرك الفياضُ

وعندما قدم الرشيد إلى الرقة في إقامته الطويلة وفد إليه أبو الشيص، واتصل به، ومدحه بعد هزيمة نقفور بقصيدة لم يبق منها إلا ثلاثة أبيات، وهي:

---

(1) ابن العديم: بغية، مج4، ص1866-1869. ضيف: العصر العباسي الأول، ص339. فروخ: تاريخ الأدب، ص144.

(2) من مراثي أشجع للرشيد:

غربتْ بالمشرقِ الشمـ ـس فقلْ للعينِ تدمعُ

ما رأينا قط شمساً غربتْ منْ حيثُ تطلعُ

الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص257.

(3) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص215.

(4) ومن المصادفات العجيبة ما جاء في كتاب الأغاني أنّ أشجع مّر مع أخويه أحمد ويزيد بقبر الوليد بن عقبة، وإلى جانبه قبر أبي زبيد الطائي، فوقفوا على القبرين، وتحدثوا عن أخبارهم فأنشأ أشجع يقول:

مررتُ على عظامِ أبي زبيدٍ وقْد لاحتْ ببلقعةِ صلودِ

وكانَ لهُ الوليدُ نديّم صدق فنادَم قبرهُ قبَر الوليد

أنيسا ألفةٍ ذهبتْ فأمستْ عظامهمُا تأنُس بالصعيدِ

وما أدري بمنْ تبدا المَنايا بأحمدٍ أو بأشجعٍ أو يزيدِ

يقول راوي الخبر: فماتوا والله كما رتبهم أشجع في شعره أحمد، ثّم أشجع، ثّم يزيد، الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص260-261.

شددتَ، أميرَ المؤمنينَ، قوى الملكِ	صدعتَ بفتحِ الرومِ أفئدةَ التركِ
قريتَ، سيوفَ اللهِ، هَامَ عدوهِ	وطأطأتَ للإسلامِ ناصيةَ الشركِ
فأصبحتَ مسروراً، ولا بغي ضاحكاً	وأصبحَ نقفورُ على ملكهِ يبكي

ويقول البكري في اللآلئ إنّه أحسن التغزل، ولكن مسلم بن الوليد، وأشجع السلمي، وأبا نواس غلبوا عليه، ولأبي الشيص خمريات ومراثٍ بكى بها عينيه لما عمي في شيخوخته، حيث قتله غلمانه وهو سكران سنة 196هـ/811م[1]

4- مسلم بن الوليد ت. 208هـ/813م:

هو أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري مولى الأنصار، ولد في الكوفة سنة 130هـ/ 749م، وفيها نشأ، ثّم انتقل إلى بغداد أيام الرشيد قبل نكبة البرامكة، وكان أول اتصال لمسلم بالفضل بن يحيى، فوصله الفضل بالرشيد[2]، وهو أول من قال الشعر المعروف بالبديع، وكان جيد القول في الشراب، وكثير من الرواة يقرنه بأبي نواس[3]، وقد أقام في الرقة إبان وجود الخليفة هارون الرشيد فيها، وزار الرصافة، وطاف في أنحاء البليخ، وكان لذلك كله أثر في شعره، ومن طريف ما يروى أنّ مسلماً كان قد مدح الأمير يزيد بن مزيد الشيباني، وهو أحد القادة الشجعان، من دون أن يعرفه، ولا رآه يزيد نفسه، وكان مدح مسلم ليزيد تعبيراً عن إعجابه بشمائله ومآثره النادرة ، وكان الرشيد قد سمع هذه القصيدة، وحفظ أبياتاً منها[4]، فرواها ليزيد وهما في الرقة، وسأله عن قائلها فقال يزيد: لا والله ما أدري، فقال الرشيد: أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله؟ فخرج من عنده خجلاً، وسأل عن قائل هذا الشعر فقيل له إنّه مسلم بن الوليد، فأمر بإحضاره، فسأله عن سبب تأخيره عنه؟ فأجاب مسلم: قلة ذات اليد، فطلب منه إنشاده القصيدة التي مدحه بها، والتي مطلعها:

أجررتَ حبلَ خليعٍ في الصبا، غزلٍ	وشمرنَ همَم العذالِ في عذلي
هاجَ البكاَء على العينِ الطموحِ هوًى	مفرقٌ بينَ توديعٍ ومرتحلِ

---

(1) بروكلمان: تاريخ الأدب، ج2، ص69. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص216. البغدادي: تاريخ، ج2، ص238-239.

(2) فروخ: تاريخ الأدب، ص177.

(3) الأصفهاني: الأغاني، ج19، ص36.

(4) أنشد الرشيد يزيد بيتين هما:

سلْ الخليفةَ سيفاً منْ بني مطرٍ	يمضي فيخترقُ الأجسادَ والهاما
كالدهرِ لاينثني عما يهُم بهِ	قدْ أوسع ِ الناسَ إنعاماً وإرغاماً

الأصفهاني: الأغاني، ج19، ص44.

ولّما انتهى من إنشاده أخبره يزيد عن سبب تأخره عن مسلم، وأدخله على الرشيد فأعطاه الرشيد مائتي ألف درهم، فلّما انصرف إلى بيت يزيد أعطاه مئة وتسعون ألف درهم، وقال: لا يجوز أن أعطيك مثل ما أعطاك أمير المؤمنين، وأقطعه إقطاعات تبلغ غلتها مائتي ألف درهم.(1)

وخلال إقامة مسلم بن الوليد في الرقة زار مواقع عديدة خلّدها في شعره عندما عاد إلى الكوفة منها قوله:

ألم تَرَ أنّي بأرضِ الشآمِ أطعتُ الهوى وشربتُ العقارا
لقد كدتُ منْ حبِّ خمرِ البليخِ أنْ أجعلَ الشاَم أهلاً ودارا(2)

5- أبو العتاهية ت. 211هـ/ 826م:

أبو العتاهية لقب غلب عليه ومعناه المتحذلق، واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، مولى عنزة، وكنيته أبو إسحق، ولد سنة 130هـ/747م في بلدة عين التمر قرب الكوفة، وفي الكوفة نشأ، وامتهن فيها مهنة الفخار، ثّم قال الشعر فبرع فيه وتقدم، ووفد إلى بغداد في مطلع خلافة المهدي 158هـ/ 774م ، حيث مدح المهدي، ونال جوائزه، ويتصف بأّنه مكثر للشعر، سهل الألفاظ خاصةً في شعر الزهد، قريب المعاني، قليل التكلف(3)، وعند انتقال الرشيد إلى الرقة رافقه أبو العتاهية، ثّم تنسك، وحمل لواء الزهد في الرقة، وسخّر شعره لذلك، وقد روى الأصفهاني عن محمد بن أبي العتاهية قوله: كان أبي لا يفارق الرشيد في سفرٍ ولا حضر، إلا في طريق الحج، وكان يجري عليه في كل سنة خمسين ألف درهم، سوى الجوائز، فلّما قدم الرشيد الرقة لبس أبي الصوف وتزهد، وترك حضور المنادمة والقول في الغزل، وأمر الرشيد بحبسه، فحبس، فكتب إليه من وقته:

أنا اليوَم لي والحمدُ للهِ أشهُر يروُح عليَّ الهمُّ منكْم ويبكُر
تذكْر أمينَ الله حقّي وحرمتي وما كنتَ توليني لعلكَ تذكُر

فلّمقرأ الرشيد هذه الأبيات قال: لا بأس عليك، فكتب إليه أبياتاً منها:

أرقتُ وطاَر عنْ عيني النعاسُ ونَام السامرونَ ولم يواسوا
أمينَ اللهِ إنّ الحبسَ بأسٌ وقد أرسلتُ ليس عليكَ باسُ
أمينَ اللهِ أمنكَ خيُر أمنٍ عليكَ من التقى فيهِ لباسُ

---

(1) الأصفهاني: الأغاني، ج19، ص41-42. فروخ: تاريخ الأدب، ص178. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص217.

(2) مجموعة من المؤلقين: الرقة، ص218.

(3) الأصفهاني: الأغاني، ج4، ص3. فروخ: تاريخ الأدب، ص190-191. البغدادي: تاريخ، ج1، ص350.

ثّم أمّر بعد ذلك بإطلاق سراحه.[1]

وقد خلّد أبو العتاهية انتصارات الرشيد في هرقلة بأشعار عديدة منها:

ألا نادتْ هرقلةُ بالخرابِ　　من الملكِ الموفقِ بالصوابِ
غدا هارونُ يرعُد بالمنايا　　ويبرقُ بالمذكرةِ القضابِ
أميَر المؤمنينَ ظفرتَ فاسلْم　　وأبشْر بالغنيمةِ والإيابِ [2]

وعندما دفع نقفور الجزية أنشده أبو العتاهية قائلاً:

إمَام الهدى أصبحتَ بالدينِ معنّيا　　وأصبحتَ تسقي كلَّ مستمطرٍ ريّا
لكَ اسمان شُقاّ منْ رشادٍ ومنْ هدى　　فأنتَ الذي تدعى رشيداً ومهدّيا[3]

ولم تكن الريح دائماً تجري رخاًء بين الرشيد وأبي العتاهية، فكان الرشيد يغضب عليه حيناً، ويرضى عنه حيناً آخر عندما يشفع له الوزير الأديب الفضل بن الربيع[4].

6- كلثوم بن عمرو التغلبي المشهور بالعتابي ت. 220هـ/ 835م:

هو أبو عمرو، وقيل أبو علي، كلثوم بن عمرو بن أيوب العتابي التغلبي، من نسل عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي، أصله من الشام من أرض قنسرين، ومسكنه رأس العين، ولد سنة 135هـ/752م، ولم تعرف له نباهة قبل الرشيد، له مصنفات في المنطق والآداب، والحكم، وهو من الخطباء الشعراء حيث كان يجمع الخطابة، والشعر الجيد، والرسائل الفاخرة، وهو مقلاً في شعره ينقحه، ويتخير الألفاظ الجزلة، والصور البلاغية الجميلة، مع الإتيان بالبديع[5]، ويشبه في المحدثين

---

(1) الأصفهاني: الأغاني، ج4، ص67-68. بروكلمان: تاريخ الأدب، ج2، ص34. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص218.

(2) الطبري: تاريخ، مج4، ص670. السيوطي: تاريخ، ص308.

(3) الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص248.

(4) أرسل أبو العتاهية رسالة وهو في مدينة السلام إلى الفضل بن الربيع في الرقة طالباً منه أن يكلم الرشيد في أمره فأبطأ، فكتب إليه أبو العتاهية:

أجفوتني فيمنْ جفاني　　وجعلتَ شأنك غيَر شأني
ولطالما أمنتنْي　　مما أرَى كلّ الأمانِ
حتى إذا انقلبَ الزمانُ　　علّي صرتَ مع الزمانِ

فكلّم الفضل الرشيد فرضي عنه، وأمره بالشخوص إلى الرقة، مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص219.

(5) قال مالك بن طوق للعتابي: أما ترى عشيرتك، ويعني بن ثعلبة كيف تتطاول علّي، وتتكبر، وأنا أصبر، فقال العتابي: أيها الأمير، إّن عشيرتك من أحسن عشرتك، وإن ابن عمك من عمك خيره، وإّن قريبك من

بالنابغة الذبياني في الجاهلية[1]، ومن تلاميذه منصور النمري الذي كان يجله لعلمه وأدبه وديانته، وكان أول اتصاله مع البرامكة، فوصفوه للرشيد، ووصلوه به، فبلغ عنده منزلة عالية[2]، وتردد العتابي على بلاط الرشيد في الرقة، فكان مداحاً للرشيد، وله فيها منزل يقيم فيه، كما زار المدن الكبرى، ومراكز الثقافة والأدب، وكان الرشيد يعتب على العتابي عندما ينقطع عنه، فيرسل إليه، وعندما تصله رسائل الرشيد الشفوية أو الكتابية يأتي إليه في الرقة حاملاً له قصائد في المدح والثناء والاعتذار عن الانقطاع.[3]

7َ- أحمد بن سيار الجرجاني ت. ...؟:

راوية وشاعر،عاش في عهد الرشيد كان مداحاً ليزيد بن مزيد الشيباني، وهو أول الشعراء المغمورين روى الأصفهانيأنّه دخل هو وأشجع والتيمي على الرشيد في قصر السلام في الرقة، فأنشد ه أشجع، ثّم أنشده أحمد بن سيار:

زمن بأعلى الرقمتين قصير حتى انتهى إلى قوله:

لا تبعُد الأيُام إذ ورقُ الصبا   خضلٌ وإذا غضُ الشبابِ نضيُر

فاستحسن الرشيد هذا البيت، فوجه إليه الفضل بن الربيع أن ينشدها على الجواري، حتى يصنعنّ منها لحناً.[4]

8َ- محمد بن يوسف التيمي ت ...؟:

ويدعى عبدالله بن يوسف، ويكنى بأبي محمد، وقيل: الحجاج بن يوسف، وهو ثاني الشعراء المغمورين، وقد وفد مع الشعراء الذين قدموا إلى الرقة، ولم يستطع أحد من الشعراء إخبار الرشيد عن نقض نقفور العهد، إلا هو[5]، وعندما تمكن الرشيد من فتح هرقلة أنشد:

قّرب منك منفعة، وإّن أحبّ الناس إليك من كان أخفهم ثقلاً عليك، وأنشده:

ّلي بلوتَ الناس في أحوالهُم   وخبرت ما وصلوا منْ الأنسابِ

فإذا القرابة لا تقربُ قاطعاً   وإذا المودة أوكُد الأسبابِ

الحموي: معجم الأدباء، مج5، ص20.

(1) الحموي: معجم الأدباء، مج5، ص18 . فروخ: تاريخ الأدب، ص218-219. بروكلمان: تاريخ الأدب، ج2، ص36.

(2) الأصفهاني: الأغاني، ج13، ص122.

(3) الأصفهاني: الأغاني، ج13، ص138. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص220.

(4) ابن العديم: بغية، مج4، ص1870.الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص222

(5) الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص250. مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص222-223.

هوتْ هرقلةُ لّما أنْ رأتْ عجباً حوائما ترتمي بالنفطِ والنارِ
كأنَّ نيراننا في جنبِ قلعتهْم مصبغاتٌ على أرسانِ قصّارِ [1]

وعندما انتهى من الإنشاد، أعظم الرشيد الجائزة للشاعر التيمي. [2]

9َ- علي بن الخليل...؟:

علي بن الخليل الملقب بأبي الحسن، وهو مولى ليزيد بن مزيد الشيباني، ولد في الكوفة، واتهم بالزندقة، فطلبه الرشيد عند قتله للزنادقة، فاستتر طويلاً، ثّم قصد الرقة وفيها الخليفة الرشيد، وقد جلس للمظالم، فدخل ابن الخليل، والرشيد لا يعرفه، وكان شيخاً حسن الهيئة، حسن الخطاب، ومعه قصيدة يشير بها،فأمر الرشيد بأخذها منه، فقال: ياأمير المؤمنين، أنأ أحسن قراءةً لها من غيري، فأذن لي في قراءتها، ففعل، فقال: إّني شيخ كبير، ولا آمن الاضطراب إذا قمت، فإن رأيت أن تأذن لي في الجلوس فعلت، فقال الرشيد: اجلس، وأنشده قصيدة في مدحه، ومنها قوله:

يا خيَر منْ وجدتْ بأرجلِه نجبُ الركابِ بمهمةٍ جلسِ
لّما رأتكَ الشمسُ طالعةً سجدتْ لوجهكَ طلعةَ الشمسِ

وختم قصيدته بقوله، مظهراً إيمانه وصدق عقيدته:

واللهُ يعلُم في بنيتِهِ ما إنْ أضعتَ إقامةَ الخمسِ

فقال له الرشيد: من أنت؟ قال: علي بن الخليل، ثّمقال الرشيد: الذي يقال إّنه زنديق اذهب أنت آمن، وأمر أن لايعرض له أحد بسوء[3].

ج- أبرز الأدباء الذين قدموا إلى الرقة:

1َ- الأصمعي ت. 216هـ/831م:

هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع من بني مالك بن أعصر من قيس عيلان من مضر، ولد في البصرة سنة 123هـ/ 740م، وأخذ العلم عن كثير من العلماء منهم عيسى بن عمر الثقفي، وشعبة بن الحجاج، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، ومسعر بن كدام الهلالي، وقد أخذ قراءة القرآن ومعظم علوم العربية عن أبي عمرو بن العلاء، كما أخذ الشعر عن خلف بن الأحمر، ولقي الرشيد في البصرة، ووفد عليه إلى بغداد، وهو بعد أمير، وقد أدخله الفضل

---

(1) الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص253.

(2) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص223.

(3) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص223-224.

ابن الربيع على الرشيد، فسمع منه أسماء أعضاء الفرس، والشواهد عليها في أشعار العرب [1]، ورافقه إلى الرقة، وبقي معه طيلة إقامته فيها[2]، وله في الرقة طرف وحوادث عديدة، وأشعار قالها في مناسبات عديدة[3]، كان الأصمعي صاحب لغة، ونحو وإماماً في علم الشعر ورواياته ونقده، كما كان ثقةً في الأخبار بارعاً في النوادر، كثير الحفظ، حسن العبارة، وكثير الاحتراز في تفسير الكتاب(القرآن الكريم)، والحديث النبوي، وعلى الرغم من أنّه يمثل دور المضحك في مجتمع الخلافة، فقد كان الأصمعي مثال المسلم الواعي الدقيق في درسه، وله مؤلفات عديدة من أهمها خلق الإنسان، الأجناس والأنواء، الهمز، والمقصور والممدود، وخلق الفرس، والوحوش، وغيرها، توفي في خراسان سنة 216هـ/831م. [4]

8- الموسيقى والغناء:

العرب منذ القديم شعب يحب الغناء، حيث ترافقهم الموسيقى من المهد إلى اللحد، وقد عرفوا المغنيين والمغنيات منذ ما قبل الإسلام، حتى إنّ وجود المغنية ضروري في بيوت الأغنياء، ومع بداية العصر العباسي بلغت الموسيقى العربية بطابعها الشرقي قمة أوجها، فقد عرف العرب الكثير من آلات الطرب البيزنطية مثل الأرغن والهارب، كما اخترعوا آلات وترية كالعود، والآلات الوترية ذات القوس كالربابة، وآلات النفخ كالناي الصغير والناي الخشبي ذي المبسم، والطبول، كما أنّ العرب هم أول من أوجد الموسيقى المتعددة الأصوات بالعزف على أكثر من وتر، وقد درس الموسيقيون العرب في مؤلفاتهم ماهية الموسيقى، وماهية النغم المطلق والأوتار، والأوزان، والإيقاع[5].

لاشكّ أنّ اهتمام الخلفاء بشكل خاص بالموسيقى يشجع الموسيقيين والمغنيين على العمل والإبداع حتى إنّها أصبحت حرفة ومهنة، ومصدر رزق للمغني أو العازف يعيش من خلالها لاسيما في الحقبة مجال البحث من العصر العباسي، فالخليفة هارون الرشيد عندما نقل مركز خلافته إلى الرقة، نقل معه أشهر المغنيين الذين كانوا في بغداد، إلى قصوره، فأجزل لهم العطاء، وهذا ما شجعهم على الإبداع، فكان يأمر بوضع ستار بينه وبين المغنيين تحاشياً لصدور حركات منه عند النشوة لا

---

(1) فروخ: تاريخ الأدب، ص205. بروكلمان: تاريخ الأدب، ج2، ص147.

(2) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص72-73.

(3) المسعودي: مروج، مج3، ص372-373. الجومرد: هارون، ص226.

(4) فروخ: تاريخ الأدب، ص205. بروكلمان: تاريخ الأدب، ج2، ص147. ابن خلكان: وفيات، ج3، ص170-176.

(5) موراني: تاريخ العلوم، ص83-84.

تليق بمكانته كخليفة للمسلمين[1]، وعندما كان يسمع شعراً جميلاً من أحد الشعراء كان يأمر بأنّ يوضع له لحن ويغنى.[2]

ويعد **إبراهيم الموصلي** الذي ولد سنة 125هـ /743م أشهرالموسيقيين في العصر العباسي، لكن إبراهيم لم يدرك ذروة الشهرة في الغناء إلا في عصر الهادي والرشيد، حيث أصبح مغني الرشيد، جمع صوته بين السخاء وجودة الصنعة، فكان يشتري الجواري، ويعلمهنّ الغناء ويبيعهنّ بثمن غالٍ، فساهمن بنشر الشعر والغناء وإحيائهما في قصور الخلافة.[3]

وأّما إبنه **إسحق،** فقد ولد في الري سنة 150هـ/767م ، وكانت أمه فارسية تدعى شاهك، وتوفي سنة 235هـ/849م، وقد نال إسحق من التأديب والثقافة حظاً كبيراً[4] حتى إنّه يفخر بأدبه أكثر ما كان يفخر بمواهبه الفنية وملكته الموسيقية، والغناء يعد أصغرعلومه، وعلى الرغم من كراهيته للغناء كان أحذق خلق الله به ممن تقدم وتأخر، كما أّنه أشد النلس بخلاً به حتى على جواريه، كما عمل على تصحيح أجناس الغناء وطرائقه[5]، ولم يبق شيء من مصنفات إسحق الكثيرة في الموسيقى والرقص، وأخبار المغنيين والمغنيات، ولكن صاحب الأغاني وضع كتابه على أساس مائة صوت مختارة كان هارون الرشيد قد أمر إبراهيم الموصلي بإنتاجها مع **إسماعيل ابن جامع**، و**قليج بن العوراء**، وراجعها إسحق، وهذبها من بعدهم ابنه حماد[6]، وألفّ **ثابت بن قرة** في الرقة كتاباً في "آلة الزمر"، وكتاباً في "الموسيقى"، و"رسالة إلى بعض إخوانه في جواب ما سأل عنه من أمور الموسيقى"، و"رسالة إلى علي بن المنجم فيما أمر بإثباته في أبواب علم الموسيقى". [7]

وانقسم أصحاب هذا الفن في أيام الرشيد إلى **مدرستين:**

---

(1) الجومرد: هارون، ص252.

(2) الأصفهاني: الأغاني، ج18، ص218-255.

(3) بروكلمان: تاريخ الأدب، ج2،ص64. رفاعي: عصر المأمون، ج1، ص181.

(4) كان إسحق قد روى الحديث عن جماعة منهم: أبو معاوية الضرير، وهشيم، وابن عيينة، وغيرهم، وقال جعفر بن قدامة: حدثني علي بن المنجم قال: سأل إسحاق الموصلي المأمون أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم، والأدب، والرواة، لا مع المغنين، فإذا أراد الغناء غناه، فأجابه إلى ذلك، ثّم سأله بعد ذلك بمدة أن يكون دخوله مع الفقهاء، فأذن له في ذلك، فكان يدخل، ويده في يد القضاة، الحموي: معجم الأدباء، مج2، ص131- 132.

(5) الحموي: معجم الأدباء، مج2، ص131.

(6) بروكلمان: تاريخ الأدب ، ج2، ص65.

(7) حمدان: أعلام الحضارة، مج1، ص211.

مدرسة قديمة، وعلى رأسها إبراهيم الموصلي ومن بعده ابنه إسحق وتعتمد أسلوب المحافظة على التراث القديم في الغناء وإبقائه على ماهو عليه بقواعده القديمة.

ومدرسة حديثة مجددة يتزعمها إبراهيم بن المهدي أخو الرشيد الذي نبغ في هذا الفن، وأدخل التطور على النغم الأصيل، وقيل: أّنه كان يغني ذات مرة لحناً قديماً فأخطأ، فعاب عليه إسحق الموصلي ذلك، فغضب، وقال: أنا أمير وابن ملك، وأغني على ما أشتهي وأتلذذ، فاختلفا على ذلك، ووجد كل منهما من يؤازره في رأيه، فانقسم الفن[1]، وأصبح للمغنيين مراتب وطبقات:

الطبقة الأولى: في مجلس الرشيد تتألف من إبراهيم الموصلي وابنه إسحق، وأبي القاسم إسماعيل ابن جامع، ومنصور زلزل.

الطبقة الثانية: تتألف من سليم الكوفي، ومسكين المدني، وعمرو بن نابه الغزال، ويحيى المكي، وأبو زكار، وهاشم سليمان، ودحمان الأشقر، وشاريه، وزريق، والهذلي، ومخارق، وعلوية، وعريب، ومحمد الرف.

الطبقة الثالثة: أصحاب المعازف، وكلهم من ذوي الشهرة في فنهم، وكانت العادة المتبعة عند أفراد هذه الطبقات أّنه إذا وصل الرشيد أحد أفراد الطبقة الأولى بجائزة جعل لأصحابه الذين من طبقته منها، وجعل لأصحاب الطبقتين الأخريين سهماً منها أيضاً، ولا يأخذ أصحاب الطبقة الأولى شيئاً من جوائز من هم دونهم في الطبقة، وإذا أجاد أحد المغنين أو العازفين أمر الرشيد برفعه[2] إلى الرتبة التي تعلو رتبته، وكثيراً ما كان يناقش المغنين ويحكم بينهم إذا اختلفوا بفضل ما أوتي من علم ودراية في هذا الفن. [3]

وعلى ضوء ماسبق يمكن الوقوف على إسهام الرقة في تطور الموسيقى على صعيد جذب المغنيين من مختلف البلدان والأقاليم، خاصةً عندما اتخذها الرشيد عاصمة ثانية للخلافة، حيث صدحت حناجرهم بأعذب الألحان في قصورها وعلى سفنها التي كانت تشق عباب الفرات، وعلى مستوى التأليف حيث ألفت في الموسيقى الكتب ورتبت الألحان، وعلى مستوى التجديد وتطوير القواعد القديمة.

---

[1] الجومرد: هارون، ص254.

[2] حكي أنّ برصوماً وهو في الطبقة الثانية زمر زمرةً على الناي، فطرب لها الرشيد، وقال له: ازمر على غناء ابن جامع قال: إن كنت أزمر على الطبقة العالية رفعت إليها، فأّما أن أكون في الطبقة الثانية، وأزمر على الأولى فلا أفعل، فرفع به الرشيد إلى الطبقة الأعلى، وأعطاه البساط الذي كان يجلس عليه المغنون، وقيمته ألفا دينار.رفاعي:عصر المأمون، ج1، ص180. الجومرد: هارون، ص253.

[3] الجومرد: هارون، ص252-253.

الخاتمة:

من خلال ماتقدم يمكن اجمال ما توصل إليه البحث على الشكل الآتي:

1-شغلت الرقة دوراً مميزاً في بداية العصر العباسي، وذلك بسبب انتقال مركز ثقل الدولة من دمشق إلى العراق بعد زوال دولة بني أمية، وتأسيس الدولة العباسية، فكانت بوابة العباسيين إلى بلاد الشام من جهة، ومنطقة الثغور من جهة أخرى.

2- لقد كشفت الأحداث التي وقعت في الرقة أوضاع الجزيرة الفراتية قبل دخول العباسيين، وبعد دخولهم، حيث شكلت مرحلة انتقال من الخلافة الأموية إلى الخلافة العباسية، وهذا الانتقال لن يمر بهدوء، فهو المحاولة الأخيرة لبني أمية للحفاظ على الخلافة، والخطوة الأولى لبني العباس في تأسيس

خلافة جديدة بزعامتهم، وكل هذا دفع ثمنه سكان الجزيرة الفراتية، حيث التجأ إليهم آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد، وأصبحوا عوناً له، فدفعوا ثمن موقفهم هذا في بداية العصر العباسي.

3- وقف أهل الرقة بكل مايمتلكون من قوة في وجه الدولة العباسية، وهم يعتقدون أنهم محقين بموقفهم هذا، ولهم مبرراتهم، فقد خسروا المكانة المتقدمة التي منحهم إياها آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد، وقد بالغ العباسيون في قتلهم والانتقام منهم أثناء حروبهم معهم، وآثر العباسيون الفرس والموالي على العرب، وكل ذلك كان محاولة للحط من شأنهم والانتقام منهم، وعلى هذا أيدوا كل من وقف في وجه الدولة العباسية منادياً بالقضاء عليها.

4- أدرك العباسيون أنّ الرقة أصبحت تشكل مركزاً لعداء العباسيين في بلاد الشام والجزيرة الفراتية، وأنّ أية ثورة في الجزيرة الفراتية لن تستمر إلا بالدعم المادي والبشري الذي تقدمه القبائل المنتشرة على أطرافها، كما أنه لا يمكن القضاء على الثورات في هذه المنطقة إلا إذا سيطروا على مركزها (الرقة)، وقطعوا الإمدادات التي كانت تقدمها.

5- تنبه العباسيون لدور الرقة في العصر الأموي، فقد اتخذ الخليفة هشام بن عبدالملك الرصافة القريبة من الرقة عاصمة له، ولذلك أمر أبو جعفر المنصور ببناء الرافقة، ولاشكّ أنه من خلال دراسة مخططها وهندستها وأسوارها، وبوابتها، يمكن التأكيد على أنها بنيت لتكون قلعة حصينة متقدمة على الفرات تحمي العاصمة بغداد من أي هجوم ينطلق من الجزيرة الفراتية أو بلا د الشام سواء كان من الروم البيزنطيين أو من الثوار المعارضين للوجود العباسي خوارج كانوا أو مؤيدين للبيت الأموي أو موالين لآل البيت، فأرادوا مراقبة المناوئين للحكم العباسي، ومراقبة أوضاع القبائل في بلاد الشام، والجزيرة الفراتية، هذا إلى جانب المبررات الاقتصادية والجغرافية.

6- لقد تعلق هارون الرشيد منذ كان ولياً للعهد بالرقة، حتى أراد أن يستبدل الخلافة ويتنازل عنها مقابل أخذ الرقة، والإقامة فيها، وبعد استلامه للخلافة، قرر في سنة 180هـ/796م الانتقال إليها والاقامة فيها بشكل دائم حيث اتخذها عاصمةً له ولمدة 13 سنة حتى وفاته سنة 193هـ/808م، ولاشكّ أنّ هناك مبررات عديدة دفعته للقيام بهذه الخطوة كقربها من منطقة الثغور، وغناها بالثروات التي يمكن من خلالها تجهيز الجيوش التي انطلقت لغزو البيزنطيين، ورغبته في القضاء على ولاء أهلها للبيت الأموي، ومراقبة قبائل الجزيرة والشام، وقمع ثورات الخوارج، ورغبته بالتخلص من النفوذ الفارسي في بغداد المتمثل بالبرامكة، إلى جانب كونها مصيفاً يأوي إليه من حر الصيف في بغداد التي كان يسميها مدينة البخار، إلى جانب الموقع الجغرافي الذي تميزت به، حيث شكلت عقدة للطرق

التجارية، حتى أصبحت مقصد الصادر والوارد، ومركزاً للقرار السياسي والاداري والعسكري لذلك باتت تسمى بغداد الصغرى.

7- لقد حملت الرقة إرثاً عظيماً للسريان في الطب، والفلك، والفلسفة، والتاريخ، ولعل السبب في ذلك كثرة الأديرة المنتشرة حولها، ومع ذلك فقد عاشت ربيع عمرها في عهد الرشيد لما لاقته من اهتمام ودعم ، ولعلّ تفسير ذلك أنّ الرشيد أراد أن يباهي بها بغداد التي هجرها، فتقدمت جميع العلوم دون استثناء، وتدفق الشعراء الذين ألقوا القصائد التي شملت جميع فنون الشعر ، ،ومع وفاته بدأت أنوار قصورها تختفي رويداً رويداً ، حيث نقل الأمين العاصمة إلى بغداد، مع العلم أنّه أولاها بعض الأهمية ، حيث اعتمد على سكانها في نصرته في حربه مع أخيه المأمون، ومع ذلك انتهى دورها كعاصمة، وبدأت تفقد أهميتها تدريجياً مع توارث خلفاء الرشيد الحكم، ومما يذكر أنّ الرقة دمرت مثل بغداد على يد المغول، حتى بدأت معاول الأثريين تكشف عن قصورها ومنازلها، ومظاهر العمران فيها، لتنسج قصيدة عنوانها الرقة عاصمة الرشيد.

8- وعلى الرغم من ضعف دور الرقة السياسي بعد وفاة الرشيد، فقد استمّر دورها الحضاري، وظلت تساهم مع جميع المدن العربية والإسلامية في النهضة العلمية والأدبية التي شهدتها الدولة العباسية من خلال تقدم مختلف العلوم كالترجمة، والطب، والرياضيات، والفلك، والتاريخ، والفلسفة، واللغة، إلى جانب الشعراء الذين قدموا إليها، والعلماء الذين سكنوا فيها.

9- ولاشكّ أنّ بحثاً مستقلاً عن الرقة يشمل النواحي التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية يشكل مورداً جديداً أن يضاف إلى المكتبة العربي

-Université de Damas,

-Faculté des letters et des sciences Humaines

-Séction de L' Histoire .

La lettre a été établie pour

Obtenir le Majestaire dans L' Histoire des arabes et de L'islam

le titre de La recherche

Raqa , a' L' époque abasside 847-750 / (232-132 H égire)

-Une étude Historique, économique,sociale,intelectuelle…..

Sous le Patronage

- le docteur ,NOUHA FADL ALA HAMID.
- Elaboré par L'étudiant ,ALI ABD AL MOHAMAD

Damas 1431 H – 2010

Au Nom de Dieu,

L’introduction

La villes des villes est semblable a' la vie des individus,il y a des Hauts et des bas mais ,il y a une seule différence c' est que centaines villes peuvent se renouveller de Nouveau pour jouer ses an ciens rôles,et Raka, est parmi de ce type des villes… de même que son présent est moins brillant était pendant L' époque abasside par son progrès urbain et par le progrès de la

civilisation et la culture - cette é poque érair un peu longue et riche des évenements malgré l' obscurité qui entoure son Histoire cas, celà revient aux guerres qui ont l'a touché et la destruction des Mogoles et la perte de beau coup de ces ressources .qui illuminent son Histoire .

Au début, c' était avec L' arrivée des armées abassides à Raqa qui chassaient L' armée des Omayades guidée par le dernier Calife Omayade, MARWAN Ben MOHAMAD ,… a prés ça, ABD ALA BEN ALI L' a prise comme base pour ses opérations mi lit aires et un centre pour écraser les révoltes contre les abassides, Le calife Abou Jafer AL Mansour a remarqué l' importance de sa situation géographique et historique et son rôle économique sur la capitale Abbasside (Bagdad) c' est lui qui a ordonné de bâtir AL Rafika (Rafikat Al Raqa) en (155H - 771) le calife AL mahdi a profité de sa situation pour commencer ses conquêtes contre les Romans et les byzantines Et une base pour fournir ses armées . Raqa , a obtenu son apogée sous le calife HAROUN AL RACHI qui a donné beaucou d'importance a cette ville a tel point qu' il a abandonné la capitale Bagdad il l'aconsidéré comme la capitale de l'état ABASSIDE, il a ordonné de l'agrandir il a ordonné aussi de bâtir ses châteaux, ses souks et il a bâti de nouveaux souks les gens de la science, de l' poésie de la politique y sont arrivés et on l' a considéré comme (la petite Bagdad) et sans doute cela pose beaucoup de questions, ,ais après l'époque de Haroun Al Rachid son rôle a commencé de régresser malgré son tendance de reparaître sur la scène politique et civilisé Mais son époque brillant était sous le calife Haroun ALrachide sans doute,

plusieurs éléments étaient la cause de choisir Raqa à l'époque Abbasside 132_ 846 H/756_ 846) parmi ces éléments :

-Le rôle qu' a joué Raqa pendant plusieurs éléments qui sont déroulés avec l'établissement de l' état Abbasside et l'anéantissement de l' état omeyyade. -la situation de ALjazera AL foratia et les pays AL sham avant et après.

- l'entré des Abbasside l'opinion des gens de Raqa envers les Abbasside .
- Les but pour les quels Abo Jafer AL Mansour a bâti Raqa en 155 H-771 .

-Les raisons pour les quelles Haroun AL Rashid était intéressé par Raqa à tel point qu'il l'a considéré une place très importante pour son calife de même que les Abbasside ont négliger bilad AL sham et l'on remplacé par l'I raque .
- jeter de la lumière sue la civilisation de cette ville à l' épanouissement scientifique et culturelle qu'connu l'état Abbasside.
- fournir la librairie arabe d'un livre concernant les domaines politique, économique, histoire ,sociale, scientifique.

il est évidant qu' un sujet concernant l'histoire de Raqa demande un gros effort, et être logique envers son histoire est un peu complique surtout que les Romans historique qu' on dire les grands historiens comme Al tabari, ALBalazri , Ibn Al Ather n' a pas apporté de refus ou soutien, mais il a laissé au lecteur de juger la rareté des informations sur Raqa est considère l' une des difficultés de cette recherche , pour cela, on était obligé d' étudier les ruines laissés et faire la comparaison pour obtenir la plus grande d'informations selon une méthode scientifique basée sur la bonne recherche on a divisé la recherche en une introduction et quatre chapitres .

L'introduction : c'est la reconnaissance de la nature de la recherche .

1- **la première chapitre** : chapitre concernant les ressources sur la quelle on l' a nommée Raqa son climat son terrain ses ressources d' eau, son habitation, la situation générale du calife omeyade les raisons de sa chute, l' apparition de la vocation Abbasside puis on parle brièvement de la situation de Raqa dés la conquêt islamique par AIAd ben ganam jusqu'à la fin de l'époque omeyade et on étudie aussi la coté civilisée de cette époque de son histoire en montrant les plus importants personne qui ont vécu à Raqa parmi eux, les compagnons du prophète Mohammad et les plus importants poètes et écrivains qui ont contribue au développement de la littérature arabe et islamique .

3- la **deuxième chapitre** : ici on parle de l' entrée de Raqa sous la dominance Abbasside, sa direction sous Abou Abass Al safah l'opinion de ses habitants envers la dominance Abbasside les révolutions qu'on menées contre l'état Abbasside et on parle aussi de sa direction sous le gouverneur Abou Jafar Al mansour et les plus importants changements comme le soutien des gens de Raqa pour le révolte de Abdullah ben Ali contre le calife AL mansour car ils ont trouvé une chance pour se

révolter contre les Abbasside ont compté sur les perses et aussi on cherche les courses qui ont mené A_ J, AL mansour de bâtir la ville Al Rafiqa en155 H-771 et aussi on cherche son système administratif sous la règne Al Mahdi son rôle militaire contre les Romans et les Byzantines où elle était une base militaire pour fournir l'armée depuis son fils (Haroun Al rachide qui a commencé la première conquête pour les pays des Romains en 163 H- 779 le Mahddi qui a bati Raqa le salhié puis son administration au temps Al Hadi le développement sous la règne ALRachide à propos de son système administratif et son poids politique où elle a joué un grand role politique au temps de califat Abbasside son rôle militaire au temps AL (Rachide) contre les Romans et les Byzantines surtout la conquête Hiracale les travaux urbains de ALRachide qui a bâti une nouvelle ville qui a porté le nom AL Rachide et la construction des châteaux comme le château de la paix, du bois, blanc et aussi la constructions des équipements publics comme les kans_ les canals d'eau on cherche aussi de la situstion de Raqa au temps des califes Al Rachide , AL Amine qui a maintenu son système administratif où les habitants de Raqa étaient avec lui cotre son frère AL Mamoun puis avec ALmamon qui a changé ses responsables et cela a fait beaucoup de révoltes contre lui dans cette région AL Jazira ALforatia, on terme ce chapitre avec le développement administratif et politique qui s' est déroulé au temps Al Moutassem et ALWATHK.

4- **Le troisième chapitre :** parle du coté économique et social, il cherche le rôle agricole de Rakka et L' intérêt des califes Abbassides et surtout Al Rachide les agricultures les sources d'eau, ses animaux les matériels industriel les artisanas, les souks qu' on a trouvé depuis l'époque Omeyade et aussi les souks qui ont été bâtis au temps Abbasside, les marchandises fabriquées à Raqa ou les marchandises importées, la monnaie qu'on utilisait à Raqa et surtout quand AL Rachide l'a considéré comme un siège de son gouvernement et la capitale de l' état Abbasside au lieu de Bagdad et on cherche aussi les gens qui se sont établis à Raqa c' était des (Assyriens, des tribus) arabes avant l' islam jusqu'à l' époque Abbasside et on parle de la langue de ses habitants et les classe sociales selon la richesse, ou la religion les habitants dans les châteaux du calife ou parmi les gens de la rue et chez les musulmans et les Assyriens les costumes qu' on a portés les différentes classes sociales hommes et

femme et aussi l’ habite des califat et les gens importants en arrivant à l’ habit des gens de la rue et les nomades qui ont vécu autour de Raka.

5- **la quatrième** chapitre : on cherche ici la situation intellectuelle à Raqa par le rôle des églises Assyriens dans les domaines de la traduction et le rôle des écoles scientifique que ce soit Assyriens ou islamiques qui se sont développées dans ses mosquées , ces mosquées ont donné beaucoup de savants dans les domaines de science et de la médecine qui sont venus avec ALRacide et les médecins qui ont pratiqué cette profession, on parle aussi du rôle de Raqa dans le domaine de la mathématique et les plus importantes personne qui ont contribue à développer ce domaine
Son rôle dans le domaine de l’astronomie la philosophie et les plus importants philosophes qui ont vécu comme thabet ben kora AL Harani son rôle à développer la géographie et ses plus importants succès géographiques comme le mesure des distances entre les villes, le dessin des cartes géographiques, la correction des erreurs dans les cartes précédentes son rôle dans le domaine de l’histoire par les deux écoles historiques qui étaient à ce temps l’ école première c’ est l’ école Assyrienne qui s’ est développée avant l’ islam
son représentant était Mardinissos Al talmari
le deuxième école c’ est l’ école islamique qui représentait l’ histoire islamique par ALZakidi 207 H -822 AL Tabrie 310 H-922 parmi les célèbres à Raqa était Mohamed ben said ben abd AL rahmman AL Kouchairi AL Harani qui est monté 334 H -916 et on cherche aussi son rôle dans la musique et le chantses plus célèbres musiciens parmi eux on remarque Ibrahim AL Mousli ses poètes ses écrivains , les plus importants poésies qu’ on a récitées dans ses palais comme Achga AL Slami et Mansour AL Nmri les poétes connus de Raqa comme Rabia AL Raki qui était très proche de AL Rachide .
6 -**la conclusion** : c’était une résumée de la recherche on a donné quelques cartes géographiques qu’ ont dessiné les géographes Arabes où on a cité la situation de Raqa et AlJazira AL Foratia sa frontière, des dessins qui illustrent le craquai de AL Rafika ses tours, ses remparts, la monnaie qu’ on utilisait enfin , j’ ai l’honneur de mettre mon exposition dans la main des membres du comité des profs en espérant de l’

examiner car, c’ est le fruit d’une étude difficile et longue qui a pris de longue nuits
en tout cas, j’ avoue qu’ il ya quelques fautes car c’est la première marche dans la recherche scientifique que je fais et en espérant de me pardonner s’il y a des erreurs et des man avec mes plus sentiments distingué

Ali Abd AL Mouhmed

الملاحق

جدول اختصارات

الكلمة أو المصطلح	الاختصار
متر	م
متر مكعب	م^3
سنتيمتر	سم
كيلومتر	كم

كيلو متر مربع	كم^2
غرام	غ
في الثانية	/ثا
تحقيق	تح
دون ذكر تاريخ	د.ت
دون ذكر مكان	د.م
مجلد	مج
جزء	ج
صفحة	ص
طبعة	ط

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادرالعربية:

1-القرآن الكريم:

2- ابن الأثير:عز الدين أبي الحسن، ت. 606هـ/1209م: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1358هـ/1965م.

3-**الإدريسي**، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحموي الحسني، ت. 560هـ/ 1164م: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، بيروت، 1409 هـ / 1989م.

4-**الأزدي**، أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس، ت. 334هـ/945م: تاريخ الموصل، تح:علي حبيبة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1387هـ/1967.

5- **الأصفهاني**، أبو الفرج، ت. 356هـ/967م: الأغاني، شرحه: علي مهنا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1413هـ/1992م.

6- **البستي**، محمد بن حيان بن أحمد التميمي،ت. 354هـ/965م: مشاهير علماء الأمصار، تح: فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1379هـ/ 1959 م.

7 - **البلاذري**، أحمد بن يحيى، ت. 279هـ/892م: فتوح البلدان، تح: طه عبد الرءوف سعد - عمر أحمد عطوه، مطبعة ابن خلدون، الإسكندرية، د.ت.

8- **الجاحظ**، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت. 255هـ/868م:
- البخلاء، بيروت، 1395هـ/1975.

9- - كتاب الحيوان، بيروت، 1388هـ/1968م.

10- **الجهيشاري**، ابن عبدوس، ت. 331-943م: الوزراء والكتاب، قدم له: حسن الزين، دار الفكر الحديث، بيروت،1401هـ/1980م.

11- **ابن الجوزي**، عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت. 597هـ/1200م:
- تلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسير، بيروت ،1418هـ/ 1997.

12- - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، 1358هـ/ 1939م.

13- **ابن الجوزي**: جمال الدين، عبدالرحمن بن علي، ت. 597هـ/1200م: صفوة الصفوة(صفة الصفوة)، دار الجيل، ط1، بيروت، 1412هـ/1992م.

14-**الحموي**، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، ت. 626هـ/1229م:
- معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1411هـ/1991م.

15- - معجم البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1399 هـ / 1979م.

16- **ابن حوقل**، أبي القاسم بن حوقل النصيبي، ت. 367هـ/977م: صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1400هـ / 1979م .

17- **ابن خرداذبه**، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله بن خرداذبة، ت. 300هـ/912م: المسالك والممالك،إعداد وتقديم: خير الدين محمود قبلاوي، منشورات وزارة الثقافة،دمشق،1420هـ/ 1999م.

18- **البغدادي**، أبو بكر أحمد بن علي، ت. 463هـ/ 1070م: تاريخ بغداد، تح: صدقي جميل العطار، دار الفكر، ط1، بيروت، 1424هـ/2004م.

19- **ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد، ت. 808هـ/1406م: تاريخ ابن خلدون، د.م، د.ت.

20- **ابن خلكان**، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ت. 681هـ/1282م: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

21- **ابن خياط**، خليفة أبو عمرو الليثي العصفري، ت. 240هـ/854م: الطبقات، تح: أكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق،1397 هـ / 1976م.

22- **الدينوري**، أبو حنيفة أحمد بن داود، ت. 282هـ/895م: الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، ط1، القاهرة، 1380هـ/1960.

23-**الذهبي**، الحافظ شمس الدين أبي عبدالله، ت. 748هـ/1346م:

- سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الارناؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413 هـ/1992م.

24- - العبر في خبر من غبر، تح: صلاح الدين المنجد، الكويت، 1405هـ/ 1984.

25- **ابن رسته**، أبو علي أحمد بن عمر، ت. 300هـ/912م: الأعلاق النفيسة، ط ليدن، 1309هـ/1891م.

26- **الزوقنيني**: تاريخ الزوقنيني المنحول لديونيسيوس التلمحري،ترجمه من السريانية: الشماس بطرس قاشا، قدم له وعلق على حواشيه: سهيل بطرس قاشا، بيروت، المكتبة البوليسية، 1427هـ/2006م.

27-**السخاوي**، شمس الدين محمد، ت. 902هـ/1496م: التحفة اللطيفة في أخبار المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ/1993.

28- **ابن سعد**، محمد أبو عبد الله البصري الزهري، ت. 230هـ/844م: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، 1418هـ/1998م.

29- **السيوطي**، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت.911هـ/1505م: تاريخ الخلفاء،تح: رحاب خضرعكاوي، تقديم:أحمد محمد فارس، مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت، د.ت.

30- **الشابشتي**، أبي الحسن علي بن محمد، ت. 388هـ/998م: الديارات، تح: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، ط3، بيروت، 1406هـ/1986م.

31- **ابن شداد**، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم، ت. 684هـ/1285م: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح: يحيى عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1412هـ/1991م.

32- **الصفدي**، صلاح الدين خليل بن أيبك، ت. 764هـ/ 1363م: الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، 1421هـ/ 2000م.

33- **ابن طباطبا**، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي، ت. 709 هـ/1309م: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار بيروت، بيروت، د.ت.

34- **الطبري**، محمد بن جرير، ت. 310هـ/922م: تاريخ الطبري(تاريخ الأمم والملوك)، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت، 1408 هـ / 1988 م.

35-**ابن العبري**، غريغوريوس الملطي، ت. 709 هـ/1309م: تاريخ مختصر الدول، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 1422هـ/2001م.

36- **ابن العديم**، كمال الدين عمر بن أحمد، ت. 660هـ/1262م:

- بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، دمشق، 1409هـ/1988م.

37- - زبدة الحلب في تاريخ حلب، تح: سامي الدهان، دار سعد الدين للطباعة والنشر، حلب، 1427هـ/2006م.

38- **ابن عساكر**، هبة الله أبو القاسم علي بن الحسين، ت. 571هـ/1223م: تاريخ دمشق، تح: عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، 1375هـ/ 1955م.

39- **العسقلاني**، ابن حجر، ت. 852هـ/1447م: الإصابة في تمييز الصحابة، دار الجيل، بيروت، د . ت.

40- **العمري**، شهاب الدين أحمد بن فضل الله، ت. 749هـ/1349م: مسالك الأبصار، تح: حمزة

أحمد، عباس، المجمع الثقافي، ط1، أبو ظبي، د.ت.

41-**الغزي:** نهر الذهب في تاريخ حلب، المطبعة المارونية، حلب، د.ت.

42-**أبو الفدا**، إسماعيل بن محمد بن عمر، ت. 732هـ/1331م : تقويم البلدان، نقحه وطبعه: رينود، ماك كوتين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1256هـ/1840م.

43- **ابن قانع**، عبد الباقي أبو الحسين، ت. 351هـ/961م: معجم الصحابة، تح: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، 1418 هـ /1997م.

44-**ابن قتيبة**، أبي محمد عبد الله بن مسلم، ت. 276هـ/889م: الإمامة والسياسة، علّق عليه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، مؤسسة الأعلمي، بيروت ،د.ت.

45- **القشيري**،محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري الحراني، ت. 334هـ/945م: تاريخ الرقة، تح: علي الشعيبي، د.م، د.ت.

46-**الكتبي**، محمد بن شاكر، ت. 764هـ/1363م: فوات الوفيات والذيل عليها، دار صادر، ط1، بيروت، 1374هـ/ 1954.

47-**ابن كثير**، الحافظ عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر، ت. 774هـ/1372م: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت.

48-**ابن الكلبي**،هشام أبو المنذر بن محمد ابن السائب الكلبي، ت. 204هـ/819م: جمهرة النسب، تح: محمود فردوس العظم، مراجعة: محمود فاخوري، دار اليقظة، دمشق، د.ت.

49- **المسعودي**، علي بن الحسين، ت. 346هـ/958م:

- التنبيه والإشراف، مكتبة الخياط، بيروت، 1395هـ/ 1965.

50- - مروج الذهب ومعادن الجوهر، قدّم له: مفيد محمد قمحه، دار الكتب العلمية،

بيروت، د.ت.

51- **المقدسي**، شمس الدين أبو عبدالله المعروف بالبشاري، ت. 380هـ/990م: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، 1411هـ/1991م.

52- **المقريزي**، أحمد بن علي، ت.845هـ/1414م: المنتقى من المقفى في أخبار خلفاء بني العباس، انتقاء وتقديم وتحقيق: تميمة محمد عيد الرواف،د.م، د.ت.

53- **ابن منظور:** أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت. 711هـ/1311م: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1410هـ/1990م.

54- **الهمذاني**، ابن الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد، ت. 340هـ/951م: مختصر كتاب البلدان، ط ليدن ، 1302 هـ /1884م.

55- **المؤرخ المجهول:** تارخ الرها المجهول، عربه عن السريانية ووضع حواشيه البير أبونا، بغداد، مطبعة شفيق، بغداد. 1407هـ/1986م.

56- **مؤلف مجهول:** العيون والحدائق، د.م، د.ت.

57- **ميخائيل الكبير:** تاريخ ميخائيل الكبير، ترجمة: مارغريغوريوس صليبا شمعون، تقديم: مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم، دار ماردين، ط1، حلب، 1417هـ/1996م.

58- **الواقدي**، أبي عبدالله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، ت. 207هـ/822م: فتوح الشام، دارصادر، بيروت، 1425هـ/2004م.

59-**ابن الوردي**، زين الدين بن عمر، ت. 749هـ/1348م: تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1417هـ/1996م.

60- **اليعقوبي**، أحمد بن يعقوب بن واضح بن جعفر بن وهب بن واضح، ت. 792هـ/1389م:

- تاريخ اليعقوبي، تح: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1413هـ/ 1993م.

61 - كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، ط1، د.م، 1408هـ/1987م.

المراجع:

1-**أحمد**، علي: تاريخ الفكر العربي الإسلامي، جامعة حلب، حلب، 1418هـ/1997م.

2-**الألوسي**، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرحه وضبطه: محمد بهجت الأثرى، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، د.ت.

3- **أمين**، أحمد: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي،ط1، بيروت، 1400هـ/1979م.

4- **بروكلمان**، كارل: تاريخ الأدب العربي، ترجمة:عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط2، مصر، 1388هـ/1968م.

5- - تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة: نبيه أمين فارس، دار العلم للملايين، ط7، بيروت، 1398هـ/1977م.

6- **البهنسي**، عفيف: سورية التاريخ والحضارة منطقة الجزيرة الفراتية، وزارة الثقافة، دمشق، د.ت.

7- **بيطار**، أمينة: تاريخ العصر العباسي، مطبعة جامعة دمشق، ط4، دمشق،1417هـ/1997م.

8- - الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام، 132 – 358 هـ/ 750 – 968م، ط1، وزارة الثقافة، دمشق،1401هـ/ 1980م.

9- **الجوابرة**، فاطمة: موسوعة الخلفاء، دار صفاء، ط1، عمان ، 1423هـ/2003م.

10- **الجومرد**، عبد الجبار: هارون الرشيد حقائق عن عهده وخلافته، شركة المطبوعات، ط3، بيروت، 1426 هـ/2005م.

11-**حباب**، محمد صالح: تاريخ الرقة ابتداء من فتحها وحتى دمارها، مؤسسة الرسالة، ومنشورات العصر الحديث، د.م، د.ت.

12- **أبو حبيب**، سعدي: مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، مكتبة دار لسان العرب، بيروت، 1392هـ/1972م.

13-**حتي**، فيليب: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: كمال اليازجي، مطبعة دار الثقافة، بيروت، 1379هـ/ 1959م.

14- **حداد**، جورج: موجز تاريخ الحضارة العربية، دمشق، 1372هـ/ 1952م.

15- **أبو حرب**، محمد خير : المعجم المدرسي، منشورات وزارة التربية، ط1، 1406هـ/1985م.

16-**حسن**، إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، ط13، بيروت، 1411هـ/1991م .

17- **الحسون**، مصطفى: دار الرشيد وعاصمته الثانية، وقائع الندوة الدولية حول الرقة وآثارها، الرقة، 1402هـ/1981م.

18- **الحسين**، قصي: موسوعة الحضارة العربية، دار البحار، ط1، بيروت، 1426هـ/2005م.

19- **حمدان**، سمير: أعلام الحضارة العربية الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1416هـ/1995م.

20- **الحمد**، محمد عبد الحميد: محمد بن جابر البتاني أعظم فلكي عرفته العرب، منشورات وزارة الثقافة، ط1، دمشق، 1419هـ/ 1998م.

21- - ماردينيسيوس التلمحري نشاطه السياسي ومنهجه التاريخي، وقائع الندوة الدولية حول الرقة وآثارها، الرقة، 1402هـ/1981م.

22- **خربوطلي**، شكران: دور السريان في نقل أخبار العرب قبل الإسلام، أعمال المؤتمر التاسع للتراث السرياني، مركز الدراسات للأبحاث المشرقية، انطلياس، 1426هـ/ 2005م.

23- **خربوطلي**، علي حسني: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، مصر، 1379هـ/ 1959م.

24-**خضري بك**، الشيخ محمد: تاريخ الأمم الإسلامية، القاهرة، 1376هـ/ 1956م.

25- **خليل**، سمير: السريان بين الحضارتين اليونانية والعربية، أعمال المؤتمر التاسع للتراث السرياني، مركز الدراسات للأبحاث المشرقية، انطلياس، 1426هـ/2005م.

26- **خليل**، عماد الدين: الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ/1980م.

27- **خماش**، نجدت: الشام في عهد الإسلام، رسالة دكتوراه غيرمنشورة ، جامعة دمشق، دمشق، د.ت .

28

29- **داود**، اسكندر: الجزيرة السورية بين الماضي والحاضر، تقديم: سامي الدهان، دمشق، 1379هـ/ 1959.

30- **دسوقي**،محمد عرب: القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي، الهيئةالمصرية للكتاب، المنوفية، 1419هـ/ 1998م.

31- **الدفاع**، علي عبدالله: العلوم البحتة في الحضارة العربية والإسلامية، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت،1401هـ/1981م.

32- **دوزي**، وينهارت: تكملة المعاجم العربية، نقله من الفرنسية وعلّق عليه: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، ط1، د.م، 1418هـ/1997م.

33- **ديك**، اغناطيوس: ثاوذوروس أسقف حران الملكي، أعمال المؤتمر التاسع للتراث السرياني، مركز الدراسات للأبحاث المشرقية، انطلياس، 1426هـ/2005 م.

34- **رفاعي**، أحمد فريد:عصر المأمون، دار الكتب المصرية، ط4، القاهرة،1347هـ/1928م.

35 – **الرفاعي**، أنور: الإسلام وحضارته ونظمه، دار دمشق، دمشق، 1393هـ/ 1973م.

36 – **ريحاوي**، عبد القادر: الجزيرة في الحضارة العربية والإسلامية دراسة للتراث العمراني، وثائق الآثار السورية الجزيرة السورية، منشورات وزارة الثقافة، ط1، دمشق، 1423هـ/2002م.

37 – **ريسلر**، جاك: الحضارة العربية، ترجمة: غنيم عبدون، دار الطباعة الحديثة، مصر، د.ت.

38– **الزركلي**، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، ط12، بيروت، 1418هـ/1997م.

39–**زكار**، سهيل: مائةأوائل من تراثنا، دار الملاح، دمشق، 1400هـ/1980م.

40– **زيادة** ، نيقولا: دراسات في التاريخ، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.

41– **ساك**، دوثي: قصور الخلفاء في شمالي الرافدين من الفترة الأموية إلى الفترة العباسية، وثائق الآثارالسورية (الجزيرة)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1423هـ/ 2002م.

42– **ساكا**، إسحق: السريان إيمان وحضارة، مطرانية السريان الأرثوذكس، حلب، 1414هـ/ 1993م.

43– **سرماني**، حنيفة: إقليم الجزيرة منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر السفياني، إشراف: سهيل زكار، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة دمشق،1427هـ/2006م.

44– – إقليم الجزيرة خلال العصر المرواني(الأموي) 64–132هـ/684–750،إشراف: سهيل زكار، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، 1431هـ/ 2009م.

45 – **السيد**، أديب: أرمينيا في التاريخ العربي، حلب 1392هـ/1972م.

46- **سيف**، أنطوان: دور السريان في الفلسفة العربية، أعمال المؤتمر التاسع للتراث السرياني، مركز الدراسات للأبحاث المشرقية، انطلياس، 1426هـ/2005م.

47- **سينو**، أحمد: الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في الجزيرة الفراتية 132-232هـ/ 750 - 850م، إشراف:أمينة بيطار، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 1407هـ/1986م.

48- **شتورم**، ويتر: أهمية مدينة الرقة منذ الفتح العربي وحتى الآن، وقائع الندوة الدولية حول الرقة وآثارها، الرقة، 1401هـ/1980م.

49- **الشعيبي**، علي: البتاني الرّقي أحد الفلكيين العشرين في العالم، دار السلام، ط1، حلب، 1406هـ/1985م .

50- - ربيعة الرّقي شاعر الرقة العباسي، مطابع الجمهورية، ط2، دمشق، د.ت.

51- - الملامح العلمية في الرقة حتى نهاية القرن الرابع الهجري، وقائع الندوة الدولية حول الرقة وآثارها، الرقة، 1402هـ/ 1981م.

52- **شميساني**، حسن: مدينة سنجار، بيروت، 1404 هـ/ 1983م.

53- - ماردين من الفتح العربي حتى سنة 921هـ/1515م، عالم الكتب، بيروت،1407هـ/1987م.

54- **شوحان**، أحمد: الجزيرة التراث الحضاري والعلاقات المتبادلة، وثائق الآثار السورية، وزارة الثقافة، دمشق، 1417هـ/1996م.

55- **الصالح**، صبحي: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار الملايين، ط2، بيروت، 1388هـ/1968م.

56- **الصباغ:** ليلى، دراسة في منهجية البحث التاريخي، منشورات جامعة دمشق، جامعة دمشق، 1417هـ/1997م.

57- **صليبي**، نسيب: ثلاثة قصور من الرقة القديمة، وقائع الندوة الدولية حول الرقة وأثارها، الرقة، 1402هـ/ 1981م.

58- **ضناوي**، سعدي: موسوعة هارون الرشيد، دار صادر ، ط1، بيروت، 1421هـ/2001م.

59- **ضيف**، شوقي: عصر الدول والإمارات، القاهرة، 1401هـ/ 1980م.

60- - العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط4، مصر، 1392هـ/ 1972م.

61- **طلاس**، مصطفى: المعجم الجغرافي السوري، مركز الدراسات العسكرية، ط1، دمشق، 1413هـ/ 1992م.

62- **طوير**، قاسم: كشف وترميم قصر البنات، وقائع الندوة الدولية حول الرقة وآثارها، الرقة، 1402هـ/1981م.

63- - الآثار السورية، فينا، 1403هـ/1982 .

64- - إسهام في دور الأرقام والقياسات المترية في الحضارة العربية الإسلامية، وقائع ومحاضرات المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دمشق، كلية الآداب، 1402هـ/1981م.

65- **عاقل**، نبيه: دراسات في تاريخ العصر الأموي، مطبعة الداودي، ط1، دمشق، 1405هـ/ 1985م.

66- **العاني**، زكي ذاكر العاني: شعر ربيعة الرّقي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،1401 هـ/

1980م .

67- **عبد السلام**، عادل: جغرافية سورية، مطبعة الروضة، دمشق 1401 هـ / 1980م .

68- **العش**، يوسف: تاريخ عصر الخلافة العباسية، راجعه ونقحه: محمد أبو الفرج العش، دار الفكر المعاصر، ط2، بيروت، 1419 هـ / 1998م.

69- **العدوي**، إبراهيم: الأمويون والبيزنطيون، الدار القومية للطباعة والنشر، ط2، مصر، د.ت.

70- **علي**، أحمد إسماعيل: تاريخ بلاد الشام دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية عسكرية، دار دمشق، ط1، دمشق، 1405هـ /1984م.

71- **علي**، سيد أمير: مختصر تاريخ العرب، ترجمة: عفيف البعلبكي، بيروت، 1381هـ/ 1961.

72- **عمر**، فاروق: طبيعة الدعوة العباسية، بغداد، 1390هـ/ 1970.

73- ــــــــ : الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية دراسة تاريخية لبوادر التسلط العسكري على الخلافة العباسية، مكتبة المثنى، بغداد،1398هـ/ 1977م.

74- **عياش**، عبد القادر: حضارة وادي الفرات مدن فراتية القسم السوري، إعداد: وليد مشوح، مطبعة دار الأهالي، ط1، دمشق، 1410هـ/1989.

75- ــــــــ : الرقة كبرى المدن الفراتية، دير الزور، 1389هـ/1969م.

76- **فرّا**، صونيا: الرقة وأبعادها الاجتماعية، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1403هـ/1982م.

77- **فرح**، نعيم: تاريخ أوربا السياسي في العصور الوسطى، جامعة دمشق، دمشق،1415هـ/ 1995م.

78- –تاريخ بيزنطة السياسي، منشورات جامعة دمشق ، ط1، دمشق، 1412 هـ/ 1992م.

79- **فروخ**، عمر: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1388هـ/1968م.

80- **القاسم**، حمود: الرقة وبلديتها خلال سنين الثورة، مطبعة الأصيل، حلب، 1389هـ/1969م.

81- **القطب**، سمير عبد الرزاق: أنساب العرب، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

82- **كاهن**، كلود: تاريخ العرب والشعوب الاسلامية، ترجمة: بدرالدين القاسم، ط2، بيروت، دارالحقيقة للطباعة والنشر، 1398هـ/1977م.

83- **كحالة**، عمررضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، ط5، بيروت، 1405هـ/1985م.

84- **كرد علي**، محمد: خطط الشام، دمشق، 1344هـ/ 1925م.

85- **الكيالي**، طه إسحق: الرقة في تاريخ الطب العربي، وقائع الندوة الدولية حول الرقة وآثارها، الرقة، 1401هـ/1980م.

86- **لسترنج**، كي: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية وأضاف إليه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، ط1، بغداد، 1373 هـ/ 1954م .

87- **ماrديني**، أحمد شريف: الحسكة ، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق ،1407هـ/ 1986 .

88- **مانيكة،** ميخائيل هوش، كريستوف، يان: قصر هارون الرشيد في الرقة، تعريب: قاسم طوير، المعهد الأثري الألماني، دمشق، 1410هـ/1989م.

89- **مجموعة من الباحثين:** المفصل في تاريخ الرقة، إشراف: علي الشعيبي، ط1، دمشق، 1424 هـ/2003م.

90- **مجموعة من المؤلفين:** الرقة درة الفرات، مراجعة: سهيل زكار، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ط1، 1413 هـ/ 1992م.

91- **مجموعة من المؤلفين:** سورية التاريخ والحضارة منطقة الجزيرة محافظات الرقة – ديرالزور – الحسكة، منشورات وزارة السياحة، ط1، دمشق، 1422هـ/ 2001 م.

92- **مجموعة من المؤلفين:** منتخبات من الأدب السرياني، ترجمها ونقلها من السريانية إلى العربية: أغناطيوس يعقوب الثالث، دمشق1389هـ/1969م.

93- **مصطفى**، إبراهيم الزيات، أحمد، حسن: المعجم الوسيط، المكتبةالإسلامية، اسطنبول، د.ت

94- **مجموعة من المؤلفين:** المعجم الوسيط، بيروت، أمواج للطباعة والنشر،1407هـ/ 1987م.

95- **مجموعة من المؤلفين:** القاموس الجديد الألفبائي، راجعه ونقحه: الجيلاني بن الحاج يحيى، تونس، بيروت، الأطلسية، الأهلية، 1317هـ/1997م.

96- **ابن المعتز:** طبقات الشعراء، تح: عبد الستار فراح، دار المعارف، د.م، د:ت.

97- **موراني**، حميد: تاريخ العلوم عند العرب، دار الأجيال، د.م، د.ت.

المجلات:

1 –**الترجمان**، غسان: وصف أسوار الرقة، مجلة صوت الرافقة، العدد الثاني، المطبعة السورية ، حلب، 1388هـ/1968م،

2–**الحسون**، مصطفى:مقالة دير زكى، مجلة الرافقة، العدد3، الرقة، 1389هـ/ 1969م.

3–**حميدة**، عبد الرحمن: الرقة مدينة وتاريخ، مجلة الفيصل، العدد،42/ 1400هـ/1980م.

4– **الحسون**، مصطفى: الرقة عاصمة الرشيد، مجلة صوت الرافقة، العدد2، المطبعة السورية ، حلب، 1388هـ/1968م

5–**زيادة**، نيقولا: التجارة، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد59،ص11–22، بيروت، 1404هـ/1983م.

المراجع الأجنبية:

1–H .J.W.Privjvers.Cults and Beliefs of Ebassa.leben-1980.P.135.

2-lestrange,Cye: The lands of The easter caliphate,p96,Cambridge university,1905.

3 -Cabriel, Albert: voyages archeologique dan la Turque orientale ,p1, paris,1940.

4- Cuinet,Vital: libanet et Palestine ,Geographie administrative
statistique,p499-501, descriptive et Raisoonee ,
vol, paris,1986.

5- Niebuhr,C:voyag en arabie eter en d'autres pays circonvoisins,p320,
j.j.Besselingautriche 1976-1980.

6 –Sarre ,Herzfeld, Archaeologisehe Reise ,p11-101-109 .Foote,note, 1973.

محتويات البحث

الصفحة

جدول تصويبات بعض أخطاء البحث

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
3	**25**	**749م**	**750م**
هامش17	1	وزقنين	زوقنين
20	7	فنيشابور	نيشابور
44	8	سلمه	سلمة

44	14	مروان ابن محمد	مروان بن محمد
60	13	أدهم ابن محرز	أدهم بن محرز
66	3	186هـ	165هـ
72	6	عبدالله إباض	عبدالله بن إباض
هامش83	3	الشكل(8)	الملحق(8)
هامش83	4	الشكل(13)	الملحق(13)
هامش83	7	الشكل(9)	الملجق(9)
هامش108	2	لسترنج المقدسي	المقدسي لسترنج
هامش112	4	الباحثيم	الباحثين
130	14	ت 538م	ت. 538م
134	5	يعقوب ابن اسحق	يعقوب بن اسحق
140	7	الاستشفاء	الناس للاستشفاء
143	9	إقامته	إقامته.
150	27	دانيال ابن موسى	دانيال بن موسى
164	18	مسعر ابن كيدام	مسعر بن كيدام
167	1	اسحاق	اسحق
167	4	اسحاق	اسحق

جدول اختصارات

م = متر

م^3 = متر مكعب

كم = كيلو متر

غ = غرام

/ثا = في الثانية

تح = تحقيق

د.ت = دون ذكر تاريخ

د.م = دون ذكر مكان

مج = مجلد

ج = جزء

ص= صفحة

ط = طبعة

الملحق(3) صورة الأرض للبيروني الملحق(4) صورة الأرض للبتاني

الحمد: البتاني، ص55-56 الملحق(5) مصور لمدينة الرافقة مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص368

الملحق(6) مصور الأنهار والروافد في الجزيرة الفراتية

ابن شداد: الأعلاق، ج3، ق1،ص73

الملحق(7) الطرق التجارية في الجزيرة الفراتية، وموقع الرقة منها لسترنج: بلدان الخلافة،ص115

الملحق(8) قصر هارون الرشيد في الرقة مانيكة: قصر هارون الرشيد، ص1.

الملحق(9) قصر البنات في الرقة طوير: قصر البنات، ص50.

الملحق(10) البيمارستان العباسي في الرقة(قصر البنات) مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص392.

الملحق(11) نقود عثر عليها في القصر الشرقي ضربت في عهد هارون الرشيد

الملحق(12) تزينات زخرفية من القصر الشرقي في الرقة

مانيكة: قصر هارون الرشيد، ص9−10.

الملحق(13) القصر الشرقي المدخل الشمالي بعد التنقيب الملحق(14) فاعات الاستقبال الثلاث في القصر الشرقي

مانيكة: قصر هارون الرشيد، ص13−14. الملحق(15) جدران القصر الشرقي

الملحق(25) نقود ضربت في الرافقة الملحق(26) نقود ضربت في الرافقة

الملحق(27) نقود ضريت في الرافقة مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص205.

الملحق(28) نقود ضربت في الرافقة الملحق(29) نقود ضربت في الرافقة

مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص206.

الملحق(22) نقود ضربت في الرافقة الملحق(23) نقود ضربت في الرافقة

الملحق(24) نقود ضربت في الرافقة مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص204.

الملحق(19) نقود ضربت في الرافقة الملحق(20) نقود ضربت في الرافقة

الملحق(21) نقود ضربت في الرافقة مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص203 .

الملحق(16) نقود ضربت في الرافقة الملحق(17) نقود ضربت في الرافقة

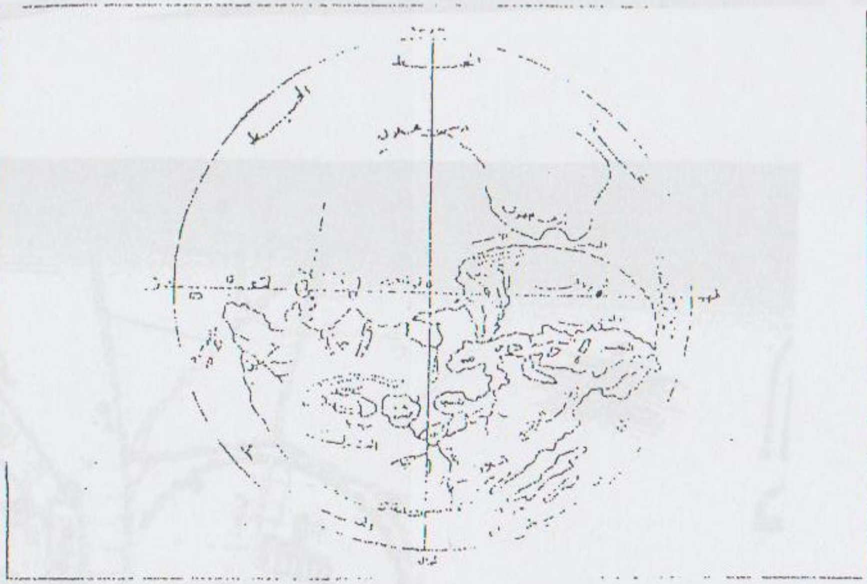
الملحق(18) نقود ضربت في الرافقة مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص202 .

الملحق(1) صورة الأرض للمسعودي الملحق(2) صورة الأرض لبطليموس

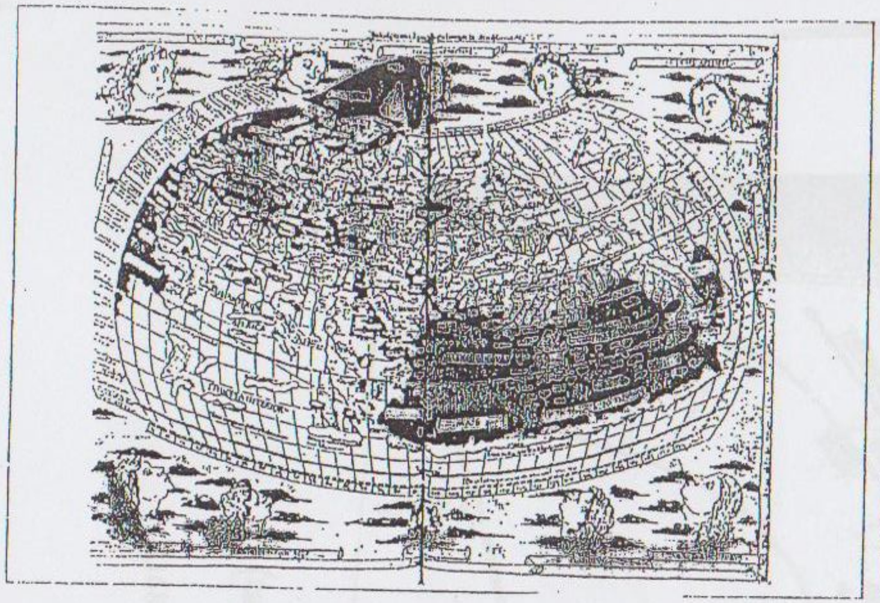
الملحق(9) قصر البنات يعود للعصر العباسي طوير : قصر البنات، ص50.

(الملحق 30 مصور الدولة العباسية في أقصى اتساعها)

العش: تاريخ، ص292.



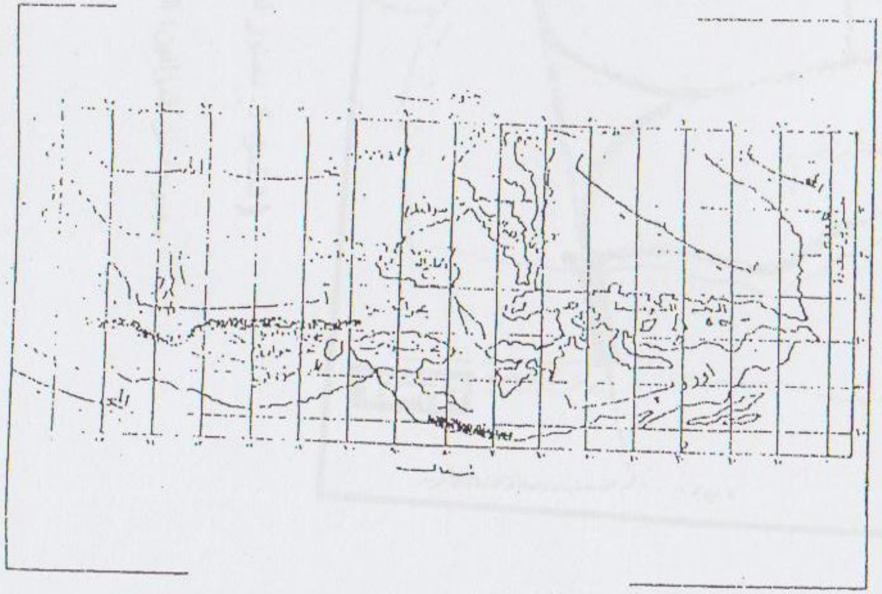
(الملحق 1. صورة الأرض للمسعودي)



(الملحق 2: صورة الأرض لبطليموس)

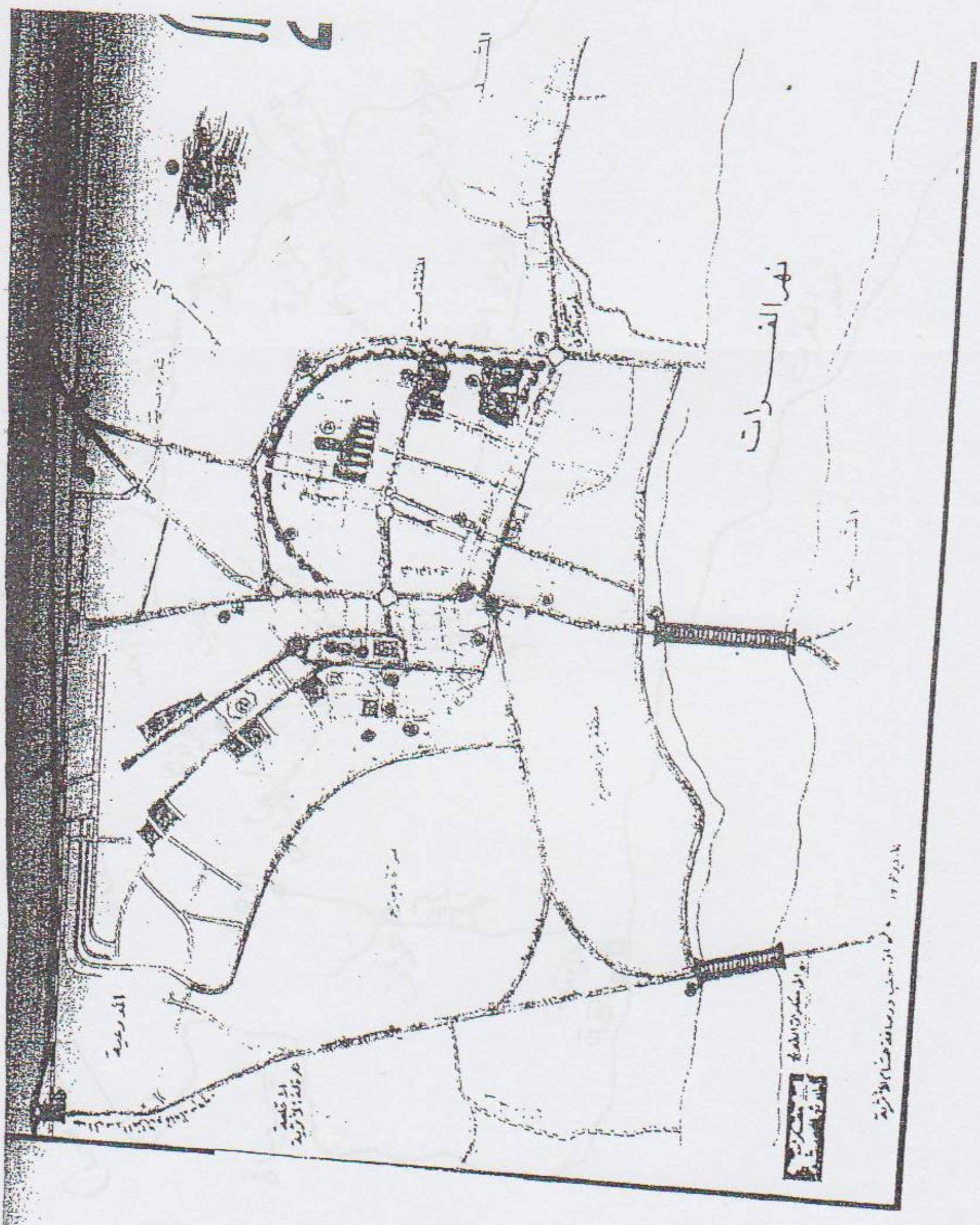


(الملحق 3: صورة الأرض للبيروني)



(الملحق 4: صورة الأرض للبتاني)

الحمد: البتاني، ص55-56 .



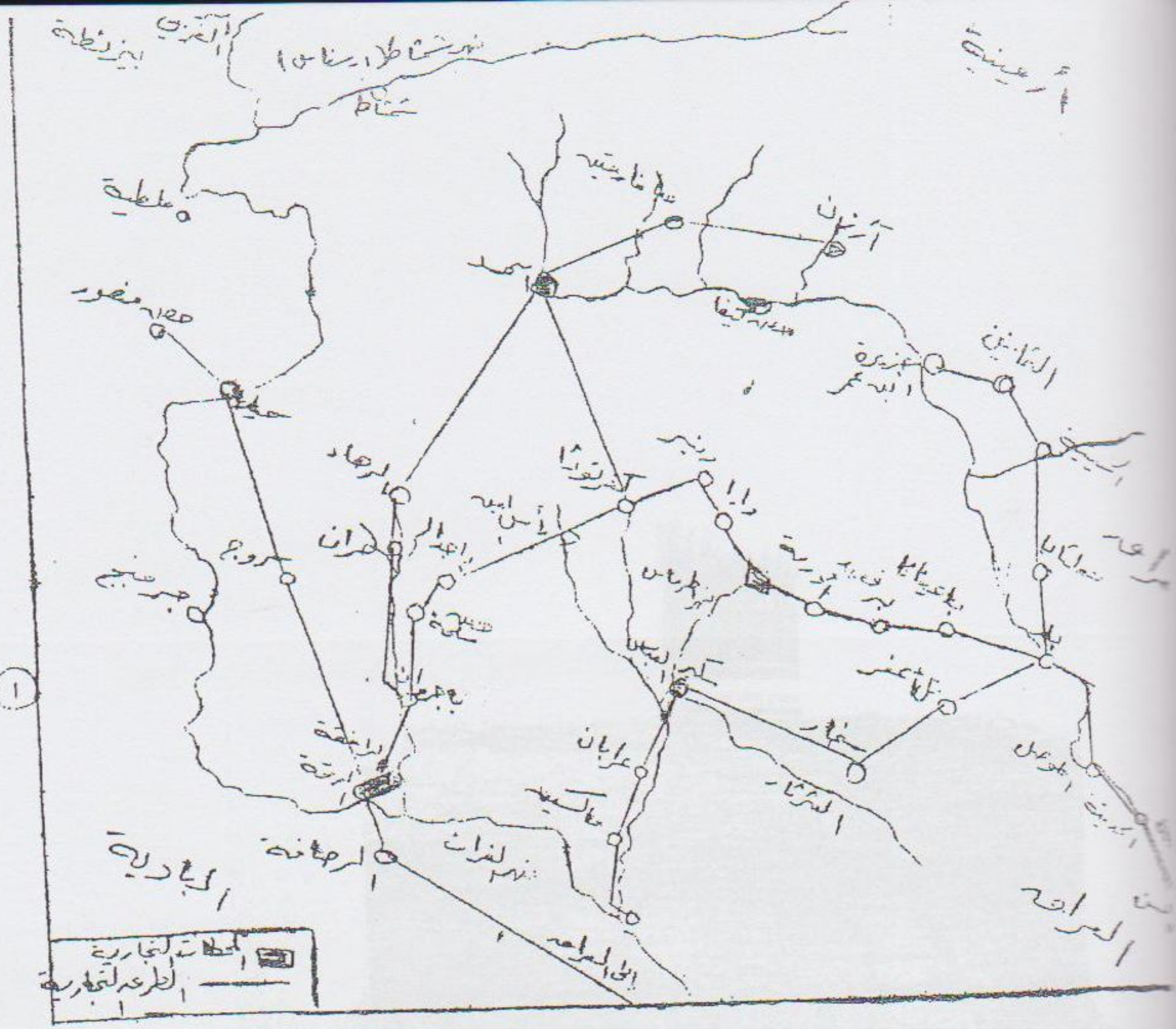
(الملحق 5. مصور لمدينة الرافقة)

مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص368.



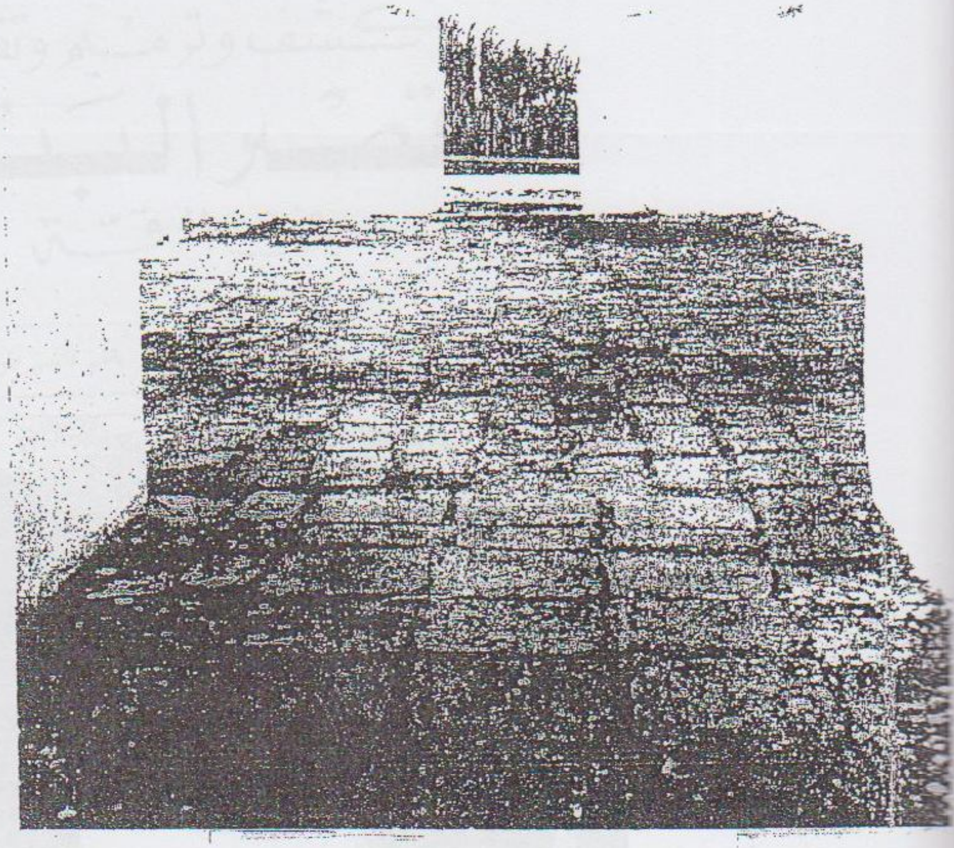
(الملحق 6. مصور الأنهار والروافد في الجزيرة الفراتية)

ابن شداد: الأعلاق، ج3، ق1،ص73.



(الملحق 7: الطرق التجارية في الجزيرة الفراتية، وموقع الرقة منها)

لسترنج: بلدان الخلافة،ص115.



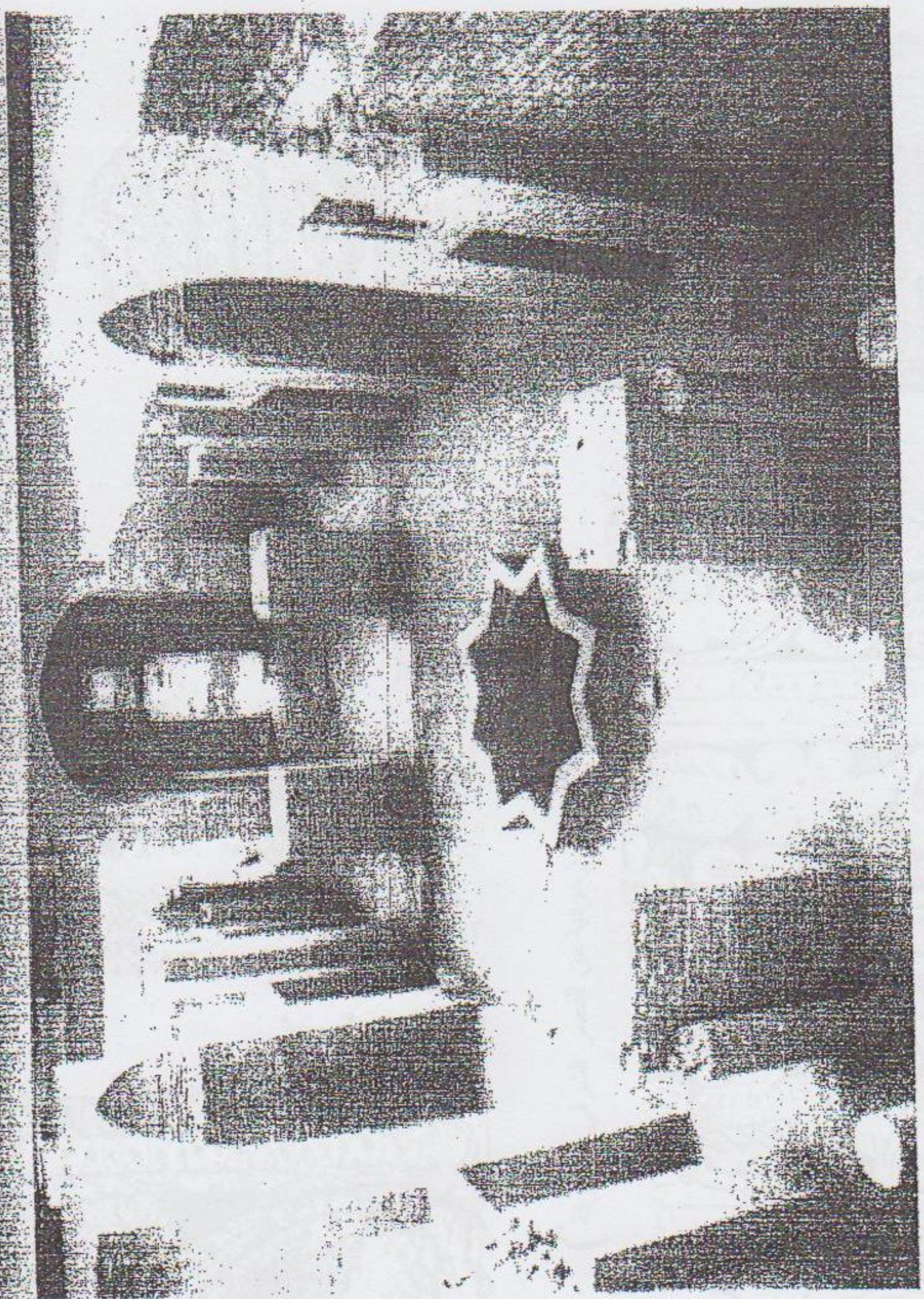
(الملحق 8. قصر هارون الرشيد في الرقة.)

مانيكة: قصر هارون الرشيد، ص1.



(الملحق 9: قصر البنات يعود للعصر العباسي)

طوير : قصر البنات، ص50.

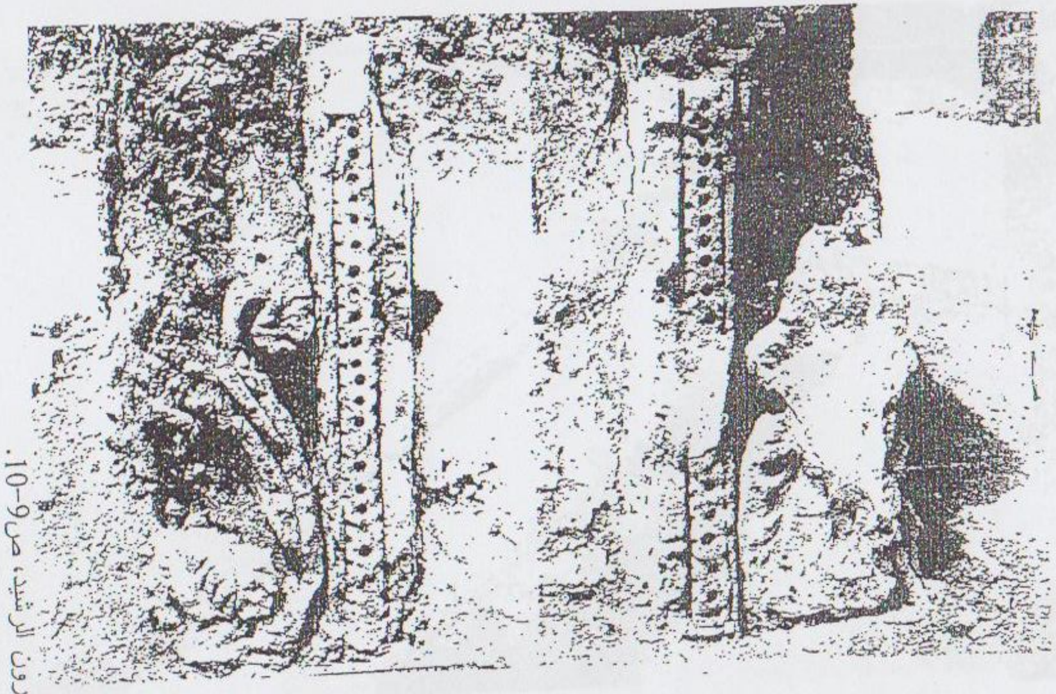


(الملحق 10: البيمارستان العباسي في الرقة(قصر البنات))

مجموعة من المؤلفين: الرقة، ص392.



(الملحق 11: نقود عثر عليها في القصر الشرقي ضربت في عهد هارون الرشيد)



(الملحق 12: تزيينات زخرفية من القصر الشرقي في الرقة)



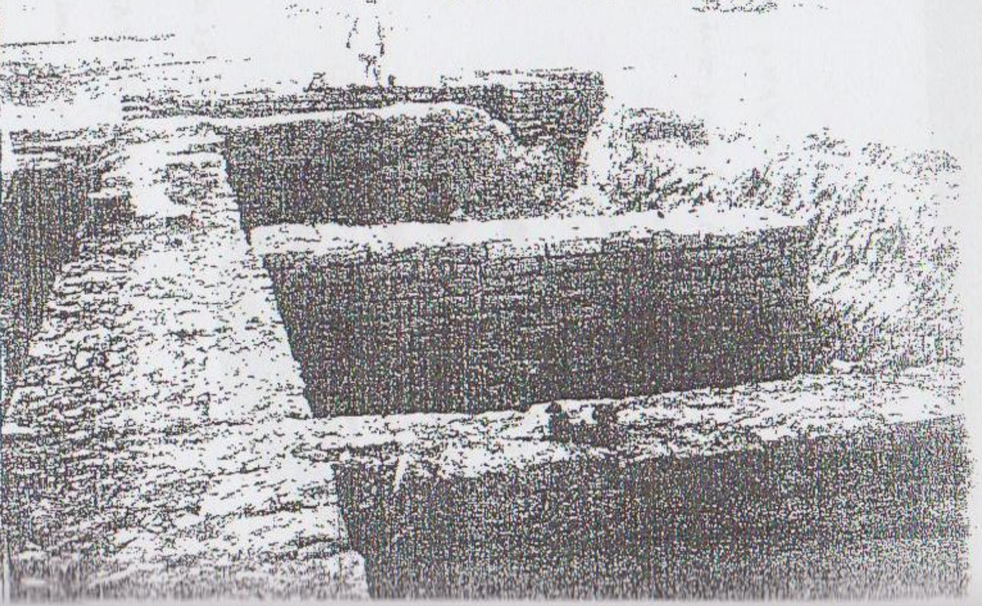
مانيكة: قصر هارون الرشيد، ص9-10.





(الملحق 13. القصر الشرقي المدخل الشمالي بعد التنقيب)

(الملحق 14. فاعات الاستقبال الثلاث في القصر الشرقي)





مانيكة: قصر هارون الرشيد، ص13-14.

١- فلس الرافقـة - ١٨١ هـ \ ٨- ٧٩٧ م

٤,٥٤ غ - قطر ٢٠ مم - (جامعة Tuebingen ألمانيا)



(الملحق 16) نقود ضربت في الرافقة

٢ - فلس (هجين) - الوجه الأول يعبر عن الرافقة (١٨١ هـ \ ٨- ٧٩٧) والوجه الآخر النمط الكوفي . الوزن :١،٦٧ غ- قطر :١٧ مم - (متحف برلين)



(الملحق 17) نقود ضربت في الرافقة

٣- درهم الرافقـة - ١٨٣ هـ \ ٧٩٩-٨٠٠ م

الوزن : ٣،٠٢ غ -قطر : ٢٥ مم - (جامعة Tuebingen ألمانيا)



(ملحق 18) نقود ضربت في الرافقة) مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص202.

٤ -فلس الرافقــة - ١٨٩ هـــ \ ٥-٨٠٤ م

الوزن : ٥،٣١ غ -قطر ٢٥ مم - (متحف الرقة الأثري)



(الملحق 19 نقود ضربت في الرافقة)

٥- دراهم الرافقــة - ١٩١ هــــ \ ٧ - ٨٠٦ م

الوزن : ٢،٨٧ غ -قطر ٢٥ مم - (خزانة النقود الشرقية J ena)



(الملحق 20 نقود ضربت في الرافقة)

٦ - دينار . لا يظهر عليه مكان السك (الرافقــة ١٩١ هـــ \ ٧ - ٨٠٦ م)

الوزن : ٤،١٦ غ -قطر ١٨ مم - (لندن)



(الملحق 21 نقود ضربت في الرافقة)

مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص203 .

٧ هـــم الرافقـــة - ١٩٣ هـــــ \ ٨٠٩ م

الوزن : ٤,٧٤ غ - قطر ٢٥ مم - (خزانة النقود الشرقية Jena)



(الملحق 22: نقود ضربت في الرافقة)

٨- درهم الرافقـــة - ١٩٩ هـــ \ ٥ - ٨١٤ م ،

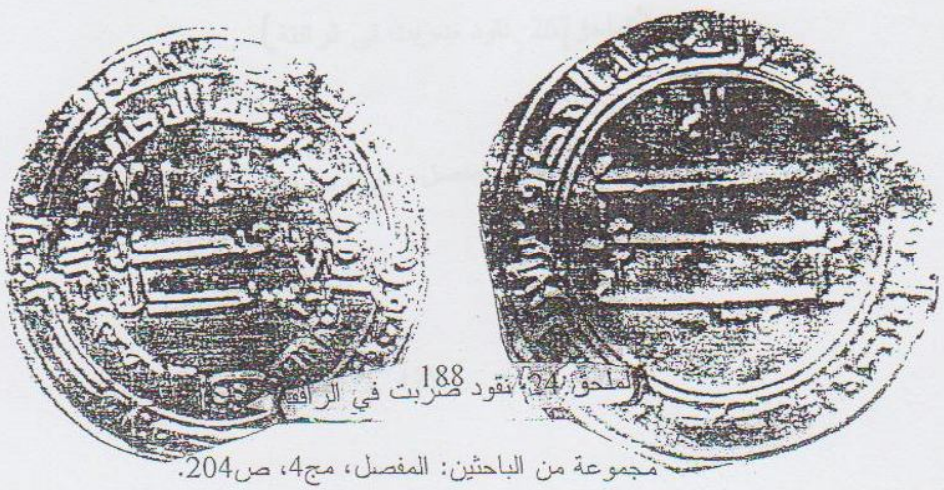
الوزن : ٢،٩٦ غ -قطر ٢٤ مم - (New York)



(الملحق 23: نقود ضربت في الرافقة)

٩- درهم الرافقة - ٢٠٨ هـــ \ ٤- ٨٢٣ م

الوزن : ٢،٨٠ غ -قطر ٢٦ مم - (جامعة Tuebingen ألمانيا)



(الملحق 24: نقود ضربت في الرافقة)

مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص204.

١٣-درهـــم الرافقـــة ـ ٢٨٩ هــــــ \ ٢ ٩٠١ م

الوزن : ٢،٩٦ غ ـ ٢٦ مم ـ(خزانة النقود الشرقية J ena)



(الملحق 25) نقود ضربت في الرافقة

١٤-درهـم أسـود ـ الرافقـــة ـ ٤٥٠ هـــــــ \ ١٠٥٨ م

الوزن : ٣،٦٨ غ ـ ٢٠ مم ـ(متحف الرقة الأثري)



(الملحق 26) نقود ضربت في الرافقة

مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص205.

١٠-فلس الرافقة - ٢٠٨ هـ \ ٤- ٨٢٣ م

الوزن : ٤،١٠ غ - قطر ٢٠ مم - (خزانة النقود الشرقية J ena)



(الملحق 27 نقود ضربت في الرافقة)

١١-فلس الرفقة - ٢٢٦ هـ \ ١- ٨٤٠ م

الوزن :٤,٤١ غ - ٢١ مم - (خزانة النقود الشرقية J ena)



(الملحق 28 نقود ضربت في الرافقة)

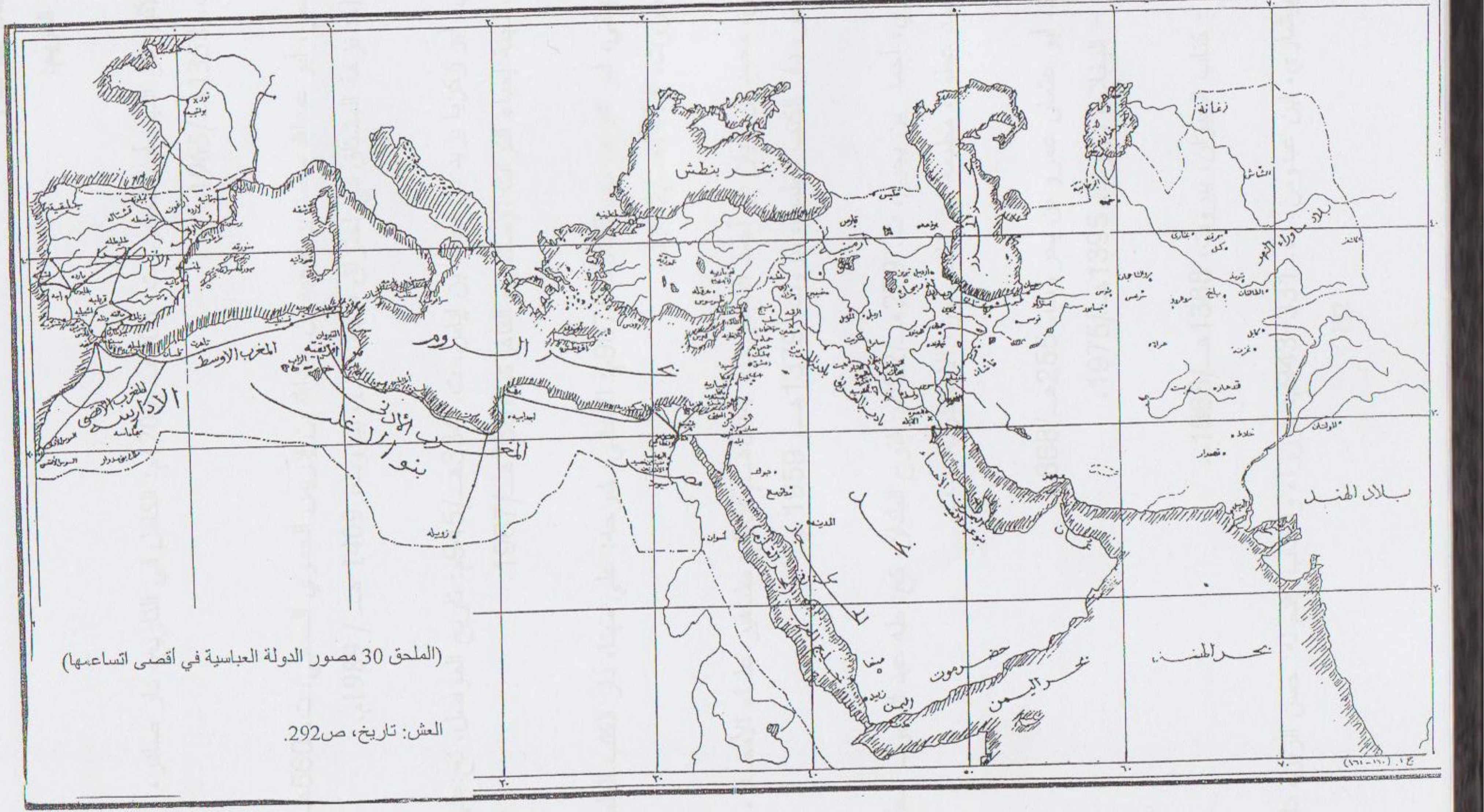
١٢-دينار الرافقة - ٢٧٦ هـ \ ٩٠- ٨٨٩ م

الوزن :٢،٨٨ غ - ٢٠ مم - (متحف الرقة الأثري)



(الملحق 29 نقود ضربت في الرافقة)

مجموعة من الباحثين: المفصل، مج4، ص206.



(الملحق 30 مصور الدولة العباسية في أقصى اتساعها)

العش: تاريخ، ص292.